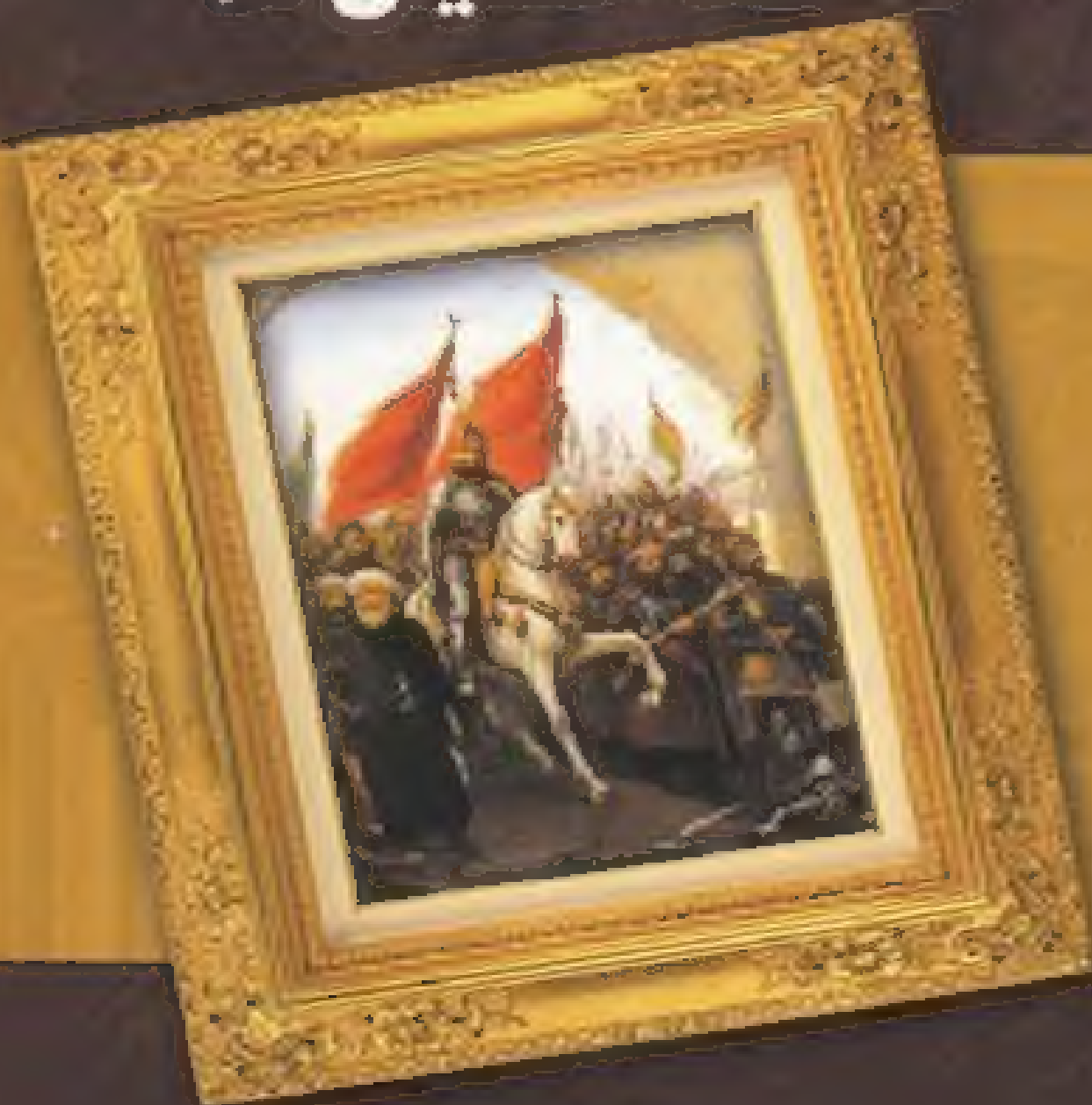


الدكتور عماد الدين الخليل

أنكى عماد الدين



دار الكتب

محفوظ
جميع الحقوق

١٤٣١ هـ - ٢٠٠٩ م

عماد الدين زنكي

تأليف

د. عماد الدين خليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

١. ملاحظات:

كثيرة هي الأسباب التي تشد الإنسان إلى جانب ما من جوانب التاريخ، تعلق بصره به، وتملؤه بالتقدير والإعجاب... حادثة من الأحداث... إنجاز حضاري مبدع... بطل يبرز فجأة من مآسي الانهزام والخور والسلب... حركة تبعث الميتين إلى الحياة... وغيرها من الجوانب التي تجذب أقلام الباحثين من كل صوب، وفي كل مكان... ومن وراء أقلامهم رغبات شتى، بعضها يطفو كالزبد على سطح التعصب والانفعال، وبعضها الآخر يستقر، بثقله وجموده في القعر، وينأى بالتاريخ عن طبيعته الثرة الدفاقة أو وجوده الحي المتحرك أبداً، بكل ما في كينونة الإنسان من طاقات، وما في الطبيعة حوله من عطاءات... ورغبات ثالثة، تكمن خلف الأقلام، تبتغي الجذ وحده، وتتوسل إليه بالأسلوب الذي لا يمكن اجتياز ساحة التاريخ إلا به... الأسلوب الذي يجمع بين العقل والروح، وبين الإعجاب والتمعن العميق.

وتاريخنا الإسلامي مجرى دفاق، وأغوار عميقة، وحركة أبدية تموج بين ضفتين يفسح المدى بينهما - أحياناً - لكي يغطي مساحات واسعة من العالم، ويضيق - أحياناً أخرى - حتى ليكاد يقطع أنفاس المبحرين فيه إلى مصائرهم. وفي فترات الاختناق والضيق هذه، في ساعات الخوف والعجز والهزيمة، في أيام المحن والأحزان والنكبات... كان يطلع - دائماً - بطل من ثنابا الغيب، تبعه حكمة الله من مداها البعد، فيضرب، وجماهير أمته، بيناً وشمالاً،

يعزم وتصميم.. وسرعان ما يجد المبحرون المختلفون المدى وقد انفسح أمامهم، والطريق المضطرب المضني وقد استقام تحت خطواتهم، فإن هم ساروا على الطريق، وأسهموا في توسيع المدى، ودفع الاختناق، منحهم الله الأرض، وأدال الأيام لهم.. وإن هم عجزوا عن المتابعة، وكتبوا طاقاتهم وقدراتهم، سلبهم الله الأرض، وأدال الأيام منهم..

وسيفل تاريخ المسلمين هكذا.. يتأرجع بين المصيرين: إما حركة والتزام وجهد وإبداع، فالأرض والدولة.. وإما سكون وفسق ومروق وترف وتقليد، فتشرد وخضوع.. وليس ثمة - في سنة الله - حل وسط، إما هذا.. أو ذلك!!



هذا هو الدرس الفريد الذي تعلمنا إياه البحث الجاد، المخلص، عبر أيام الحروب الصليبية التي استغرقت قرنين من الزمان.. وما أخرجنا إليه، ونحن نجتاز موجة عاتية جديدة من هذه الحروب التي يقف فيها الإسلام والمسلمون وحيدين، أمام القوى الهائلة التي تسعى إلى سحقهم وإبادتهم، وتستهدف إخراجهم من الأرض وتضييعهم في المثاعمات، باسم المقدسات هذه المرة، كما كان الحال باسم المقدسات في المرة الأولى..

في تلك الأيام، انطلقت جموع الصليبيين التي حشدتها الكنيسة من كل مكان، تستهدف القدس.. وفي الطريق إلى القدس راحت حصون المسلمين وقلاعهم ومواقعهم تتساقط واحدة بعد الأخرى.. وفي الطريق إلى القدس أقيمت المجازر، ودخن على الناس في المغارات، وأجريت الدماء أنهاراً.. وفي الطريق إلى القدس مرق القرآن - كما روى لنا المؤرخون القدامى - مراراً، وسخر من الرسول العظيم تكراراً.. ليس هذا فحسب، بل إن أولئك المؤرخين اطلعوا على مأس يندى لها الجبين في تاريخ الصراع بين المعتقدات.. ثقب

القرآن الكريم _ على سبيل المثال - وربط في مؤخرة حصان راح يقبح عليه بينما انطلقت ضحكات الفرسان الصليبيين المحيطين به، وارتفع صوت أحدهم منادياً المسلمين : ليأت (محمدكم) لتخليص هذا الكتاب !!

في الطريق إلى القدس تجرع المسلمون صنوفاً من العذاب وذاقوا الهوان والإذلال ألواناً.. . كان الصراع قد طحنهم من قبل، وما هي قوة جديدة موحدة تبرز أمامهم في الميدان.. . أمة بلا وحدة.. . وبلا قائد.. . حتم عليها أن تذلل وأن تخضع، وأن تفقد الأرض والدولة.. . ذلك هو منطق التاريخ، وتلك هي سنة الله.. . وكان الطريق إلى القدس يتسع.. . يوماً بعد يوم، تحت وقع سنابك الخيول المغيرة، وينفصح مداه أمام فرسان الصليب وقادته.. . وهناك، في القدس، حدثت المذبحة.. . قتل عشرات الآلاف من المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً.. . وراحت الخيول الغازية تجر قوائمها جراً، بمن عليها من فرسان، في برك الدماء، في تلك الأيام كان المسلمون يتحرقون لظهور المنقذ الذي يوحدهم تحت لواء، ويجمع طائفتهم ليصبوها في بحر هدفهم الذي صبروا على انتظاره طويلاً.. . المنقذ الذي ينطلق بهم، بقوة وثقة وتخطيط، صوب ساحات الجهاد التي خللت سنين طويلة من المجاهدين.. . وأقفر من الأبطال. لكن الأرض الإسلامية ليست أرضاً بوراً، والتاريخ الإسلامي ليس مزرعة في الصحراء لا تثبت إلا الحسك والشوك والعلقم.. . أبداً.. . وهل يمكن؟! وأرضنا الإسلامية هي تلك الأرض المعطاء، وتاريخنا هو تلك المزرعة التي استنبثها الزمن - دوماً - حقائق ذات بهجة.. . وفاكهة.. . وأبناً؟ ومن ثم ما كان للمسلمين أن يطيلوا الانتظار.. . إن الأرض التي تسند من عقيدة التوحيد والحركة، لا يمكن أن تعطن استسلامها وأن تنام عندما تدغم حدودها قوات الأعداء، وتجتاز تخومها خيول المنبرين.. . ما كان لهم أن يطيلوا الانتظار وهم يحسون في عصر لم تكن قد نجت فيه بعد قيم التوحيد والحركة التي أخرج بها الإسلام جاهلي العرب وأمواتهم من الظلمات إلى النور.

وهكذا راحت هذه الأرض تطلع على العالم الإسلامي بأبطال، يستلم الواحد منهم الراية ويسلمها بدوره للبطل الذي سيليه.. أبطال من كل مكان في ذلك العالم الفسيح، من كل جنس ومن كل لون: عرباً وأتراكاً وأكراداً، من العراق ومصر والشام، ومن بلاد فارس وما وراء النهر وتخوم الهند والصين.. ليس هذا فحسب، بل كان يقف وراء كل واحد من هؤلاء ألوف من المجاهدين شمرؤا عن سواعد الجدد، وانطلقوا خلف قادتهم يذكون معاقل الغزاة، ويستعيدون منهم الحصون والمواقع التي انتزعوها واحداً بعد آخر، ويفيقون الخناق عليهم يوماً بعد يوم، حتى اضطروا - آخر الأمر - إلى إلقاء السلاح والعودة من حيث جاؤوا.



من أجل هذا كانت فترة الصراع الطويل هذه، تشدني دائماً.. فهي المنجم الذي لا قرار له والجامعة التي لا نهاية لخريجها.. والمدرسة التي لا حد لتعاليمها ومعطياتها. وكان اسم (عماد الدين زنكي) يلعب في ذهني منذ عهد بعيد.. لقد قالوا لنا يوماً - ونحن بعد صبيان -: إنه ظهر في عصر بدا المسلمون فيه عاجزين تماماً إزاء الحشود التي غزتهم ودمرت عليهم أمنهم وصلاحهم.. ظهر من الظلمات، كما يلتصع نجم ثاقب في أطواء غيوم كثيفة سوداء.. وقالوا - ونحن بعد صبيان - إنه انطلق بالمسلمين - لأول مرة - بجذ وإخلاص، وتحول بهم من مراقف الدفاع إلى الهجوم، ومن ثم أخذ يوجه بهم إلى خصومهم الضربات.

والأطفال تشدهم دوماً مفاجآت كهذه، انتقال سريع كهذا، وتعجبهم أبناء البطولات التي تظهر - على حين غرة - في عالم الخوف والعجز والانحزام.. كذلك انطبع اسم عماد الدين زنكي على أعصابنا، ونقشت صورته في عقولنا وقلوبنا.. وعندما قالوا لنا إنه هو الذي مهد الطريق لنور الدين محمود، وصلاح الدين من بعده، زدنا انبهاراً وإعجاباً!!

وفي دراستي للماجستير أتيج لي أن أكتب عن عماد الدين زنكي هذا... وأن أتبع حياته ومعطياته، من ألفها - كما يقولون - إلى يائها - ولقد وجدت بين الألف والياء الكثير الكثير مما يبعث على الإعجاب، ووجدت - كذلك - بعض ما يشوب هذا الكثير. ونقبت عن هذه الشوائب فوجدت لبعضها مبررات وأعداراً، ولم أجد لبعضها الآخر مبررات ولا أعداراً... ولكن أليس كل ابن آدم خطاء، وأن خير الخطائين التوابون، كما علمنا الرسول عليه السلام؟ ثم، أليس يكفي عماد الدين شرفاً ومجداً ألا تستعبد هذه الأخطاء، كما استعبدت الكثيرون من قادة الأرض وزعمائها وملوكها، وأن يتجاوزها صوب مشارف النصر التي أخذت تلوح للمسلمين من قريب، وفي مدى أبصارهم؟! أليس يكفي أن يصرف جل جهوده لحراسة الأرض الصلبة، وتهيتها لمولد أولئك الذين تسلموا الراية من بعده، وساروا بالمسلمين خطوات حاسمة في هذا السبيل : نور الدين وحسب الدين؟! أو ليس من الحق أن نتذكر - هنا - ما قاله يوماً شيخ من الصالحين لوالد المؤرخ الشهير ابن الأثير، من أنه رأى زنكي - بعد اغتياله - في المنام، في أحسن حال، وأنه سأله : ما فعل الله بك؟ فأجاب : غفر لي!! فقال الرجل : بماذا؟ فرد زنكي : بفتح الرها!!... وسنعلم - فيما بعد - كم هي عظيمة تلك الخطوة التي أنجزها زنكي بإسقاطه الرها : أولى إمارات الصليبيين الأربع قياماً وأولها سقوطاً!!.

وفيما بعد، عندما نقبت في نفس المنجم، عن موضوع لرسالتني التالية (الدكتوراه)، وانتهى بي المطاف إلى (الإمارات الأرتقية في ديار بكر)، تلك التي ظهرت في أقاصي شمالي الجزيرة الفراتية، على حدود الأناضول، وحكمت ما يزيد عن ثلاثة قرون... فيما بعد، وأنا أعمل في هذا الموضوع الجديد، تبين لي أن عماد الدين زنكي لم يكن البطل الأول في هذا السبيل، وأن الأرض الإسلامية، والأمة الإسلامية، لا يمكنها - بحال - أن تنتظرا أكثر من ثلاثين سنة

كفي بأبي عماد الدين زنكي فظف على لعمري، هذا السبب لأوسى بصراع،
بأبطال وبوا المستعدين إلى مشارف العصر العظيم تسلم أبو حذ منهم لريه من
الأحر، طيله ثلاثة عقود ثم جاء عماد الدين زنكي فتسليمها، وأصاف إلى
محورت أولئك الأنطال كثر الكثر وخذ لأرض وأراح العفت
وأستد بره وفتح الطريق أمام نور الدين وصلاح الدين وناصر قلاوون،
لتسير فيه حتى انتهى به، حيث عادت لأرض ولدوله إلى لأمه التي صيرت طويلا
عني صراع قاصر رهيب، محتتم سنة لله العصر عليه ١١

١١ (سلمان بن أرثو) وأخوه (يلعاري) واس عمه (بلث بن بهرام)، أولئك
الدين بوا عبه المقاومة في عقود الثلاثة لأوسى من العرو الصربي، لم
يصروا في مدن الجهاد ومروا أو شوا، وهم قريرو لعين لأهم سم
يحور الجهد مات سلمان وهو في طريقه سعدة مرفع إسلامي محاصر
دعبه مرض وهو بحث الخطي للعدة، فطلب منه أصحابه أن يعودوا ريثما
يشفى من المرض الذي أصابه، فأجابهم «لا والله لا يري الله ثقلت عن
قبال الكدر حوقاً من مروب»^{١٠} ومات أخوه (يلعاري) مرض أصابه هو
لأخر، بعد حولات من لصراع مصي صد مواقع الصبة في شمالي
الشام أما بلث بن بهرم، فما أروعه بطلاً، وهو يسرع السهم الذي اعور
في ظهره أرسلته يد واحد من قباج أمراء المسلمين الذين سم يفكروا - يوماً -
بوحدة مسلمين وأهدافهم العبا، اترعه بده، وصق عبه احتضراً وقال
لهذا قل لمسلمين كنهم^{١١} وبات وفيه بعد لاقى عماد الدين زنكي
بمن المصير - وهي ذات المكان ١١



ولا ريب أن مكانة زنكي تكيرة في التاريخ الإسلامي باحة عن سعب
تجمع معظم بلاد الجزيرة و شام في ظل قيده و حده ستضع بوقوف بوج
الحظر الصربي، وبمن لفقاء عله وقد انسع زنكي لتحقق عم صه هـ

حظوات سياسية وعسكرية منظمة جعلته مسؤولاً عن مرحله الجديدة في (الجهاد) ضد الصليبيين، تميرب (بالسظيم) لدي يعتمد رؤية (سراييجيه) شامه، بعد أن كان الأمراء المحليون، في الفترة السابقة، يقاتلون أعداءهم ارتجالاً، ودونما تخطيط شامل مدروس، إلا هي العليل ابادر

وهذا البحث درسه بلحظوب لني اتبعي ريكبي تحقيق هذه، وعرض لشخصيته وصحرائه على جهتي الحرب السدم، وتحديد الظروف اسلبه ولإيجاييه، لني أحاطت به خلال سعيه لإنشاء أكبر إمارة إسلاميه شهدتها منطقه جزيرة وانشم وشمالى عراقى. بلت لني اسمرت محكم من بعد، أكثر من قرن من زمان، وامتدت لني بصم دمشق ومصر ولبس والحدود في دولة قوية وحاددة

وقد عذب لني (الأطروحة) التي تضمنت البحث في صيغه الأولى، صحرست على بشرها قريباً من انشكن لندى بنت به المرافقة عنها وكل ما أجرت من تعير، فضلاً عن إعادة الصبغة المعوية هو إساءة خلد كبير من مصادر البحث ومرجعه، من أجل تركيز جهودى فى أهل عدد ومساحة مكنتر، كلاً أثقل على اقراء، هذا لوى إصافه فصل جديد في نهيه الكتاب بدوت فيه مسجرات ريكبي الإدارية، في محاولة لإحداث نوع من التورر بين الجانب لسياسي - العسكري، ولجانب بحصاري من البحث، في عصر عذت به بحوث الحصارية - في محاور تاريخ - دت شأن كبير، لا سيما وأن لعلاقة الوثيقة بين منظم الإدارية وسياسيه أمر يعرفه جميع، بد لا يمكن إعطاء صورة واضحة عن سياسيه ذويه أو إمارة ما وتنظيمها العسكري، إلا بإلقاء الضوء على نظمها الإدارية



ولا يسعني أخيراً إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور صالح أحمد انمي أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية ادب جامعة

بعداد الذي أشرف على إعداد هذه الرسالة، لما بذله من جهد كبير، وما أبداه من اطلاع واسع، وتوجيه قيم، وصبر على العمل أثناء بحثي في الموضوع، مما كان له الأثر الأول في إخراج هذا الشكل

كما أقدم بالشكر والتقدير للأساتذة هاديين الدكتور عبد العزيز الدوري و الدكتور جعفر حبشك، بمجهود التي بذلها في إعدادي لهذه المراجعة، و الدكتور عبد الصبور شاذ، بمراءاته مسودات الرسالة وبتدء بعض ملاحظات عليها و من أمسى هذا المرحوم الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن، الذي شارك في تجه مخطوئة الرسالة، و برع جو نقاش مطلق الألفه و التمهيد، بما هو معروف عن الإخوة المصريين من بكنة بارعة و بديهة حاضرة!!

أما الإخوة الذين تقدموا بالمساعدة في قراءة مسودات الرسالة و تصحيح ما فيها من أخطاء فمنهم سي حرييل اشكر و المعروف و الحمد - أولاً و أخيراً - لله الذي علمنا نعلم، علم لا ينقطع ما لم يعلم

٢- تحليل المصدر:

أشأ عماد الدين ريكبي دولته في ظروف شهدت ظهور عدد كبير من الإمارات المحففة في التحرير و الشام، الأمر الذي كان له تأثيره الجاهل على نمو الحركة الفكرية و خاصة كتابة التاريخ، حيث إن الاعتراض بالانتماء إلى إمارة ما كنتيجة من نتائج المذهب الجاهل بين تلك الإمارات، في شتى حقول الحياة و الفكر، دفع عدد من المؤرخين إلى كتابة التواريخ المحففة للإمارات التي عاشوا فيها، أو بقوا الرعاية و التشجيع من حكومتها و مسؤوليها و هكذا ظهر إلى حيز الوجود حشد مهم من هذه التواريخ عن الموصل و إربل و منافق و آمد و حلب و شمير و دمشق و حمص و حماة و غيرها، سير بأهميته الجامعة يكون معظمه كان ينكم من أوضاع سياسي، لغته ريكبي، أو قريبة منها، و ما يجد فيه من سرد مفاثق الحياة السياسي و الاقتصادية أحياناً في تلك المناطق

وعد كنت في هذا المجال دراسات علمية دقيقة، أهمها

المقالات الثلاث التي نشرت في كتاب

The Historians of the Middle East, ed. by B.Lewis, Oxford, 1962:

- 1 The Historiography of the Seljuqide Period, by Clude Cahen, p.59.
- 2 Some Notes on Arabic Historiography during the Zengid and Ayyubid Periods. (521-648) by M Hilmy M.Ahmad, p. 79
3. The Origin and Development of the Local Histories of Syria, by: Samy Dahan, p.108

والمفصل التحليلي النقيم الذي كتبه كاهن في كتابه

La Syrie du Nord Les Sources Arabes, PP.33-73.

ومما جاء به بعنوان La Syrie Arabs , pp 33-73

ورسالة محمد حمدي محمد أحمد، التي قدمها للدكتوراه بعنوان

Studies on the works of Abu Shama, 1951

والمقدمة التي كتبها في تحقيقه لكتاب (الروضيين في أخبار الدوليين) لأبي شامة (١٩٥٦م) وكذلك مقدمته لدكتور حمد بندين الشيبان بكتاب (مفرح الكروب في أخبار بني يوب) لآبى واصل (١٩٥٣م) وكتاب (مفرح الكروب الصديقيه) لعميد البدر نعمريي ومقدمته لدكتور سامي لدمار لكتاني (رمه اصحب من تاريخ حلب) لآس اعديم (١٩٥٤م) و(الأعلاق الحظيرة في ذكر أمره ... والجريرة) (قسم دمشق) لآس شدد (١٩٥٦م) فضلاً عن دراسة عبد القادر أحمد طعمت لكتاب (الماهر) لآس لأثير (١٩٦٣م).

وس أعد لها ما نوهت اليه تلك الأبحاث، ولكني سأقوم بتحميل أهم المصادر التي اعتمدتها في كتابه هذه الرسالة، لمعرفة طبيعة المادة التي قدمها كل منها، وما بينها من علاقات لأحد ونعطاء في هذا المجال

ما من شك في أن ابن الأثير (٦٣٠.٥٥٥ هـ) يقف على رأس مؤرخين الذين تكلموا عن رنكي ذلك انه عاش في ظلال حكم الإمارة التي أشأها الأخير، ونعم بما أنحه به حكمها من مجالات وما حظي به منهم من تقدير، فكان وباً لهم، وخص أحدهم وهو الملك الناصر (٦١٥-٦١٧ هـ) بكتاب عن تاريخ إمارته لأنابكه في الموصل سمى (الناصر) وهو يشمل على مئتمه موقعة سن مسمي (٤٧٧ ٦٠٧ هـ)، أي منذ لمع اسم (أي سمر) ودار رنكي وحتى بدء ولاية (الناصر) الذي أهدي إليه الكتاب

و(الناصر) هو أحد المصادر الرئيسة لهذا البحث، فيه معلومات مفصلة عن سب رنكي وسيرته وشخصته، نقلها ابن الأثير عن والده، كما يقدم روايات عديدة عن موضوع لجيش وديوانه، وقرى الجند وأساليب القتال، وعلاقات رنكي بجنده، فضلاً عن بعض النصوص المتعلقة بتنظيم الإقطاع والإدارة، ويعرض يقدمه (الناصر) في هذه المواضيع لأسس لدى اعتماد عليه عدد كبير من المؤرخين الذين نقلوا عنه، لا سيما أبو شامة وابن واصل كما يعتبر المصدر الرئيسي عن علاقات رنكي السياسية، وأعماله العسكرية، ونحوه في لجهات انشغاله الموصل وإس وجزيرة ابن عمر والمناطق الكردية، أما الجهات الأخرى، كبعدهد والجزيرة وبلاد الشام، فمرغم من تقديمه مادة وضع عنها، إلا أنه لا يعد مصدراً أساسياً، لقيام مؤلفه بالنقل عن مصادر أخرى تكمل ما قدمه في ساهره، وأهم تلك المصادر ما كتبه ابن أبي طي حلي، والعظمي، وابن الأثير البغدادي و لعماد الأصبهاني، ونهاء الدين بن شداد، وس القلاسي، فضلاً عن كتاب (لأعتر) للأمير ابن سعد الشوري الذي عاصر رنكي ورافقه بعض

الوقت، وقدم روايات مهمة عنه إلا أن معظم ما أورده ابن الأثير في الباهر عن رنكي يقفه بصورة مباشرة عن والده، حيث يقول: «وقد كتب أكثره عن وائدي» فإنه كان روي حسان - أتابكة الموصل - وعين السحير بحركاتهم ومكائدهم»

يتبع ابن الأثير في الباهر التسلسل الزمني للأحداث، ويكتب روياته بأسلوب بسيط واضح، وقدم يدحا إلى السجع والتعقيد النحوي وهي النقص الذي خصه لسيرة رنكي يخرج عن التسلسل الزمني، وذلك بتقسيمه هذا الفصل إلى وحدات موضوعية تتناول في كل منها جانباً من جوانب سيرته كسحاغته وهيبته وصدقته وقوة غريمه وحسن رأيه وهكذا ولا يستطيع الباحث أن يمر فيما كتبه ابن الأثير عن رنكي في كتابه هذا، دون أن يلاحظ تحيره إليه صد حصوله في بعض الأحيان، حيث يبالغ بتعجده، ويحاول عدل لأخطاء التي مارسها والتي أشرت إليها مصادر أخرى ولا ريب أن هذا السحير يرجع إلى اعتراف مؤلفه بتدريج كتابه هذا هدية لنفسه انقاهر، أحد أحماد رنكي، الأمر الذي دفعه إلى إظهار (مؤسس الإمارة بمظهر (العظيم) اسعيد عن فتواف لأخطاء (وقد أشرت إلى بعض مظاهر هذا السحير في أماكنها من البحث)

أما كتاب (الكامل في التاريخ) فإن من الأثير يبدو فيه بوضوح أقل سحيراً، وأكثر موضوعية، حيث يسهب في عرض أخطاء رنكي التي أعطلها في مؤلفه الآخر ويشمل لكامل ما تصعبه الباهر من روايات عن رنكي، كثيراً ما نجد شبهةً بها في الأسلوب، إلا أنها أقل تفصيلاً مما هي عليه في (الباهر)

ومحتل التوزيع المحببة الأخرى مكانه خاصة كدث بين مصادر هذا البحث، دث أن إمارة رنكي وعلاقاته شكلت مساحة جمة هة واسعة، انشم

فيها الكثير من المدن والمواقع التي ألفت عن بعضها كتب وصفت أحوالها
بعمق وتفصيل، وهدمت عن أعمال رنكي وشأطه مادة لا تعد كثيراً منها في
كتب التاريخ العثماني

فقد أورد الفارقي (ت ٥٧٢ هـ) في كتابه (تاريخ امد ومسافرقيس)
معلومات مهمة، عن مرء ديار بكر من الأدب والثقافة وغيرهم، لم يذكرها بن
الأثير كما قدم عن مدني من شداد (ت ٦٨٤ هـ) في سيرة الحاصل
بالخيرة من كتابه الأعلام، يحطيه - معلومات مفصلة عن علاقات رنكي
بمنطقته الجورية تعتبر متممة لما قدمه الفارقي وسدوا أهمية من شداد بصورة
خاصة مما أوردته من معلومات عن جماعات كل مدينة من مدن الجورية
وتاريخها السياسي، مما يلقي ضوءاً على امتهرة التي فتح فيها رنكي بعض
هذه المدن وقد أشار ابن شداد أحياناً إلى بعض المؤرخين، الذين نقل
عنه في هذا الشأن وهم الفارقي بالدرجة الأولى، ثم بن القلاسي و بن
الأثير و بن العديم، ولكنه لم يشر - في معظم الأحيان - إلى مصادر أبي
استفي منها معلوماته

أما ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) فقد قدم في تاريخه أربعة الخلف من تاريخ
حبش، رويات بالغة الأهمية عن نشاط رنكي وعلاقاته في شمالي الشام
وبخاصة منطقته حلب، وعن بيه (آق سقر) الذي حكم حلب في الفترة
(٦٦٩ - ٦٨٧ هـ) وجهوده بشر الأمر في منطقته، كما أورد رويات مفصلة
عن نشاط الذي بدله رنكي من أجل السيطرة على دمشق، وعن علاقات
بحكمها، فضلاً عما قدمه عن بعض حوالت شخصيه رنكي وظروف مقتله
أما أهم مؤرخين الذين نقل عنهم ابن العديم فهم بن القلاسي وابن
الجوري وابن الأثير ونهاه الذين بن شداد ثم العنسي (ت ٥٥٦ هـ) الذي
أكثر بن العديم من الأحاد عن (تاريخه) الذي لم يصح كمالاً، بن وصلته
معلومات مفصلة من في التاريخ (المختصر) الذي ألفت لرنكي

ويعد كتاب ابن القلاسي (ت ٨٥٥٥ هـ) (دمل تاريخ دمشق) من كتب التاريخ العامة، إذ يسرد تفاصيل فترة طويلة (٣٦٠-٥٥٥ هـ) ويعطي أحدث معظم العالم الإسلامي خلالها. لكن هذا سم يخرجه عن صفته (المحدثة) بما يقدمه من تفاصيل دقيقة عن الأحداث التي شهدتها منطقة دمشق بشكل خاص، وبحريته والثام شكل عام، ويرجع أهمية ابن القلاسي إلى أنه من معاصري رنكي، ومن جانب دمشق المسؤولين، لذا نجده يقدم روايات دقيقة عما جرى من رنكي وحكام دمشق من حروب ومفوضات ومعهذات، في الجهات الوسطى من بلاد شام، إلا أن أسلوب المؤلف المتجع يجعل قراء كتابه معد وصعبة، بكثرة ما فيه من تكرار لا أهمية به

أما ابن الجوري (ت ٥٩٧ هـ) لدي عاش في بغداد، فإنه يقدم في (المعظم) رويا مفصلة مهمة، عن علاقات رنكي بالحلافة العباسية وسلطة السجوق، وما بذله من جهود عسكرية ومباسة وإذرية في هذا المجال، مما سم يطور إتيه بهذا التفصيل سائر المؤرخين لمعاصرين، إلا أن روايات ابن الجوري، عن الأحداث لني وقعت في جهات ثانية عن بغداد، تسم بالصعف وعدم الدقة بسبب بعده عنها

ويقدم العماد الأصمهاني (ت ٥٩٧ هـ) في كتابه (تاريخ دولة آل سجوق) عددًا من روايات المهمة عن علاقات رنكي بسللاجقه، وبخاصة تلك المتعلقة بأتابكيه، وما ترتب عيه، وبأظروف التي أحاطت بأحداث عياله، إلا أن الذي يقلل أهميه تلك الروايات ما فيه من مبالغة، وسجع في الأسلوب، وسم بصفا كتاب الأصمهاني هذا إلا بالصورة، التي حتصره بها مؤرخ آخر هو البداري (ت ٦٤٢ هـ)

وبعد كتاب (الاعتد) لأسامة بن مقف (ت ٥٨٤ هـ) من المصادر المهمة عن الموضوع، لأن مؤلفه عاصر رنكي ورقة عده منس، وطلع خلال ذلك

عن بعض تفاصيل نشاطاته السامية، وعلى حساب من حده الخاصة ومن ثم نكسب روياته عنه أهمية خاصة لأنها صدرت عن (ساهد عيان معتمد، ولأن فيها إشارات - لا يجدها في مصادر الأخرى - عن بعض الجواب كعروسة، مصد، وعدد من المصادر، ولمهمات شي قام بها ابن سعد نفسه، والتي كانت لها علاقة مباشرة بإماره رنكي

أما ابن راصل الحموي (ب ٦٩٧هـ) فإنه يعمل في كتابه (معرج الكروب في أخبار بني أيوب) عن عدد من مؤرخين الدين سبقوه أو عاصروه كالفارقي وبهاء الدين بن شداد وبنعماد الأصفهاني وسبط ابن الجوزي وابن العديد وبني شامة ويكثر من الاقتباس بشكل خاص عن كتابي بن الأثير الكامل والباهر، لا أنه يقدم أحياناً رويات منفصلة، لم ترد في المصادر الأخرى، لا سيما عن وقع من أحداث في منطقة حماء، سقط رأسه، وفي الأقسام الوسطى من بلاد الشام

وإلى أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) مؤلف كتاب (بروصتين في أخبار لدوشين النورية ولصلاحة)، فإنه يقل معظم رواياته عن رنكي من كتاب (لأهر)، فضلاً عن أحياناً، وتلخص أحياناً أخرى بعد عدة صبا عنها بأسلوب الخاص كما أنه يقل عن مؤرخين آخرين كمن القلاسي وبهاء الدين بن شداد ومن مصد والعماد لأصفهاني وابن العديد، وينتس بعض روياته عن ابن أبي طي الحنفي (ب ٦٣٠هـ) الذي لم تصلنا مؤلفاته، وما فيها من رويات مفصلة لم ترد في المصادر الأخرى، لا سيما تلك التي تتعلق باستيلاء رنكي على بعلبك ومعاقبته لأمرائها بعد استسلامهم، وما أعقب ذلك من أحداث، كما تبدو أهمية أبي شامة فيما يقدمه من أشعار كثيرة لأدباء معاصرين لرنكي، لم ترد في (الباهر) أو في المصادر الأخرى

ولا بد من التنبيه عن كتاب (شر حماء) للبدلسي الذي نُقِصَ في حدود سنة (١٠٠٠هـ) وسأول به ما يبع الأكراد الباسي فقد أدى تأخره الرسمي،

وبقائه الأحب. دون محض، إلى براد كثر من المعلومات عبر لدقيقة،
كنتك التي أوردته عن علاقه ريكى بإدارة تدريس الكردية

وهكذا يتضح أن التوزيع السجلي عدت الروايات لأساسه بموضوع
هذا البحث، كما سميت به من تركيز على مناطق بلدات، وبالتالي تقديم
معلومات متكاملة، ودقيقة عن معظم جهات التي يبعها نشاط ريكى،
الأمر الذي ساعد على مد الثغرات التي كان يمكن أن سقى دون معالجه لو
لم تشر بواريح كهذه

ويمكن أن نصيف إلى هذه المصادر الرئيسية سي قدمت المادة (لأولية
لهذا البحث، كلاً من (مرأة ابراهيم) لسيط ابن لبحوري (ب ٦٥٤هـ) ادي
أكثر الفن عن من السلاسي، و(وفيات لأعيان) لاس حلكار (ت ٦٨١هـ)
صاحب سيرة ابراهيم صلاح الدين، سدي قدم معلومات عن أصل الأيوبيين
وعلاقتهم بريكى، و (المحري) لابن طباط (ت ٧٠٩هـ) الذي أورد بعض
التفاصيل عن عدد من الشخصيات التي تصف بأمر الموصل

ولقد نقل عدد غير قليل من المؤلفات الساحرة عن مصادر آتية لذكر دون
أن تأتي شيء جديد، وهي لا تحف عن ساحتها، لا هي أسلوب عرض
المادة، وبعضها يبع نظام الحويز، وبعضها لاخر يبع نظام لراجم، أو
التقسيم الموضوعي. معظم هذه المصادر تآحد عن كتابي ابن الأثير (ياهرا)
و(لكامل)، إلا أن بعضها بصفت معلومات من مصادر أخرى وأهم هذه
المؤلفات هي (مختصر تاريخ لدون) لابن لبحري (٦٨٥هـ) و(مختصر في
أخبار البشر) لأسى المراء (ت ٧٣٢هـ)، و (المير في خير من خير) و(دول
الإسلام) للدهسي (ت ٧٤٨هـ)، و (نتمة سمختصر في أخبار البشر) لاس
ابوردي (ت ٧٥١هـ)، و (بدي به والنهاية) لابن كثير (ب ٧٧٤هـ) و (لعبرا
لاس حلدون (ت ٨١٨هـ)، و (اسلوك سمعته دون اسلوك) للحمري (ت ٨٧٤هـ)
(هـ) و (شدرات الذهب) لاس العباد (ت ١٠٨٩هـ)

والمصادر الجغرافية أهميتها في تحديد الأماكن، وفي إلقاء الضوء على التاريخ السياسي للظوئف والقبائل ذات العلاقة، وأهم هذه المصادر مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، وأحسن التقاسيم للمقدسي (ت ٣٧٥ هـ) ومعجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦ هـ)، وروضة نقول للمستوفي الفروسي (ت ٦٨٢ هـ) ونصير البلدان لأبي الصداء (٧٣٢ هـ)، ومساكن الأبصار للعمري (ت ٧٤٩)، وصح الأعشى للنفقشدي (ت ٨٢ هـ).

أما المصادر الأدبية والحضارية كالخرية للمعاد الأصمهسي ورسائل صبيح مدين من الأثير، ومساكن الأبصار للعمري، وصبح الأعشى لنقلمشدي، وحفظ مقوبري، ورسد كشف السمات لاس شاهين الظاهري، ونهاية الأرب لموبري، ومعد اسم لرنكي، وغيرها، فإن أهميتها تنصب على تقديم بعض الروايات المهمة عن نجيش والإقطاع و نظم لإدارية، إلا أنها - بحصر بحث هذه الموضوعات ضمن لعهدين الأيوبي والمملوكي، هي مصر واشام - قلب الاستمددة منها إلى حد ما في إلقاء الضوء على نظم لفترة أنني تكلم عنها.

ثم تطرق البحوث الحديثه التي تناولت هذه الفترة إلى علاقات رنكي بالقوى والإمارات الإسلامية، أو إلى نسبه وحياته وشخصيته، يسرع من التفصيل، وصحت اهتمامها على تفصيل علاقاته بالصليبيين فحسب أما عن نجيش والإقطاع و نظم الإدارة، فإن هذه البحوث تناولتها في فترات سابقة أو لاحقة لعهد رنكي، وفي أماكن أخرى بعيدة عن إمارته، مما يجعل من تصمونه إلى حد ما الاستمارة منها في دراسة هذه الموضوعات في العهد المذكور، بالرغم مما بعضها من أهمية نابعة من خاصية لفصل بي كتته المؤرخة الإنكليزية Lampton في كتاب Landlor and peasant in persia. بعنوان The iqta System and the Seljuqu, pp. 61-67، والذي عرضت فيه عوامل نشوء الإقطاع، بالشكل الذي عرف به في العصر السلجوقي،

و نتائج التي برزت عن ذلك ، إلا أنها أكدت في بحثها هذا على مناطق بلاد فارس وما وراء النهر

وكذلك كتاب برلالا (لإقطاع في مصر وسورية وفلسطين و) و دي تاوون فيه ، بمصطلح دوبيو ، تطور الإقطاع في العصرين الأيوبي والممليكي وما تلاهما من عهود ، الأمر الذي لم يتح الاستعانة به في إفاء النقص ، على الإقطاع في عصر عماد الدين زنكي

وهذا أيضاً المقالات المخصصة الي شرف كرد كاهن في عدد من المجلات الأوربية مثل (Arabica) و (Annales) ، و (J. A)

و قد سعت بدائرة المعارف الإسلامية ، بطبعيتها القديمة والحديثة ، لتفسير بعض المصطلحات ، وإعطاء صورة مركزه عن التوزيع السياسي لبعض الإدارات التي كانت لزنكي علاقات بها كبنى أرتق ، وبعض لطراف الكردية في الشمال .

الموصل ، عماد الدين خليل

الفصل الأول نسب عماد الدين زنكي ونشأته السياسية

نسيه ودور أبيه:

ينتمي عماد الدين زنكي بن أقي سفير من عبد الله ك ترعدب إلى قبائل (السام بن) التركمانية^(١) التي اعتنق المصنادر تحديد موطنها، وطبييع علاقتها باسلاجه، والدور الذي لعبه إلى جانبهم وقد حظي ولده أقي سعيد أقي سفير، الملقب بقسم الدولة، والمعروف بسجاحت، باهتمام امؤرخين نسب الدور الذي لعبه على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية للدولة المملوكية فقد كان ممنوكتاً للمسلمين السلجوقي ملكشاه بن أب ارسلان^(٢)، ومن المعروف بده، وقد تربى معه ورافق في عهدي الطفولة والصا وعندما تولى ملكشاه السلطة عام (٤٨٥هـ) كان أقي سفير من أعيان أمراءه وأخص أصحابه، وقد عمد عليه في كثير من الأمور فربعت مسرلته وقب بقسم الدولة يوم كانت لألفب لا تعطى إلا

(١) ابن عديم، نعيه نقب (مخطوطة)، ح ٤ ورقة ٦٧ ظ ٢٧٢ ظ ويضع الموقف نفسه (في سنة الحجب ١٠٣٢ ١٠٤٤) اسم (العماد) بدلاً من (أل برعان) وأعب الظن ان هذا

البحر بن حاء نسب خطاً من نسخ، فاسم الثعلب عربي الأصل لأعلاقة له بالترك

(٢) المصدر السابق، نفس المصنفات، ابن حنكاز وحيات لأعيان ٢١٧-٢١٨.

(٣) ابن العديم ريلة الحجب ١٠٣٢

بمستحقينها^(١) ولا يوجد ثمة إشارة إلى بمقصود من هذا اللفظ، إلا أن تسميته ابن حنك لاقى مستقر بالحاجب، فضلاً عن إشارة بعض المصادر إلى كثرة اعتماد ملك شاه عليه في مهام الأمور، ترجح أن هذا اللفظ كان يعني قدم آق مستقر بمنصب الحجابة، ومقاسمته لحدث شاه شؤون الحكم والإدارة، بحيث أثار مأساة تورير (نظام المثلث)، فأخذ يحدره، ثم ما لبث أن مات عنى لسبب من توليه حلب إعاداً له^(٢)

اشترك آق مستقر إلى جانب السلاجقة في معارك عديدة، فقد سيره ملك شاه عام (٤٧٧هـ) مع عميد الدولة بن فخر الدولة في محاولة للاستيلاء على أنقرة وطردها عن عيسى منها، وقد تمكن من إحراق هذه المدينة^(٣) وبعد مرور سنتين اشترك مع السلطان ملك شاه في اسراع حلب من قوات العيسيين هؤلاء يها تمديراً بجهوده^(٤)، وبمعه فعل ذلك سحابة لإلحاق وريته بضم المثلث الذي كان يسعى لإبعاد خصمه عن مركز لدون السلاجقة وقد تسمم آق مستقر من قبله في حلب وأعماله كمسبح واللاذني وكهر طاب^(٥)، واستطاع أن يوسع نطاق ولايته بالاستيلاء على حمص عام (٤٨٣هـ)^(٦)، وحمص أرميه عام (٤٨٤هـ)^(٧)، كما حرص طاعته على صاحب سير عام (٤٨٦هـ)^(٨) وفي عام (٤٨٥هـ) شارك مع ملكته في

(١) ابن الأثير الباهر ص ٤، وعن عماد الدين ريشي ص ٥٩ وابن حنك ص ١١٠ مخرج الكروب في أخبار بني أيوب ١١٠

(٢) المصادر السابقة، ص ١١٠

(٣) المصادر السابقة، نفس الصفحة

(٤) ابن الأثير الكامل ٥٥٠، الباهر ص ٨

(٥) الباهر ص ٨، وعن عماد الدين ريشي ص ٦٦ وابن حنك ص ١١٠ مخرج الكروب ١٩

(٦) ابن الفلاس في تاريخ دمشق ص ١٢٠، وبنو العجب ١٠٦

(٧) في تاريخ دمشق ص ١٢١، وبنو العجب ١٠٦

(٨) في تاريخ دمشق ص ١١٩-١٢٠، الكامل ١٠ ١٢

مهاجمة لعقيدس والانتصار عندهم قرب الموصل^(١) وقد ظلت علاقة آق سنقر بالسلاطين ملك شاه قائمه على اطاعه وولئهاهم امشرك^(٢) وسم يسم يوماً إلى الحروح على أوامر^(٣)، ورفض السلطان - بدوره - الاستجابة لشكاوى معارضي آق سنقر أو إقرار مساعدتهم بتحطيمه^(٤) وسم يومى منب شاه عام (٤٨٥ هـ) وبوس الحكم بعده به مركبا روى ثار عنه عما تاح لدوره تنش سلطان الشام، وهدت بالسلطنة لنفسه، وقد وجد آق سنقر نفسه مضطراً إلى الانضمام به لعدم إمكان مقاومته، ولأن الأحرار باستقرار مركبا روى هي سلطة جاءت متأخرة وقد استطاعت قوات تش و الأمراء المحليين معه، لاسيلاء على معظم مدن بحريرة كالرحبة ومصيلين ومافارقين، ثم خاضت الموصل بعد أن انتصرت على عقيلين في معركة لعب آق سمر دوراً رئيسياً فيها، وتجهت بعد ذلك إلى أذربيجان لمواجهة السلطان بركي روى وب أن السني السجستان حتى درك آق سمر أن حب ابواء بحهده بمكشاه، واستطاع أن يجمع بعض الأمراء بذلك، فاسحو جميعاً من معسكر تش وانضموا إلى قوت بركي روى^(٥) الأمر الذي نت في عصد تش، فأثر الانسحاب إلى انشام

ما لبث بركي روى أن أمر آق سمر بالتوجه إلى حلب لإيصال مطامع عمه، وأمدته بقوة من جنده بتحقيق هذا الغرض فبدأ عدم تنش بذلك سدر على أس جيئه لموجهة قائده المدميم وهي اساسع من حنادى لأوى عام (٤٧٧ هـ) حتى الطرفان عند قل اسطغان بالقرب من حلب، فحاصب الهريمه بقوت

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ١٢١، معراج الكروب ٢٠١

(٢) الباهر ص ٢٨، الروصتين ١١٠١

(٣) معراج الكروب ٢١٠٢، بيداري تاريخ دول آل سنجوق ص ١٦٦٥، انجيسى

الدولة السجوقية ص ٧٢، ابن الزردى تاريخ ٥٠٢

(٤) ابن بخري يردى النجوم الزاهرة ١٣٣٥

(٥) الكامل ٨٢ ١٠ ٨٣

أق سيقو، ويمكن نشئ من أموره وفتله، ومن ثم انجته إلى حلب و استولى عليها وقد استطاع أحد مماليك آق سقز ان يعلين في جيش نشئ أن يعان سيدة نسحوفي خلال المعركة التي جرت في اعدام لثاني بينه وبين بر كيا روق قرب دي، فحقت الهزيمة بقوت نشئ، و ستب الأمر سر كيا روق^(١)

أسير في سمر . خلال ولايته على حلب أعمالاً شتى كان جميعها تسك من تحقيق الأمن شعالي اشام، في تلك الفترة التي زدد فيها قطاع الطرق، وبشرت فيها أعمال السب والسلب مما ألحق ضرراً بالمرعى ولجاجة هك، وقد قام آق سمر بعنه بمطردة الحرية وقطاع الطرق، ومحضي السبل، فوقع بهم و متاصل شامتهم قتلاً وأسراً^(٢)، وكثب إلى مائر عماله بأمرهم بتبع الممسين وموفر بحماية اتامة بمسافرين، فطوردوا في كل مكان^(٣)، وقد بلغ من تشدد آق سمر في معاقبتهم أن صلب عدد منهم على أبواب حلب بشر اربع في قنوب لأخرين^(٤)، كما أعس بأنه سمر اهاسي أية قرية تتعرض للمواف أو التجار المارون بها لسلب، بمقد ر ما سلب من الأموال قلب أم كثرث الأمر الذي دفع أهالي كن قرية إلى مدد جهودهم في حراسة لقوفل التي يمر بهم، والشهر على أمها حتى تستأنف مسيرها^(٥)

عادت هذه التامة تحارمة التي انجها آق سمر نتائج هامة على المنطقة إذ ساد الاطمئنان، وأمسب الطرق، وانشئ لعمرون^(٦)، فاستتب

(١) ديل تاريخ دمشق ص ١٢٩ - ١٣٠، ابن الجوزي - منتظم ٧٦٩ - ٧٧٠، ٨٥

الكامل ٨٢٠ - ٨٣٠، ٨٦، ٩١، الباهر ص ١٢ - ٥

(٢) ديل تاريخ دمشق ص ١٢٠، ويصل عنه ابن الأثير في الكامل ٨٦١٠

(٣) ديل تاريخ دمشق ص ١٢٠

(٤) معراج الكروب ١٩١

(٥) ديل تاريخ دمشق ص ١٢٠

(٦) نفسه، الكامل ٨٦١٠ الباهر ص ١٥

التحذره وإيراد. يصح انسلد سواردين بالصنيع من جميع الجهات
ولأقطار^(١)، ورحصت الأسعار^(٢)، وقد بلغ من سيطرة آق سنقر على
الأمن في عرى حلب وصياعها أن أرسل من يادي فيها أن لا يعتق أحد
بانه، وأن يتركوا لأهلهم الرراعة في أمكنها سلاً وبهارة^(٣) ومن ثم جاءت
شهرة بده على ما أنجره في هذا المجال^(٤)

تبع آق سنقر مع سكان ولايته سياسة عديدة، فأحسن السيرة فيهم وبشر
العدل بينهم، وكان شديد التقوى، عميق الإيمان، أنفق الكثير من الأموال
على إعمار مسجد حلب^(٥)، وأقام الحدود الشرعية في بلاده^(٦)، وكان - كما
وصفه ابن واصل - إذا وفاء عظيم، وحسن عهد ومروءة غيرة وإلما كان
فته وفاء لسلطانه وب نعمته ملك شاه، وحفظاً بولده - ترك روق - من
بعده^(٧)

نشأته السياسية

يبدو أن من العوم الرئيسيه سي ساعدت على ظهور عماد الدين ركني
مبد عهد طفولته، ذلك الدور مهم الذي لعبه أبوه آق سنقر في شؤون ندوبه
السياسية، العسكرية والإدارية في الأعوام (٤٦٥ - ٤٨٧ هـ)،
و يمكنه انني حصل عليها نتيجة خدماته بلسلاطين السلاجقة، وعنده على
تدعيم كتابهم، حتى به ضحى بحياته كما رأيت في مسلسل بولاء لسلطان

(١) ديل تاريخ دمشق ص ١١٩، ردة الحب ١٠٤٢

(٢) الباهر ص ١٥

(٣) ردة الحب ١٠٤٢

(٤) ديل تاريخ دمشق ص ١١٩ - ١٢٠، الباهر ص ١٥

(٥) ديل تاريخ دمشق ص ١٢٠، الكامل ٦٦١٠، ردة الحب ١٠٥٢

(٦) معراج الكروب ١٩١

(٧) المصدر السابق ٢٧١، الكاس ٨٦١٠

السلجوقي بركا روق. ولم يسر هذا نصيحة أبق سقور في سبل عيشه فجاءه - بعد مئته - بنوحيه لعنايه والاهتمام بحو به بنوحيد عماد الدين رنكي لذي كان ائذاك في معاشره من عمره، وكان يقيم في حلب تحت وعديه مماليك أسه، وأصبحه الدين كانوا يكون تحت العميق لآق سقور^(١)

وعند سنوئي العائد السلجوقي كربوقا على الموصل عام (٤٨٩ هـ) باسم السلطان برك روق، أولى رنكي اهتماماً خاصاً وقال إنه بن أحي، وأنا أوصي باسم تربته، فأحصره للماليك عنه، ودأى ن يمحهم الإقطاع، وأن يظلمهم تحت أمرة رنكي للإعلاء به، ولكي يبيد منهم - كربوقا - في حروبه، لما كان يمار به هؤلاء من شجاعه ومقدرة على القتال^(٢) وسرعان ما صارت بركي مكانة كبيرة في حاشية حاكم الموصل وظل ملازماً له حتى وفاته عام (٤٩٥ هـ)^(٣)

بقيت العلاقة طيبة بين رنكي وشمس اندوه حكرمش الذي أعقب كربوقا على ولاية الموصل (٤٩٥ - ٥١١ هـ) والذي كان أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه وعلى معرفه بالخدمات التي أدارها والد رنكي بمسلاحه، ومن ثم توثقت العلاقة بينه وبين رنكي حيث أقره وحيه وانجده ولداً وظل الأخير ملازماً به حتى وفاته عام (٥١١ هـ)^(٤)

(١) الياهر ص ١٥

(٢) الكامل ١٤٦١، الياهر ص ١٦ ويضيف ابن الأنبر، في المصدر ساسير رويه بنوده روح بمالعه، يذكر فيها ن كربوقا أهد من رنكي خلال حروبه، و به عند توجه للاستيلاء على آمد + جميع حشد منهم من التركمان معاونيه، أخذ رنكي والعاء بين مماليك وألقه وقال لهم (هاتوا عن أنس صابكم) فارتفعت معنويات العرب والمماليك بوجود صبي أبق سقور بينهم في صاحبه الفداء، وقاتلو بجماس وسكنو أجير من هريه الأعداء. وقد اعرض عن الأخذ بهذه الرويه سببه واد المصادر الأخرى لا يوردها

(٣) الكامل ١٤٦١، الياهر ص ١٦

(٤) الياهر ص ١٦

وعندما تلاه حذولي سقاؤه (٥٠٢ ٥٠٢ هـ على ولاية الموصل كان زنكي قد بلغ مرحلة الشباب «ويذب عليه علائم شبهمه»، وساد بصفاء علائق بنوالي الجديد إلا أن عصيان الأخير للسلطان محمد عام (٥١٢) وهروب إلى الشام، دفع زنكي إلى الانفصال عنه وجماعة من كبار الأمراء، في نفس الوقت الذي عين فيه السلطان ونياً حديداً على الموصل هو الأمر مودود بن توتكين (٥١٢ ٥٠٧ هـ) ونصم زنكي ورعاؤه به، مما كان له أبلغ الأثر في نفس السلطان والوالي الجديد علي السواء، الأمر الذي رشحه لأن يكون من كبار مرء هذا بنوالي، وأن يحصل على المزيد من الإقطاعات^١

شارك زنكي مع مودود في جميع المعارك التي حاصرها ضد الصليبيين في الجزيرة والشام وقتل معه على أسوار الرها، وتل يشرق، ومعر، المعين عام (٥١٥ هـ)، كما شارك إلى حدته في معركة طبرية عام (٥١٧ هـ) وقد أظهر خلال ذلك كله شجاعته ومقدرة على القتال أكسبته شهرة واسعة لدى المسلمين، وظل ملازماً لمودود حتى مقتله عام (٥١٦ هـ) على أيدي الباطنية في جامع دمشق^(٢)

عاد زنكي إلى الموصل للتحقق بخدمة الوالي الجديد (جيوش بك)، ثم ما لبث أن انضم إلى الأمر آن مسفر نمرقي الذي وجهه السلطان المماليقي بقتال الصليبيين، في نفس العام فقتل في الرها وسماط ومروح، وأظهر مرة أخرى الشجاعة والمقدرة خلال ذلك ما رده من شهرته لدى المسلمين^(٣)، ودفع سلطان محمد إلى أن يطلب من والده على الموصل تقديم زنكي والرجوع إلى مشورته هديراً لإخلاصه وفيرائه^(٤)

(١) رامي، مدينة تل أعمر لقريبة من الموصل الفارسي، مخطوطة، وره ١٠٠ ب

(٢) الكامل ١٠-١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، الباهر ص ١٧-١٩

(٣) صار زنكي يلعب في هذه الفترة (زنكي) بشامي يشير له عن أحد الأمراء بمقائير في الشام وهو (زنكي بن يرس) صاحب جندان الباهر ص ١٩

(٤) الباهر ص ٢٤

وعندما توفي السلطان محمد عام (٥١١ هـ)، سعى (جنوس بك) إلى استعلاء وجود به مسعود - إذ كان أتابكاً له - ودفع إلى أسوجه بن بعدد رنكي ينصب نفسه سلطاناً على سلاطنة العراق، مستهدفاً من وراء ذلك استحكام العمى في شؤون الدولة السلجوقية باسم السلطان الجديد. وقد أيد رنكي هذه المحاولة، وسار لولي ومسعود موجهين إلى بغداد على رأس حشد من قوات الموصل. إلا أن المحاولة أفضت بعد سلسلة من الحروب والمفاوضات شهدتها منطقة بغداد، واستتب الأمر بسلطان محمود لدي أمق أبه في الحكم^(١). وبعد ثلاثة أعوام حاول جيوش بك أن يثور ثانية ضد السلطان محمود، غير أن رنكي رفض تأييده وأشار على المتمردين بقطعهم السلطان وترك محاربتهم، وحذرهم عاقبة العصيان. لكنهم لم يسمعوا إلى قوله، وأقدموا على تنفيذ محاربتهم التي انتهت في الأحرى بالفشل. بعد هزيمة جيوش بك ومسعود على يد السلطان محمود الذي طعمه موقف رنكي منه فقدرة حو قدره، وأوصى البرسقي ولي الموصل الجديد بالعناية به وتقديمه على سائر الأمور^(٢).

وعندما عين البرسقي عام (٥١٦ هـ) شجعه على العراق، دفعه رنكي واشترك إلى جانبه في المعركة التي دارت ضد ديس أمير الحلة وانهت بهزيمة نرمنقي^(٣). إندي رأى أن يريد من اعتماده على رنكي في صراعه ضد ديس، هؤلاء واسط - ذات الموقع الهام - وكنهه مهمة الدفع عنها ضد هجمات أمير الحلة. وقد استطاع رنكي أن يسحق في طريقه إلى وسط الفرات التي حشدت ديس بلداع عن العماسة، وأن يستولي على هذا الموقع^(٤).

(١) الكامل ٢٠٣١٠ - ٢١٥

(٢) الياهر ٢٢ - ٢٤، ونقل عنه أبو شامة الزوشتين ٧٣-١

(٣) المنظم ٢٣٢٩ - ٢٣٣، الكامل ٢٢٨١٠ - ٢٢٩، الياهر من ٢٤

(٤) الكامل ٢٢٨١٠ - ٢٢٩، الياهر من ٢٥

أظهر زنكي في منصبه الجديد حزمًا وكفاءة، وأبى عن مقعده إذ ربه هذه^(١). لأمر الذي دفع البرسقي، حاكم انعمراق، إلى إضافة البصرة إلى ولايته، لكي يصمد هجمات الأعراب الذين ثمة عليها، ويشر الأمن في ربوعها^(٢). فانتقل زنكي إليها لكي يحقق فيها ما أحره في وسط من بشر للأمن ونصاء على لصوصي، وقد مكس - في وقت قصير - من أن يوقف هجمات الأعراب وعدوانهم لمتنعمه عند حدود، وأن يجلبهم إلى أعماق الصحراء، كما قصي على انقل بني عمت «نصره»، وأظهر مقعده عسكريه ودارية كسني أظهرها في واسط من قبل، مما زاد من مكانته في نظر رجال الدولة السلجوقية، ومن أهله للأعداء، حتى إن دبس بن صدق - أقوى أمراء الخوارج - تحب لاصطدام معه، لأنه أدرك أنه لن في طاقته مجابهته والمعلب عليه، وفصل توحيد جهوده ضد الحليفة العاسي في بغداد بدلاً من مفارعة هذا الأمير القدير^(٣).

لا أن الرسمي ورنكي لم يركا الحليفة يجابه بمقره حدود دبس، فجمعوا قوتهم وسفروا به في مطلع عام (٥١٧ هـ) قريباً من الحدة، وسندعوا - بفصل حطه البرعه التي تبعها زنكي - أن يحقق به هزيمة بكراء، وأن يقتلوا وبأسروا الكثير من جنده، واضطر هو ومن سلم من قوته إلى الفرار، بينما عاد المنسرحون وحنفاؤه إلى بغداد يستقبلهم الأهالي هناك استقبالاً حافلاً، بعد أن حلصوهم من خطر محقق كان يحقق ببغداد ويعرضها للهت والتخريب^(٤). ولم يكن تدخل زنكي في هذه المعركة سبب

(١) الروصبي ٧٣٠، ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ١٩

(٢) المصدران السابقان، نفس الصفحات

(٣) مصبران سابقان، المتظم ٢٤٢، ٢٤٣، الكامل ١٠ ٢٤١، ٢٣٢، الباهر من ٢٥

٢٦

(٤) ذيل تاريخ دمشق من ٢٠٨ ٢٠٩ المتظم ٢٤٢، ٢٤٣ الكامل ١٠ ٢٣١ ٢٣٢

الروصبي ٧٣ ٧٤، ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ١٩

التي ماتت مسقة بجاء الحسنة، وإنما يكونه موظفاً من موظفي لدولة
السلجوقية، يرتبط بشخصهم في العراق ويلتزم بأوامرهم، وكان سلاحه
انذاك يقفون إلى جانب الحليفة ضد عيث مراد البغلة

كان زنكي - لدن معادرتة البصرة - قد فوض شؤونها لمقدم حاميتها
الأمير (سحت كمان) واستعمل ديس بعد زنكي عنها وهاجمها على حين
غرة. وسكن من قتل مقدم حاميتها ونهب أهلها، لكن زنكي ما ست أن
عماد إلى البصرة بفر، الأوصاع فيها من حديد، فاستحب ديس من المنطقة.
واتجه إلى الشام للعمل مع الصليبيين^(١)

أقبل برسفي من شخصته العراق في نفس العام (٥١٦ هـ) وأعيد إلى
الموصل بقيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين، وعين يرفقش الزكوي شخصه
بعده^٢ فأرسل برسفي إلى زنكي يسدعيه من البصرة لينجيه معه إلى
الموصل، غير أن الأخير فصل أن يرتبط مصيره بالسلطان السلجوقي، فلم
يقتب أمر برسفي، وقرر الذهاب إلى أصفهان للالتحاق بحاشية السلطان
محمود، يصحبه عدد من كبار أمرائه، ثم ما بث لأحر أن تنه إلى ما
بلاقيه زنكي من همدان، فلام مراده على عدم لاهتمام به والاعتناء بأمره،
وقرر تزويجه بأرملة أحد أمرائه انكار، ومن ذلك في ختف شهيد السلطان
وعدد كبير من عداة وانمؤوس^٣، الأمر الذي هباً لزنكي فرصة الظهور
في محيط كبار الأمراء، وتعريف رجال دوله سلجوقية بمكانته

عدا - البصرة، عد معادرة زنكي لها مرححاً بموضي وهدفاً لذهب
والتحريض وهجمات لأعراب، وبلغ السلطان ديث فأمر زنكي بنهوضه إليها.

(١) الكامل ١٠ - ٢٢٢، ٢٢٧، البداية والنهاية ١٢ - ١٩١

(٢) المنتظم ٩ - ٢٤٩

(٣) الكامل ١٠ - ٢٢٧، الباهر ص ٢٧ - ٢٨

بعد أن قُطعه إياها (٥١٨ هـ) وطلب منه التحد كفه لإجراءات البلاء لسويد الأمن في المنطقة، كما كلفه مهمة الإشراف على وسط والسعي للدفاع عنها إذ ف فكر لحيته بارسال جيش للاستيلاء عليها، إذ كانت هدفاً لمحاولاته التوسعة^(١)

عند زنكي أصمهان إلى نصرة وبسر مهام مصيه، فأحسن معاملتها، واستطاع أن يحصلهم من هجمات الأعراب، وذلك عن طريق تنظيم دوريات عسكرية دائمة للقيام بهجمات مضادة على الأعراب ونصب تكلمات لهم كما هتم في الوقت ده بأمور وسط، وأحد بمد لسلطان بأخبار العراق بحيث لم يحف عن الأخير شيئاً من أمور، الأمر الذي راد من تقديره لجهود زنكي ومن ارتفاع منزلته عنده، ورشحه بمصبب شحكيه العراق^(٢)

وهي عام (٥١٩ هـ) تدهورت العلاقات بين اصحبة لمرشد والسلطان محمود الذي رأى نفسه مضطراً لسوجه إلى بغداد لحد من مدمج لحليمة، ورفض سطرته المباشرة على العراق وكان اصحبة قد أرسل بعض خوشه بمساعدة عصف لخدام للاستيلاء على وسط، إلا أن زنكي تمكن من صد، والاستمرار عليه في معركة لتي دارت بين لطرفين عند مشارف وسط، وهي العشرين من ذي الحجة وصل السلطان إلى بغداد وأرسل إلى اصحبة يطلب منه إقرار الصلح فرفض الأخير طلبه، الأمر الذي أدى إلى نشوب القتال بين الطرفين وقد رأى السلطان أن يعتمد على زنكي في صراعه هذا، فأرسل إليه يأمره بالتحصن إلى بغداد على رأس قواته، وأن يحلب معه ما يستطيع من روافق حربية وسفر، فعاد زنكي الأمر، وجمع عدد كبيراً منها، إثر جولة قام بها في مناطق العراق الجنوبي بهذا الغرض، وبعد

(١) إياهر ص ٢٨

(٢) نفسه، الكاف ١٠ ٣٤٤

أن ملأه بالمقاتله انحد طريقه إلى بغداد وما أن سمع لحقيقته بما تقدم
زنكي بقواته لحشد برآ وسهر^(١)، حتى أدرك أن ليس في طاقه الصمود
طويلاً وراء شروط السطون، وأن بعدد مقبله على حصار شديد في البر
وسهر، فأرسل إليه يعرض موقفه على الصلح ومن سم دخل لسطون بعدد
حيث تمت المصالحة وساد ابرؤم^(٢) وهكذا لعب زنكي دوراً حاسماً في
وضع حد لمصرغ بين السطون وانجليه، والذي كان من المحتمل أن يؤدي
إلى نتائج لا تحمد عقبها

جمع اسطون محمود - قبل معادرتة بعدد - بكبر قاداته وأمرائه لدشاور
معهم حول اختيار لشخصه الجديد لعراق، في ظروف صعبة كانت تحسم
ترشيح رجل يأمن معه سلطون جانب حقيقه، ويستطيع - في انوف نفسه -
القيام بمهام وجهه على خير وجه وبعد نفس وجهات نظر استقر لاختار
عنى زنكي، ذلك الذي لعب الدور الحاسم في إقرار الأمن والسلام في
العراق قبله اسنوب الأخير، وقد رحب جميع الأمراء بهذا الترشيح وفي
العاشر من ربيع الآخر عام (٥٢٠) صدر مشور سوني زنكي لشحنة العراق
- رسالة إلى ما بعده من (القطع والبلاد - وعادر سلطان محمود بعدد وقد
اطمأن إلى صوده في العراق، بعد أن أدب عنه مع الرجل الذي يستطيع أن
يقوم بمهام منصفه خير قيام، ويحبه عنه المشاكل والأزمات^(٣)

قضى زنكي في منصبه الجديد أربعة أشهر لا يعلم عن أعباء أو علاق
بسلطنة واختلافه خلالها شيئاً يذكر، عصر مديها، ثم ما لبث أن نقل
بعدها إلى ولاية الموصل والخريرة وما يصح من بلاد الشام^(٤)

(١) المنتظم ٩ ٢٥٢ ٢٥٩، ٢ ٥، الكيف ٠ ٢٤٢ ٢٤٣، الباهر ص ٢٨ ٣١

(٢) الباهر ص ٣١ انكام ١٠ - ٣٤٤، المنتظم ١٠ - ٥، ابرو ص ١ - ٧٤

(٣) ويسو أن مصادر باعتمادها في شرح ظروف نبي أدت إلى سوني زنكي الموصل - قد
أملت بحث دوره كشحنة على العراق

ذلك أن عمر الدين مسعود بن البرسقي، وافي الموصل (٥٢٠ - ٥٢١ هـ) توفي عام (٥٢١ هـ) فتولى السلاد من بعده أخوه الصغير، إلا أن وصيه (جاولي) استأثر بالحكم من دونه، وأسرع بمراسمة السلطان محمود طلباً منه إمرار بن البرسقي على الموصل تعديراً للخدمات التي كان أبوه وأخوه قد أدبها لسلالته من قبل، كما رسل وهداً من القاضي بهاء الدين لشهرزوري والخاص صلاح الدين اباعسيباني يستأوص مع السلطان ومسديبه بهما بشأن. ولم يكن جاولي يعلم سوى رجاء وفده وموقفهم منه، إذ كان كل من الشهرزوري وابعسيباني يخافان تحكم جاولي في شؤون الولاية باسم الحاكم الجديد، ولا يرضيان بطاعته والتصرف حسب هواه. لذا فإنهما ما أن عاثر الموصل إلى بعد ذلك حتى اجتمع ههنا بصير الدين جفر صهر ياعسيباني وأكثر أصحاب ركني مبره ومكانه، وعرضوا عليه حقيقة امهمه التي كنفا بها وتحولتها من تحكم جاولي، واستشاره بالحكم من دونهما، فافزع بصير الدين بوجهة نظرهما، وبقصر جميعاً على ترشيح ركني بولاية الموصل والسعي لإقضاء كل من حاكم الموصل الجديد ووصيه جاولي ومن ثم سجنوا إني دار الوريث (أبو شروان بن حامد) وأعلنوه خففة الأوصاف في منطقته الجبيرة والشام، وكيف أنها عدت مسرحاً لمطامع انصليبيين بعد أن هويت شوكتهم فيها، وكيف أن البرسقي رندي وسي الموصل في القصر من ٥١٥ - ٥٢٠ هـ) كان يقف بحرم أمام محاولاتهم الدائمة، إلا أن مقتنه أتاح المجال أمامهم ثانية لموعيل في المناطق الإسلامية، سيما وأن رندي أعصبه في حكم الموصل صبي صغير، وسواء به أنه لا بد بمنطقة الموصل والجبيرة من أمير متمكن شجاع، يستطيع أن يقف بوجه الخطر بصيبي، ثم حموا كلامهم فائتين. إذ جثا لعرص عليك طسعة الظروف الراهنة كيلا يتحد أي إخوان قد يعود ضرره على المسلمين جميعاً فقبضوه بغير إذن الله ويوم السلطان^(١)

١٦٣ الفارسي مخطوطة ورقه ١٠٨ - ١٠٨ ب، الكامل ١٠ - ٢٤٥ - ٢٤٦، البحر من ٣٤ -

ذهب الورير سنجوقي إلى السلطان محمود لشرح له مهمته وقد الموصل وأمرأياته، فأسهر أياغسياني والشهرزوري لفرسه وحسنه رنكي، و سئل عما أب يقررا معه ما كان يطمحون إليه من مكانه في إدارة شؤون الموصل، رد وعدهما رنكي بولية أحدهما قضاء البلاد، وتولية الآخر الحجابة ومرة بجيش وحلف لهما على ذلك^(١) ولواقع أن رنكي أتتحت له بهذا فرصة بدوره لتحقيق طموحه وإشباع برعته إلى الاستقلال والإعراب عن فئوته على الإبداع والإشياء، ولم يكن منصب استحقاقه على خطورته. أكثر من كون صاحبه تابعاً إدارياً لسلطان سنجوقي بمصم لأوامره المباشرة

على إثر الممانلة التي تمت بين الورير لسنجوقي والسيطان قام الأخير باسداء وقد الموصل، وطلب من أعضائه ترشيح من يرويه كمنزلاً لولي الموصل فعرضوا عليه عدد من الأسماء مؤكدين بشكر خاص على مكانه رنكي وكفاءته من دون الآخرين، فعدن سلطان إلى توليته لما علم من شفاعته وتمكنه من إنجاز المهام التي أميط به من قبل، وأمره بالانحضور وبعد مناقشات قصيرة فسح لسلطان بجدارة رنكي في القيام بأعباء المنصب الجديد، ومن ثم أصبح مشوراً بتوجيه الموصل والحريره وما يقتضيه من ملاء الشام^(٢) وسمعه وديته أن أرسلان و حجاجي ليكون أتابك لهما (ي أب مريباً) وقتاً لتفديد السلجوقيه السائدة آنذاك، ومنذ ذلك الوقت سمي رنكي أتابك، وأصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت إشرافه المباشر^(٣)

(١) القاري ورقة ١١٠٨ ١٠٨ م

(٢) القاري ورقة ١٠٨ ١٠٨ م الكامل ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٨، أب هر ص ٢٤ ٢٥ ويقدم ابن خلكان (وجبات لأعيان ٢ ٧٩) معلومات مصطرفة في هذا الشأن إذ إنه لا يفرق بين هذه الناحية وبين محاولة دبس بن سنده (أمير الحنفية) توطئته الموصل بعد غزو رنكي، والتي سرد تفاصيلها في مطلع الفصل الثاني

(٣) ابن خلكان وجبات لأعيان ٢ ٧٩ - ٨٠، بيداري آل سنجوق ص ٨٢، انظر الفصل

وفي الثالث من رمضان عام ٥٢١ هـ وصل بغداد الأمير مجاهد الدين بهرور، ودماً من بلاد فارس، يسوي شحنة العرق عماد بنكي ورجال عاصمه عرق نحو الموصل لتسلم منصبه الجديد^(١)



(١) المنتظم ١٠ ٥، الكاس ١٠ ٢٤٧، ابن كثير، البداية والنهاية ١٢ ١٩٦

الفصل الثاني علاقات عماد الدين زنكي بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية

ما أن توفي السلطان السلجوقي ميكشاه، أمر السلاطين الأموياء، عام ٤٨٥ هـ حتى أحد اعب سبوت يطمحون إلى استعادة سلطتهم الضعيفة في الحكم، ودخل الطرفان في صراع استمرق معظم سني لعقود ثلاثة الأولى من القرن السادس الهجري، وقد على زنكي - اندي بدأ يشق طريقه انداك - أن يحدد موقفه وراء هذا الصراع وقد رأب في صفحات الفصل لسابق كيف سعى إلى التزام جانب السلاحقه نظراً لأرباطه لإدري والعسكري بهم أما الآن وقد منحوه ولأيه الموصل، فقد كان عليه أن يعتق صلاته بهم ويكرس عفاقه لاعدائهم لكنه لم بشأ أن يصطدم مع الخلافة وسعى إلى أن يكون علاقته بها قائمة على التفاهم وانود حرصاً به على عدم استهلاك جهوده في صراع جنسي قد يؤدي بمطامحه إلا أن ظروف الصراع انعقد، امتشكة من العاصمى و سلاحقة اضطرنه إلى الإدلاء بسوء في محري الأحداث سم بعد ن أصبح قوة بها وربها هي ميدان الأحداث

فلقد تعرض، اثر توليه الموصل، لمحاولة مستهدفة عزله عن منصب وإحلال دبس بن صدقه، أمير انجلاء، محله، وكان هذا قد الشحق بعد هزازه من العراق بسجى سلطان سلاحقه حرسى وما وراء نهر، وأصبح من أمراء الجرمى، وصادف أن قدم السلطان محمود برباره بعنه سحر

لتنصيف الخلافات القديمة بينهما ووضع عدده لتصبح، وحتى معادته عاصمة عمه، ستم إليه هذا دبس بن صدوق، وطلب أن يعزل زنكي عن الموصل ويستعير عنه بدليس، وأب يطلب من الحليفة تحسين علاقته بالأخير بعد المشاكل التي أثارها ضد الحلاقة، فاستجاب السلطان محمود بطلبات عمه وعاد خراسان إلى همدان يصبه دسر بن صدوق^(١)

وفي مطلع عام ٥٢٣ وصل السلطان محمود إلى بغداد وألقى من الحليفة المسترشد تاسي خلافاته القديمة مع دبس والسماح له بدخول بغداد، كما أرسل إلى زنكي - في نفس الوقت - يطلب منه الحني عن منصبه وتسليمه لبديس^(٢) فعاد زنكي الموصل مسرعاً إلى بغداد راجعاً سلطان محمود بحصوره لمباغتته، وتمكن - بعد محادثات طويلة - من إبعاده بصورته إبقاءً على ولاية الموصل ذراعاً يحظر بصلبي كما أكد طاعته وإخلاصه له، فجمع عليه السلطان وأمره على ولايته^(٣)، وكتب له مشوراً جديداً بحكم الموصل ولجوريه ولشم، تأكيداً لمشور عام ٥٢١ هـ^(٤)

وهذه الظروف بعده التي أحاطت بهذه القضية إلى جانب زنكي ومكتبته من إقناع السلطان، وإحداث محاولة دبس التي استهدفت الإطاحة بأهل جميعه، وكان على رأس تلك الظروف المساعدة ما بذله الحليفة من جهود لنشيط زنكي على موصل مدفع من كراهيته العميقة بدبس، حتى إنه أرسل إلى السلطان محمود يقول له إن دبساً أعان مريجه ضد المسلمين فكيف توليه؟^(٥) وكان دبس قد انضم إلى خصميين بعد هزيمة عام ٥١٧

(١) ابن الجوزي المنتظم ١١ - ٨ - ٩، ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ١٩٨ - ١٩٩

(٢) ابن الجوزي المنتظم ١٠ - ١١، الكامل ١٠ - ٢٤٩

(٣) المنتظم ١٠ - ١١، الكامل ١٠ - ٢٤٩

(٤) ابن واصل، مخرج الكروب ١ - ٤٠، ريدة الحلب ٢ - ٢٤٣

(٥) ريدة الحلب ٢ - ٢٤٤، ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ١٩٩

وأُسهم معهم في حصار حلب طمعاً بالاستيلاء عليها وحكمها بأن
عهم^(١) ولم يكن أهالي بعد ر أهل كراهية لديس وحصداً عليه من لحيفه
نفسه حتى إنهم تظاهرو صده لئدي دخول العاصمه وراحوا ينددون به
ويهمون بأن يبد وسدء للحليفة والسلطان^(٢) بسبب محاولات دييس
المكررة سبب بغداد وتحريبها^(٣) فصلاً عن مساعده لفصليين ولم يكن
في صاحب السلطان محمود نفسه عول زنكي عن الموصل وهو لئدي وقف
إلى حابه في الظروف الحرجة ولعله سم يهم بمحاولة العزل - أساساً - لا
تحت ضغط عيه سيجر صاحب سبطه لمحب على السلايقه هذا فصلاً
عن أن يعين دييساً في الموصل قد يتيح تسجير أن يتخذ منه صبيحة صد
مصالح السلطان محمود في العراق

طما زنكي يى ولايته طيلة الأعوام الأخيرة من حكم السلطان محمود،
وعندما توفي هذا في منتصف عام ٥٢٥ أرسل زنكي إلى الحليفة استشه
يطلب منه أن يقيم الحطه ببغداد لملث نسليجوي ألب أرسلان - وهو أحد
الملكين الذين أبيض بزكي مهمة لإشراف على تربيتهم - لا أن الحيف
اعتذر عن ذلك محتجاً بأن ألب أرسلان لم يرب صصاً بعد، وأن السلطان
محمود كان قد عهد بالحكم من بعده لولده داود، وأن حكام الأطراف
والولايات قد بذروا فعلاً بحطه للسلطان الجديد، وعينه به سوف لا يقدم
على تحاد أي إجرء بهذا الصدد قبل أن تصله رساله توضيحية من السلطان
الكبير مسجور من ملكنامه، فهو عم نقوم وله انقوب الفصل^(٤)

وهكذا أغلب من يد زنكي فرصة الاستفادة من وفاة السلطان محمود؛
تحت لى اتاحب به مجالات جديدة، ودفعه يى بخروج عن سياسة نولاء

(١) المنتظم ١٠ - ١١، ابن كثير البداية وانهايه ١٢ - ١٩٩

(٢) وبده الحطه ٢ - ٢٢١ - ٢٢٥

(٣) المنتظم ١٠ - ١١

(٤) ابن واصل مخرج الكروب ١٦١

بسلطان اسلجوعي. وحدث محاولة لتعصيب أحد بني السلطان الراحل محمود - المقيم في الموصل تحت إشرافه - سلطاناً على سلاجقة العراق ومطالبه الحقيقه بالاعتراف الرسمي به. وبه بعدو زنكي لمتحكم الفعلي في شؤون العراق باسم السلطان الجديد.

في عام التالي استعاض السلطان محمود بن محمد - حاكم أرمينية - استمارة زنكي لمساعدته في المطالبة بعرش سلاجقة العراق، لقاء محبة مديب إربل الحصينة شرقي الموصل. وسم لأعدائيهما على أن يتجهوا إلى بغداد بمطالبة الحقيقه المسترشدة بالحضرة لمساعدته، والاعتراف به سلطاناً على العراق^(١).

إلا أن سلجوقشاه بن محمد - أخو مسعود الذي كان يطمح هو الآخر بعرش سلاجقة في العراق - سبق أحباء بني محمود، وحارب بحماسة باسخط له، وامتنع الأخير عن بعد طلبه، ولما سمع سلجوقشاه باقتراب زنكي على رأس قواته لموالية لمساعدته، أمر فائده (فرح الساق) بالإسراع في اسوجا شمالاً لإيقاف تقدمه، فوصل إلى مشرف سامراء بأقل من يومين، ودارت المعركة بين الطرفين عند قصر المعشوق على الجهة الشمالية لسامراء، وسبب بهزيمة زنكي وأسر عدد كبير من قواته، فلجأ بمن معه من جنود إلى تكريت^(٢)، حيث أسرع ونسبها نجيم الدين أيوب بإيقاعه لمعابرهم، وإكرام صديقتهم لحسن عودتهم إلى الموصل^(٣). وهناك استطاع زنكي أن يعد تنظيم قواته، بعد أن أبقى عليها أموالاً كثيرة، وجهراً باسمه والمعدات^(٤).

(١) الفصل السابق ١ - ٩٧.

(٢) المستظم ١٠ - ٢٥، الباهر ص ٤٣، الكامل ١٠ - ٢٥٧.

(٣) الكامل ١٠ - ٢٥٧ و ١١ - ١٣٨، الباهر ص ٩ و ١٠ - ١٢٠، وانظر الفصل الثالث للأطلاع على

تفاصيل علاقته ببني أيوب.

(٤) الباهر ص ٤٣.

أدرك كم من مسعود وسجوقشه أن استمرار الصراع بينهما سوف يفتح الفرصة لندخل عمهما ساجر بالقضاء على مصالحهما في العراق فعلا بينهما صلحاً، ووحدا قواتهما لقبال ساجر، فرأى هذا أن يستميل زنكي ويحده حديماً صد حصومه، فأرسل إليه يطلب منه أن يقوم وديس بن صدق بالأسبلاء على بغداد وإعلان الخطبة به هناك وحليفه الملك طغرل بن محمد، ووعد ساجر - في حده نجاح المحاولة - بتولية زنكي سجنكيه العراق - صدقه لمنصبه - وبإقطاع لجنة وديس بن صدقه^(١)

وافق زنكي على عرض السلطان ساجر، لاعتقاده ب النصر سيكون حليف الأخير قد ماضيه مسعود وملكوقشه، وبدأ يستطلع زنكي أن يحقق مريداً من مطالبه، فعاد الموصل بصره درس في طريقهم إلى بغداد، وكان الأحرار مسعود وسجوقشه قد توجهوا لقتل عمهما ساجر وأنزوا المسترشد بالسير معهم، إلا أنه توقف على الحدود من حرق ومارس بانتظار تسوية المعركة التي انتهت بانتصار ساجر على قوات مسعود وملكوقشه وإعلان طغرل بن محمد سلطاناً على عراق، والخطبة به في جميع البلاد^(٢)

كان زنكي وديس قد اتفريا من بغداد، فلما سمع المسترشد بتقديمهم عاد إلى حاصريه، وأحد يستعد للدفاع، وما لبث الطرفان أن اشتبك في أوامر رجب، وحلب الهزيمة أحر الأمر بقوت زنكي وديس عاد بعدها الحبيبة إلى بغداد وتراجع زنكي إلى الموصل أما ديس فقد قام بمحاولة لاستيلاء على الحلة، من إدارته القديمة، إلا أن نائب الحلة هناك تمكن من صدّه^(٣)

سقط مسعود، بعد حروب عديدة أن يعطي على ماضيه، وأن يغدو سلطاناً على سلاحيه عراق وبلاد فارس، بموافقة عمه ساجر، إلا أن زنكي

(١) المستظم ١٠ - ٢٥ - ٢٦، الكامل ١٠ - ٢٥٧ - ٢٥٨، الباهر ص ٤٤

(٢) المستظم ١٠ - ٢٦، الكامل ١٠ - ٢٥٨ - ٢٥٩، الباهر ص ٤٤ - ٤٥

(٣) المستظم ١٠ - ٢٦، الكامل ١٠ - ٢٥٩، الباهر ص ٤٥ - ٤٦

الذي بلغ انداك درجه كبيره من نقوه والتمكن لم يشأ أن يدعى لسلطان الجديد، وأحد يسعى لتشكيل الأحلاف مع الحبيبه ولأمراء المعارضين ضد حكم مسعود حتى إن هذا كان، كلما وقع في أزمة أو دمت صده ثوره نسبها إلى رنكي وظن أنه هو الذي أشار بها وسمى إنها^(١) وكان رنكي - من جهة - يدرك مدى عداء السلطان مسعود له، سب مواقفه العدائيه السابقه منه؛ لذا انصبت حططه صده على عدم إناحه بمحارب ماله ملتفرع وموجه صرته قاصده لمطامحه في المنطقه^(٢)

كان معارك عامي ٥٢٦ - ٥٢٧ مائج هامة بأسسة لرنكي، مه أنه حصر علاقته الودية بسايقه بالسلطان اسلجوقي راسي أدد منها كثيراً في عهد السلطان محمود (٥١٢ - ٥٢٥ م) لكنه حصل - من جهة أخرى - على مديته إربل وب الموقع الهام شرقي الموصل، كما اتسعت شهرته كأعير كبير له وزن في الصراع بين السلاجقه أنفسهم، أو بينهم وبين عباسيين، كما أنه خرج من تلك المعارك وقد عرف على عائلته سي أيوب، حيث كان به الفصل الأول في مسح مجال العمل العسكري والشهد السياسي لأبنائها. لا أن أهم نتائج تلك المعارك كانت - ولا ريب - تدهور علاقات بينه وبين أحليفه لمسرشد

فهي - مع لأول من عام ٥٢٧ م - رسل الحلفه إلى رنكي كتابا يسعي فيه بإلزامه عنه، سب موقفه العدائيه سابقه منه، وقدم رموزه بالإعلاط لرنكي ثقه منه بمواء الحلفه، إلا أن رنكي أمر بالقبض عليه، واحتجازه، ومعاذته على ما صدر منه^(٣) وبما سمع الحلفه بذلك ثارت ثأثره، ووجد انفرصة سانحة لوجيه ضربة انتقامية ضد خصمه، وتوسيع أملاكه باتجاه الشمال ذلك أن السلاجقه كانوا - آنذاك - في دوامة من الصراع العنيف في

(١) الكامل ١١ - ٣٨، نياهر ص ٦٥

(٢) الكامل ١١ - ٣٨، نياهر ص ٦٥

(٣) الكامل ١١ - ٢، نياهر ص ٤٧، ابن واصل - طرج الكروب ١ - ٥٢

بلاد فارس^(١) كما كان بعض الأمراء قد التحوه إلى الحليفة بسبب ذلك الصراع، فقوي مركزه بهم، وسطاع أن يحكم العراق حكماً مدياً، وأن يجبي الأموال لحسابه^(٢)، الأمر الذي برجح انقباض لومه زنكي جاء إثر شعوره بقوة مركزه وقدرته على إنزال العقاب بمنافسيه وأعدائه

وفي أواخر رمضان وصل الحليفة إلى الموصل على رأس ثلاثين ألف مقاتل،^(٣) وكان زنكي لدى سماعه بأرجف الحليفة بقوته تكبره قد عذر الموصل على رأس قسم من جيشه، وعسكر بظاهر سنجار لكي يقوم من هناك بشن لهجمات سريعة على قوات الحليفة، ويعمل على قطع اتصالاتها، وأبقى القسم الآخر من جيشه في الموصل مع (نصر بن بدين جفر) نائبه هناك، ليقوم بمهمة تدفع عن المدينة^(٤) وقد أسرع هذا شخص الموصل وعميق حادقها استعداد بالهجوم السري^(٥)

بدأت قوات الحليفة بشن هجماتها ضد حصون الموصل، وازداد مركزه قوة بانضمام (أبي لهيعة الكردي) - أحد أمراء الأكرد - إليها بجيوش الكثيرة، لاعتقاده بضرورة مساعدة الحليفة في صراعه ضد زنكي^(٦)

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٢) المصادر السابقة، نفس الصفحات

Runciman the History of the Crusades vol.2 pp 194-195.

(٣) يستظم ١٠ - ٣٠ ألفاً من ٤٧ - ٦٦ ألفاً من مصريين من ٢٣ - ٢٥ ألفاً من الجوري إلى أن عدد قوات الحليفة بلغ ثلثي عشر ألفاً، بينما يذكر ابن الأثير وابن الجوزي أنها تجاوزت الثلاثين ألفاً ويمكن عداد برقمين صحيحين لأبى الجوري يفصل في أواخر سنة ١١٠٧ من هذه الحادثة، أما ابن الأثير وابن الجوزي فيؤكدان عدم بدء المراحل الثانية حيث كانت قوات الحليفة تزداد عدد كلما تقدمت من الموصل وذلك بانضمام المنطوقين إليها

(٤) الباهر ص ٤٧، نكامل ١١ - ٢

(٥) الباهر ص ١٠٩، نسخة ١٥٩، ابن حنكاه وفيات ٣٥ -

(٦) المنظم ١٠ - ٣٠

[لا أن حقّر فام بمهمة الدفاع عن المدينة حين فام، فيما كان رنكي يرسل سراياه لسمع وصول المؤن إلى فوف الحليفة وأبصاره، ويشش انهجمات على معسكراته^(١) كما أرسل إلى الحليفة يعرض عليه مبلغاً من المال مقسب إليها الحصار لكن الأخير رفض طلبه^(٢)

مستم الحصار ثمانين يوماً، ولم يبد من قوات الدفاع عن الموصل ما يشير إلى ضعفها، سم أحدب الأقوات بقل يوماً بعد يوم في معسكرات الحليفة بمصل هجمات رنكي، حتى عدا حذره أشه باسمه صرير^(٣) وقد حاول جماعة من عدل الباء (جصاصين) هي الموصل انبام بمؤامرة تستهدف تسليم بلد إلى الحليفة، لا أن مؤمرهم اكتشفت، وأعدموا^(٤)

سمن السلطان مسعود فرصة اشعل الحليفة بحصار الموصل فوجه إلى بغداد لغير مركزه فيها، وتبقى الحليفة أباء تؤكد محاذيه السلطان، لاسعانه يديس بن صدوقه بتحقيق أهدافه^(٥)؛ مما صغره إلى إنهاء الحصار، حاصه بعد ما رأى من إصرار الموصل على المقاومة، وقص عائداً إلى بغداد فوصفها هي لعشر من دي الحجة^(٦) ويدت تحلص رنكي من الحظر يدي كد أن يطيح بإمارته، ويذهب بمكاسب مسين طويله من العمل الذائب

ما ست المسرشد أن أرسل إلى رنكي^(٧) هي مطلع انعدام لتالي (٥٢٨هـ)^٧ يعرض عليه وعينه في انتصاح، فأجابه رنكي دون تردد،

(١) (الباهر ص ٤٧، الكامل ١١ - ٢، ابن واصل ١ - ٥٢)

(٢) المنتظم ١٠ - ٣٠

(٣) (الباهر ص ٤٧، الكامل ١١ - ٢، ابن واصل ١ - ٥٢)

(٤) الكامل ١١ - ٢

(٥) ابن الجوزي - المنتظم ١٠ - ٣٠

(٦) المنتظم ١٠ - ٣٠، الكامل ١١ - ٢، الباهر ص ٤٧

(٧) المنتظم ١٠ - ٣٤، الكامل ١١ - ٦، الباهر ص ٤٨

و بوضع أن سوء علاقته كل منهما بالسلطان مسعود هو سبب سبب من جديد لمواجهته الأحقر الذي قد تنجم في المستقبل القريب، وأرسل زنكي وهداً إلى بغداد ليقدّم لهديته سبباً من المال ومجموعه ثمينة من الهدايا، معرباً بذلك عن طاعته^(١) ومن ثم استمرت مبادلة الهدايا والوفود بين الطرفين، وازدادت العلاقة بينهما وثوقاً، فحدد الحليفة بحث قاصده رسولاً إلى زنكي فيجمع عليه هدايا، ويمنحه هدايا قيمة، ويكرمه إكراماً مائلاً^(٢)

كما نجد زنكي يرسل في مطلع عام ٥٢٩ هـ إليه سفيرة ليس عدي ليؤكد طاعته للحليفة وولائه له، فيتم استمبالاً حافلاً، ويسير في موكب عظيم إلى دار الخلافة، فيأمر الحليفة بإرساله في دار أعدب حصيصاً لهد العرض^(٣) ويظل يتقارب بين الطرفين يرداد يوماً بعد يوم حتى يسبح حياً يجد زنكي نفسه معه مضطراً إلى الاشتراك في صراع لم يشره ضد السلطان مسعود عام ٥٢٩ هـ، بعد أن توترت العلاقات بينهما، وأسبب بإعلان الحليفة وأصاره من الأمور بحرب على السلطان سلجوقي^(٤)

ذلك أن الحليفة أرسل إلى زنكي - سدي كان يحاصر دمشق آنذاك - يطلب فك الحصار والتوجه إلى بغداد للإشراف بنفسه على إدارة شؤون العراق، وإعلان الخطية لألب أرسلان بن محمود بمقام في الموصل، فأحبه زنكي إلى إنهاء الحصار، وعقد صلح مع حكومة دمشق فطلب بموجبه لألب أرسلان على سير مسجدهما الجامع، يوم الجمعة ثامن وعشرين من جمادى الأولى عام ٥٢٩ هـ وأعقب زنكي ذلك برسالة نجد له عدة حلقة، إلا أنها وصلت متأخرة بعد تصد سلطان مسعود على

(١) المنتظم ١٠ - ٣٤، الباهر من ٤٨

(٢) المنتظم ١٠ - ٣٥

(٣) المنتظم ١٠ - ٤٢

(٤) المنتظم ١٠ - ٤٥ - ٤٧، الباهر من ٤٩، الكامل ١١ - ١٠ - ١١

المستترشد في المعركة التي دارت بينهما في العشر من رمضان عام ٥٢٩ هـ، وقد ظل الحليفة مأسوراً حتى منتصف ذي القعدة، حين هاجمه جماعه من ساطيه وفتحوه، فكتب سلطان بني شحنة نعران يأمره بمبداعه الراشد اس المسترشد، فوبع هذا يوم الإثنين أو حر ذي القعدة من نفس العام^(١) وهكذا صارت من زنكي فرصة أخرى، كان يمدد بها لو قدر الانتصار للمسترشد، ونصب ابن أرسلان مستطاباً على عراق، الأمر الذي كان سيؤدي إلى سطره كل من صحيفة زنكي على شؤون العراق باسم السلطان الجديد.

كان من نتائج هذه المعركة أن زاد سور بني زنكي و سلطان مسعود، وبيع هذا دفع سلطان إلى التماس محاربة لاعتباله راتخص من خطره شكل نهائي، فسدعاه إلى أصمهان، بحجة أنه يريد في مقبده، إلا أن دس من صدقة أعينه بالهدف بتحقيقي للاستدعاء فاشع عن الذهاب، وعدم دفع السلطان ما معه ديس أمر بقتله^(٢)

ما لبثت إعلانات أن سدهورت بن الصحيفة الجديد وبن السلطان مسعود، وجمع بني الراشد عدد من الأمراء المباحين للسلطان، وحبسوا به العمل على إسقاطه والمجيء سلطان جديد برصونه^(٣)، وفي شهر صفر عام ٥٣٠ هـ وصل زنكي بعدد قداماً من الشام، بعد أن استدعاه الراشد واتفق معه على إعلان الحليفة لأب أرسلان المقيم في الموصل^(٤) ونصم إلى الأمر بنين كانوا قد حرصوا الصحيفة على إعلان العصيان ضد السلطان مسعود^(٥)

(١) المنتظم ١٠ - ٤٥ - ٥٠، الكامل ١١ - ١٠ - ١١، الباهر ص ١٩ - ٥٠

(٢) المنتظم ١٠ - ٥٣، ريدع بعلب ٢ - ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) المنتظم ١٠ - ٥٥، الكامل ١١ - ١٥، الباهر ص ٥١

(٤) التذمة في مخطوطة ورفه ٤ - ١١٥، بن بيري بردي نجوم الراشره ٥ - ٢٥٨

(٥) المنتظم ١٠ - ٥٥

وحد الخليفة أن امرأته قد سحبت بالعمل فأبى لحضه مسعود وحبوبه
 ود بن محمود خلاف بما تم الاتفاق عليه مع زنكي^(١)، وعدم السلطان
 الحديد تعيين شجعه له في العراق^(٢)، ولم يمتص على ذلك سوى وقت قصير
 حتى دبت التحالفات من الراشد وسائر الأمراء بسبب الجفافات والأحقاد
 البديهة، ومحاولة الخبيثة، استعلان مركزه القوي ليطش برجال حكومه
 المسترشدين، الأمر الذي أعضب عدداً من الأمراء فسحبوا من بغداد، وقد
 مدد زنكي جهده بتدريك الأمور قبل موت الأوائ، وطالب الخليفة بتحجير
 اسميلير بالأمور، وناسي خلافاته صديقه، لكن الخليفة رفض مطالبه
 الأمر الذي دفع عدد من رجال الحكومه إلى الاتجاه إلى زنكي^(٣)

كان سلجوق شاه (أخو سلطان مسعود) قد وصل آنذاك إلى وسط
 وتمكن من الأسبلاء عليها، مما اضطر الراشد إلى أن يدع زنكي مبعثاً من
 المال لكي يتحجر لأسر داذ هذا الموقع اسهم حوبى بعدد^(٤)، لكن زنكي
 لم يستطع أداء هذه المهمة ونهى رحمه على واسط بعد صلح بينه وبين
 سلجوق شاه^(٥)، مما أعاد لشكرك ثابته بينه وبين الخليفة^(٦)، إلا أن الأخير
 رأى ضرورة استعمال زنكي وتحسين علاقته به بالاعتماد عليه في تحقيق
 مظامحه، وحرب بين الطرفين مقابله وديه سهت بتوحيد الصغوف نائب
 والامتداد لقتال السلطان مسعود^(٧).

(١) عنه، ابن دحل - مخرج الكروب ١ - ٦٤

(٢) الكامل ١١ - ١٥

(٣) المنتظم ١٠ - ٥٥، ٥٦، الباهر من ٥١ - ٥٢، الكامل ١١ - ١٥

(٤) المنتظم ١٠ - ٥٧

(٥) الكامل ١١ - ١٦ - ١٧، مخرج الكروب ١ - ٦٤، أم ابياهر ٥٢ - ٥٣، فيرد واية بسم

بطابع المبالغة والتمجيد لدور زنكي، أعرضنا عن ذكرها

(٦) المنتظم ١٠ - ٥٦ - ٥٧

(٧) المنتظم ١٠ - ٥٧، مخرج الكروب ١ - ٦٥، الكامل ١١ - ١٥

تفق المتحالفون على بوحه صديقتهم للسلطان مسعود في بلاد فارس نفسها، إلا أنهم ما أب قطعوا مسافة قصيرة حتى ورد خبر بوحه مسعود على رأس فواته صوت بغداد وارتزو أب يعودو إليها لاتحدد الإجراءات لدفاعيه اللازمة لصد الهجوم^(١)

ما لبث السلطان مسعود أن فرض تحصنا على بغداد وجرت مفاوضات ومعاركة حاسه بين الطرفين لم يسفر عن سجه حاسمه، وسعى السلطان إلى إحلال الصلح بينهما. فتل دون جدوى، وأحدث الأوصاع داخل بغداد. فترداد سوءاً يوماً بعد يوم، وفي مطلع شوال استطاعت قوات مسعود أن تدخل الجانب الشرقي من بغداد وتوسعه بهياً وافساداً مما فاق في عضد المدافعين، يضاف إلى هذا أن رنكي أدرك مدى انجهد التي يبذلها السلطان لنصاء عيه، وتبين له عدم جدوى المعايمة، سيما بعد أن نشر اشكوك من جديد بين الأمراء، فأشار على الراشد ب يرحل عن بغداد بصحبته^(٢)

وفي ليلة السبت، منتصف ذي القعدة عذر الخليفة رنكي بغداد صوت الموصل تصحبتهما فواتهما ورجالات حكوميهما، وفي اليوم التالي دخل السلطان مسعود بغداد، وأعلن عن جمع برشد ووليه لحلافه عمه المقضي^(٣)

وصل رنكي وأرشد الموصل في لحادي عشر من ذي الحجة، ولقي الأخير من حبيبه كل تدبير وكرم، وكان يسمن معه خلال حركاته في المنطقة^(٤) وظلت لحظة الخطة تحديد (المقضي) مقتصره على بعض

(١) المتظم ١٠ - ٥٧، مرجع الكروب ١ - ٦٥

(٢) المتظم ١٠ - ٥٧، الكامل ١١ - ١٢، مرجع الكروب ١ - ٦٥

(٣) المسهم ٥٩ - ٦ - تكامل ٢ - ٨، الباهر ص ٥٣ - ٥٤، مرجع الكروب ١ - ٦٥

٦٥ - ٦٦، ندرهي المخطوطة، ورغ ١١٤ - ١١٥

(٤) المتظم ١١ - ٦٢، الباهر ص ٥٢ - ٥٣، الندرهي ورغ ١١٦ ب

أنحاء العراق^(١) سمع ستمرت مناطق الموصل والجزيرة ولثم يحطط
لراشد الذي كان يسمع بحماية زنكي وتأيدته، وراحت شاذة تشير إلى
احتمال قيام زنكي والراشد بالرحف على يد من جديد^(٢)

عمر أن هذا سم يدم طويلاً، فقد شعر كل من الراشد وزنكي بصعف
موقفهم في علاقة والسلطة، وبهاء حاة الحرب بين الطرفين، إلا أن
المسؤولين في بغداد رفضوا مقايته رسول الراشد، أما رسول زنكي،
القاضي كمال الشهروري، فقد استقموه باسقاطه والإكرام رعة مهم في
استمالة مبداه وكسبه إلى جانبهم؛ الأمر الذي أتاح لهد رسول أن يسجر
مهمته على خبر وجه، ولم يكتف بذلك بل طلب مقايته لسلطان مسعود
نفسه وأحد من اليهود بقاء زنكي واستمره عما في نفسه^(٣)

عد شهروري إلى الموصل يحمل معه محضرُ ندع الراشد، وأرسل
المضفي - في نفس الوقت - معوثه الخاص بأحد النعة من زنكي، وسقط
من إبعاد الراشد عن الموصل، كما وردت رسالة من السلطان سجر، كبير
السلطنة، يؤكد فيها ضرورة إبعاد راشد عن الموصل، وهكذا وجد زنكي
نفسه مضطراً إلى الحني عن حبه ولمايعة لمحبة الحديد والسر من
الراشد النضي إلى حبيبه الآخر أحمد دارد بن محمود السلجوقي في
أذربيجان، فعادر حليفه مخلوع الموصل صوب أذربيجان حيث انضم إلى
دارد، ثم ما لبث أن قصد أصعوان حيث عماله لباطية في أوجر مضار
عام ٥٣٢ هـ^(٤)

(١) ابن الفلاس: دبل تاريخ دمشق من ٢٥٦ - ٢٥٧

(٢) المنتظم ١٠ - ٦٨ - ٦٩

(٣) الكامل ١ - ١٨ - ١٩، الباهر من ٥١، معراج الكروب ١ - ٦٨ - ٧٠ - ١٩ - ١٠

(٤) المنتظم ١ - ٦٧ - ٥٨ - ٧٦، الكامل ١٩ - ١١ - ١٩، الباهر من ٥٤ - ٥٥، بشارتي: مخطوطة

١١٦ - ١١٧، معراج الكروب ١ - ٧٠، ويعد ابن عري بوي (سجود الزهرة ٢ - ٢٥٨)

معلومات خاطئة

تحت العلاقات، اثر هذه الصفه، بين زنكي المستطون مسعود، وفي ربيع الأول من عام ٥٣٢هـ بعث المستطون رسوله بالشريف الكامل زنكي وتلقى بدوره كتباً من مصير جعفر، نائب زنكي، بشرح فيها أحوال الموصل^(١) كما قام زنكي في رجب من لعام نفسه بإرسال قاصد (الشهرذوري) بشرح للسلطان خطوره الأوضاع في شمالي الشام، ويهدد القوات الصليبية اجتماعه مع لروم لمدينه حلب، ويطلب منه تجدد عسكري بمحاذاة حد يحظر وكان الشهرذوري قد أعرب لزنكي عن خوفه من دخول قوات السلطنة بلاد الشام، واحتمال اشتغالها على مستنكاه فيها، إلا أن رد الأخير جاء قطعاً (إن الصليبيين قد طمعوا في البلاد وإن هم سبوا على حلب ثم يس في الشام (إسلام)، وعلى كل حال فالمسلمون أولى بها من الكفار)^(٢)

سقط الشهرذوري إصاع المستطون مسعود بإمداده بعدد كبير من قواته بعشرين ألف فارس، لكن زنكي سرعان ما أرسل إلى بغداد بعدم رسول أن قوت نصيبين وروم قد رحت عن حلب، ويطلب منه إعادة أسجدة السجوية إلى سلطانه بعد رد دم تعد هناك حاجه إليه^(٣)

ستمرت العلاقات سودية بين الظرفين، وفي رمضان ٥٣٢هـ قدم إلى زنكي، وهو على أبواب حمص، رسول من المستطون مسعود وحلج عليه^(٤) وأغلب نظر أن ذلك كان لهيئته على الامتدادات التي حققها ضد الصليبيين^(٥)

(١) ابن الفلاس في ذيل تاريخ دمشق من ٢٦٣

(٢) الباهر من ٦٢ - ٦٣ الكامل ١١ - ٢١، أبو شامة الروضير ١ - ٨٩ - ٩١

(٣) انصار السامقة من الصفحات، انظر الفصل السابع (زنكي والصليبيون)

(٤) ابن الفلاس في ذيل تاريخ دمشق من ٢٦٧، وفيه الحب ٢ - ٢٦٩

(٥) انظر الفصل السابع

ويبدو أن السلطان مسعود لم يكن مطمئناً بما كان يسمع به زنكي من استقلال، ولم يمسكه من بغداد، أحد يرداد سعة يوماً بعد يوم، لذا راح يسيطر المرحضه المواليه لنوحيه صربه حاسمه صده، سيما بعد أن رشح الاعتماد بديه أن حصنه هذا كـ دائماً وراء نفس والثورات التي استهدفت الإطاحة بمسوده في العراق، وأن همدأ كبيراً من الأمراء كانوا يلزمون بالخطط التي يرسمها والمحاولات التي يقوم بها صده^(١)

وقد أتاحت لمرضه عام ٥٣٨هـ لقيام السلطان مسعود بنوحيه هذه الصرية، وذلك إثر حادثة مقتل الأمير نسخوفي دود بن محمود في سرير. ذلك لعام، على أيدي الباطنية، واشتد شائعات تقول بأن زنكي هو الذي دبر اعتيابه بالانفاق مع جماعة من حشاشي الشام، عندما بلغه أن السلطان مسعود كان قد عول على إرسائه للاستيلاء على الشام، وأن زنكي أدرك أن هذه الحجة سوف تقضي على مشاريعه هناك وأسرع بمدير عياله^(٢)

وكان السلطان قد أنهى برأيه مع عداائه ومناصبه وتمرع لمهت الجديدة، فجمع قوائمه وعزم على توجه إلى الموصل للاستيلاء عليها، وصمم ممتلكات زنكي إلى ذلك. ولما علم الأخير بذلك أرسل يستعطف ويسببه فبعث مسعود إليه رسالاً يتعارض معه، وانتهت بمعارضة بعد الصلح ويقف السلطان لهجومه و (بقرار زنكي على إمارته)^(٣) وقد اشترط في بيود نصيح أن يدفع زنكي للسلطان مبلغاً قدره مئة ألف دينار، وأن يسد له عن بعض قطاعاته في بعد ذلك^(٤)، كما طلب السلطان حضور زنكي بنفسه إلى بلاطه لإعلان الصلح، إلا أن الأخير مشع معتدراً بأشغاله في

(١) الكامل ١١ - ٢٨، الباهر ص ٦٥، ٨١

(٢) البنداري آل سنجوق ص ١٧٧

(٣) المتظم ١٠ - ١٠٥، الكامل ١١ - ٢٨، الباهر ص ٦٥

(٤) المتظم ١٠ - ١٠٨

جهاد نصليبيون، لم يكن هؤلاء، وقرينهم من ملاده) فعند هـ سلطان، وشروط عليه العمل على فتح الرها^(١)

ويذكر أن السلطان مسعود أدره، خطورة، التوسع في الجزيرة وشمالها الشام، حيث عدا النصيبين، يشكون خطراً مباشراً على لمطعة، وحيث استطاع رنكي - دون مساعدة لسلطين - انحد من ذلك الخطر، ويرغم النصيبين على التراجع، و لنحني عن كثير من مديهم ومواقعهم هذا فضلاً عن أن سلطان - حين عزم على ضرب رنكي - جوبه بمعارضة شديدة من رجالات دولته ومواطنيه على انسواء، من أجل رضاء، الموصى كحاجر قوي متمسك أمام أطماع النصيبين، وقد أوضحت هذه المعارضة أن رنكي هو الأمير الوحيد في لمطعة، الجدير بالنصيبي لثبات الأطماع، وأن القضاء عليه يعني فتح الطريق إلى العراق أمام الأعداء^(٢)

وإلى جانب ذلك قام رنكي بمناورة بارعة، اكتسب من ورائها عطف السلطان مسعود وصدافته، ذلك أنه استقدم سرّاً به سيف الدين الذي كان مقبلاً لدى السلطان، فلما وصل انموصل معه من مدحون وأغاده إلى السلطان ومعه رسول ليقول على لسان رنكي (ربي يلغي أن ولدي هارق الخدمة بغير إذن، فلم أجمع به، وردده إلى يدي^(٣))، محل ذلك لدى السلطان محلاً عظيماً، وكان أحد العوامل المهمة في استجابته لمطالب رنكي^(٤) فهذا ما أصيب إلى ذلك حصانه بدارة الموصى، وحبوب انماوي وعسكرية^(٥)، وصعوبة توحه صرة حاسمة صدها أدرك الأسباب التي دفعت السلطان مسعوداً إلى إيقاف هجومه

(١) الأياض من ٦٥، ١١/٢٢٥ Runciman Crusadea.

(٢) المصدر السابق من ٦٥ - ٦٦.

(٣) نفسه من ٦٥ - ٦٦.

(٤) الكمل ١١ - ٢٨.

وما ن سم أصبح بين الطرفين حتى أرسل زنكي عشرين ألف دينار مما السرم بتقديمه بسططان، ثم اضطر لأخير إلى إرسال له عن بهيه لمبيع بسبب خروج بعض أمراء الأصف على السلافة. الأمر الذي دفعه إلى مداره زنكي وكسب وده^(١) وقد استمرت العلاقات لودية بين الطرفين طيلة السنين الأخيرة من حكم زنكي، وخاصة بعد نصر نعظم السدي أخيره ضد الصليبيين في الرها.

ولم تكن علاقات زنكي بأخيه عباسي (المقتفي) - طيلة هذه فترة - بأول وديه وبمحافظة من علاقته بالسلطان فقد استمرت اتصالات المتدادين سهم من صدح عام ٥٣١هـ، وقد ساعدت على ذلك المساعدة بمساعدة التي اتحدت بمقتفي تجاه سلافة - على العكس من الحقيقين السابقين المسترشد والراشد الأمر سدي مكن زنكي من المحافظة على علاقته الطلة مع الحنفية وقد أرسل هد إليه عام ٥٣٢هـ يطلب منه إطلاق سراح الريسى قصي فضاة بعداد السابق، الذي كان محجراً في الموصل من عام ٥٣١هـ بسبب موافقه صغادي بمرشد السلافة وقد استجاب زنكي لطلبه السابعة وأطلق سراح الريسى الذي عادر الموصل إلى بغداد حيث أعيد إلى منصبه^(٢)

وفي أواخر شهر رمضان من العام نفسه أرسل الحنفية رسلاً إلى زنكي ليجمع عيه ويهته بالنصر الذي حقه ضد الصليبيين شمالي الشام، فحنس زنكي به، ورسول سمطون السدي كان يرافقه، وأكرمهم إكراماً واسعاً^(٣) ومن ثم لم يرد ما يشير إلى حدوث بأرم بين الطرفين طيلة السنين الأخيرة من

(١) نسخة ١ - ٢٨ - السامر من ٦٦، أما بن بجوري (مخطوطة ١٠٥) فيحمل المبيع المدفوع للالين ألفاً بدلاً من عشرين

(٢) السمتظم ١٠ - ١٣٥ - ١٣٦ الكامل ٢٧١، السرمي مخطوطة، ورقة ٦٦ ب ١١٧

(٣) بن واصل مخرج الكروب - ٨٣، و نظر فصل (زنكي والصليبيين)

حكم رنكي، حيث سورت العلاقات ابوده سهما، واردات وثوقاً بعد فتح رنكي لها عام ٥٣٩هـ حيث منح الحليف عدداً كبيراً من الألقاب الشرفية كالأمير الكبير العدل المؤيد انظر لمصور^١

وهكذا يضح ان رنكي كـ يجمع باستقلال كبير في سياسته تجاه السلطان السجوقى والحليف عباسي وعدا يشكل قوة لها أثرها في الأحداث اسي دارب في العراق، إذ حاول تباع سياسة عدم الولاء لمطوق لسلطان السلجوقي، وسعلا تدمر بعض الحلفاء عباسيين من لسيطرة السجوقية بصوب هذه لسيطرة مباشرة ونكه - بابعه هذه اسباسة - لم يحصل على نتائج مهمة لصالحه بل عكس، كاد ان تهدد حكمه في كثير من الأحيان وبولا الدور اندي كـ يقوم به ضد الحظر الصديقي، وجمعه من إمارته حاجراً بصد عن أملاك اسلاطين هذا الحظر، كان من المحتمل ان تتعرض إمارته لهرب خطيرة - كما كاد ان يحدث عام ٥٣٨هـ - ربما أودت بنساء، الذي سهر رنكي على رقايته لسبين بطوال



(١) ابن الفلاس: ديل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ١١/237 Runciman: Crusades

الفصل الثالث

عماد الدين زنكي وإمارات المدن

شهدت منطقة الموصل والحيرة وشمالي الشام في هذه الفترة عدداً كبيراً من المدن المنفردة التي استأثر بحكم كل منها أمير شبه مستقل، والتي كانت تتصرف عن إمارات المنطقة بكونها صانعة لها لم يكن يملك إلا حكم المدينة وحدها وما يحيط بها - أحياناً - من أرض محدودة. وكان حكام هذه المدن عرضة للتدخل والتغيير من حين لآخر، بمجرد ظهور أمير قوي تتحج به إمكانية العسكرية كمنح أولئك الحكام، ولذلك فإن معظم هذه المدن لم تشهد حكماً وراثياً طويلاً ممدداً، كما كان الحال سابقاً في كثير من الإمارات المنفردة، الأمر الذي جعل حكام تلك المدن أقل شهرة بكثير مما هم عليه الأمراء المحليين.

بدأ زنكي محاولاته لتوحيد المنطقة بضم هذه المدن، لضعفها ونزولها وصين مساحتها. وكان ولاية الموصل الدين سيفه قد عجزوا عن اكتساحها وبالتالي عن تحويل السلطة الرسمية التي منحهم أسلافة إمامها، بحكم الموصل والحيرة وشمالي الشام، إلى سلطة فعلية. لذلك سعى زنكي للقضاء على هذه المواقع المستقلة كي يمدد سلطته في هذه المناطق أولاً وأخيراً.

كانت لواربع البوابة على طريق الموصل، عند مصب الراب الأسفل - أوسى الموضع التي استولى عليها زنكي - ذلك مدى توجهه إلى الموصل عام ٥٢١هـ. تولي مهام منصبه، مستهدفاً من وراء ذلك تحادها حفظ رجعه له لحيوية ظهوره في حانة بصدي خاوي. وصي حاكم الموصل - من خلفه ثم

استمر في سيرة نحو الموصل وعندها وصل جاولي بأ تقديمه على أس
قوت حاشية، يحمل معه مشور السلطان بحكم الموصل، أدرك أن ليس
في طاقته التصدي له، وثر انسلاخه، فخرج لاستقباله، يصحبه أمرا
الموصل وودتها، وما أن انتهى به حتى ترجل وقبل لأرض بين يديه وأعلن
طاعته له، فأعطاه رنكي مدينته رجب وأعمالها، وسيره إليها^(١)

جزيرة ابن عمر ٥٢١ هـ،

دخل رنكي الموصل، وأقدم فيها فترة قصيرة ربما يعد نظم أمورها
الإدارية والعسكرية لي اضطرب إثر الأحداث التي أعقبت وفاة واليه عمر
الدين محمود بن البرسمي^(٢)، ثم ما لبث أن عاودها صوب الشمال
للاستلاء على جزيرة ابن عمر والتي كان يحكمها أحد ممالئ البرسمي^(٣)
فسمع هذا المملوك عليه معهداً على حصانة مدينته فرساله رنكي وعرض
عليه عروضاً مغرية ليقبضه بالاسسلام؛ لكنه لم يستجب له، فاضطر إلى
شديد الحصار على المدينة ليدخلها قوة بعد أن أعجزته الأساليب لللب
عن تحقيق هدفه، وسرعان ما وجد سكانها أن لا طاقه لهم على محمود
فأعلنوا استسلامهم وفق شروط رنكي الذي فتحت له الأبواب ودخل انهم
على رأس قواته^(٤) ولعبه بد بمهاجمة هذا الموقع قبل غيره من المدن
والفلاع سبب قربه من الموصل، وأهميته العسكرية والاقتصادية

(١) الفارسي - مخطوطة، ورقة ١٠٨ - ب، الكامل ١٠ - ٢٤٦، الجزء من ٣٥

(٢) بقية فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام معتمد التبادل ١٣٨/٢، تاريخ مصادر

(٣) المصادر السابقة، نفس النسخات

(٤) صحت جزيرة ابن عمر بفتح الموحدة عند أدغدا صاحبها (حكرق) والد على الموصل
عام ٤٩٥ هـ، ويصنف كذلك عليه عهد لولاء الأمير أحميد جاولي سنة (٥٠٢ - ٥١٢ هـ)
ثم محمود (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ) ثم حيوش بك (٥١٧ - ٥١٨ هـ) ثم آق مستر البرسمي (٥١٥ -
٥٢١ هـ) عليه محمود ٥٢٠ - ٥٢١ هـ وكان هؤلاء يسيرون معهم أحد أنباهم
لحكم هذه المدينة (بن شداد) لأغلاي الخطيرة المخطوطة، قسم بجزيرة ورقة ٥٨
ب ٥٩ ب)

حلب ٥٢٢هـ:

كانت حلب أهم مدينة في الجهات الشمالية من بلاد الشام، لحصانتها ومكانتها الاقتصادية وموقعها المهم على خطوط المواصلات بين بلاد فارس والعراق من جهة وبين الشام وأسيا صغرى من جهة أخرى، ومن ثم عدت قاعدة عسكرية رئيسية مد عهد طويل، لا يمكن - بدونها - التحكم في الجهات الشمالية والوسطى من بلاد الشام

ولما كان زنكي يهدف إلى الاستيلاء على دمشق، واتحادها فاعده، لوحيد بلاد الشام، وقبيل الصليبيين، كما كان يهدف إلى بناء مباح مسير حول إمارته يحجبها لأخطار^(١) تحدث كان لابد له من الاستيلاء على حلب لضمان تحقيق هذه الأهداف، وهكذا نجد أن أهم ما كان زنكي يسعى لتحقيقه، إثر توليه الموصل هو (عبور الفرات وميث حلب - ثم الاستيلاء على غيرها من البلاد الشاميه) كما أعلن ذلك بنفسه^(٢)

كانت ظروف أندك مواتية لزنكي لتحقيق هذه هدف، إذ اضطرت أحوال حلب واجتاحتها الفوضى إثر وفاة عمر الدين مسعود عام ٥٢١هـ وفساد بابه (قلع ابنه) بإداره شؤونها^(٣)، حيث استمر الصليبيون الفرس وعادوا إلى شن هجماتهم العديدة للاستيلاء على هذه الموقع المهم، واتحادها فاعده بعد سقوطهم بسجاء الشرق والجنوب الشرقي - وقد رافق ذلك انهجمات بدو الأحرار الاقتصادية لمصطفة، وانتشار الحوف والقلق بين السكان^(٤)

(١) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٢٦

(٢) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٢٦

(٣) الباهر ص ٧٩

(٤) المصدر السابق ص ٣٧

ومما اذ في اضطراب الأمور استمسة بقلعه انقي سمها (قتلح انه) ومصادره أموال اساس، وتسيط أجاده عليهم، مما دفع الحبيير إلى التكتل حول نائب حلب السابق سليم بن عبد الجبار بن أرتق، وإعلان الثورة في مطلع شواب ضد قتلح انه الذي يحضر في قلعة وقد أوج ديث بتصليين فرصة سيد عربات أعف ضد حلب، الأمر الذي عرفل ثوره سليم بن عبد الجبار، إذ مورعت جهوده من تركيز الهجوم ضد قلعة، ومن الدفاع عن البلد ضد الصليبيين، وضاظر أحرأ إلى حرء مفاوضات معهم انتهت بعد عدة بين الطرفين، سميت إليهم بموجه بعض الماطل برراعية للمحيطة بالجهب العربية من حلب، إلا أن ذلك لم يحضر هذه مدينة التي لفتها الموضي من كل مكان^(١)

وما ن استقر زنكي في الموصل حتى توجه إليه صاحب قلعة جعفر العربية من حلب، وشرح له سهور لأوضاع في المنطقة، فأمرع بإرمان اثير من كبار أمراء البرسمي، المظنحين على دقائق التطورات في حلب، على رأس حش كير وصديقه مشور سلطان سنجوقي له بحكم الموصل وسجيرة وإشام، كي يدعم مهمتهم من ناحية البرسمي^(٢) وقد تمكن عدد الأميران - بما معهما من قواب - من إعادة الاستمرار إلى حلب، وبعد صلح بين الطرفين أنصارعين وتم الاتفاق - كذلك - على أن يتجه كل من قتلح آبه وسليمان، بن عبد الجبار إلى الموصل بمعية زنكي^(٣)

ما أن اطمأن زنكي إلى نجاح مهمة أمره، حتى بدأ يتوجه نفسه إلى حلب، فأرسل أولاً حاجه اياغسامي لنظيم أمورها الإدارية، وتمهد الطريق

(١) ديل تاريخ دمشق ص ٢١٨، الكامل ١٠ - ٢٤٧ - ٢٤٨

(٢) اياغ ص ٣٢ - ٣٦ - ٣٨، الروضتين ١ - ٧٦ - ٧٧، ٧٨ - ٧٩

Rundiman Crusades 11/182

(٣) ديل تاريخ دمشق ص ٢١٨، الكامل ١٠ - ٢٤٧ - ٢٤٨، مبرج بكراب ١ - ٣٨ - ٣٩

مدحوله، ومن ثم عادر الموصل على من جيشه في ربيع عام ٥٢٢هـ،
وسولى في طريقه على مديني حلب وبردع وعبد واصل مشرف حلب
خرجت جموع أهاليها لاستقباله، معربة عن سبيلها مقدومه مدي حء
فانحة عهد جديد من الأمن و الاستقرار المفقدين افتقدوهما طيلة السنين الصعبة
المصيبة فدخل السعة في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، وبدأ من
هناك تنظيم أمور نسا، وانقطع أعماله لأمرائه وأجاده^١

أدرك زكي أن لا تحتفظ بحلب واستمررها أمها وسلامتها من يتم إلا
بإقصاء على رعاياها السابقين، ذوي المصالح القديمة فيها، فبدأ بإلقاء
انقص عليهم وإزهايم زكي يضطرهم إلى مغادرة حلب، وقد حء قتله بقطع
أيد يمثله إندار لأوثك الرعاء، فسلخوا هاربين وحدا بعد الآخر فر إبراهيم
ابن رصوب من تشال السلجوقي إلى نصيب، وبقي فيها حتى وفاته^(٢)، وأعقب
مستعان من عبد الحمار الأرميني^(٣)، واشتأ فضائل من مديع ريس حلب
السابق - إلى فدعه جعفر^(٤) وبهذا تمتع لطريق أمام زكي بمرص سيطرت
وبوحيد صفوف الحلبيين لمجابهة الأخطار الخارجية المحتمنة

سجار وشابور - ٥٢٢هـ

ثم بمرص زكي - حين توجهه إلى حلب - لعدد وانحصر أبو فء
على لطريق بها وبين الموصل، إذ كانت ظروف مدعي مه أن يصع يده

(١) الكامل ١٠ - ٢٤٨ ربيعة الحلب ٢ - ٢٤١، وسير Runciman Ibid إلى ن زكي سعي
للاستيلاء على حلب باعتبارها جزء من ممتلكات بصرى الرالي الموصل سابق)، لكن
الواقع هو أن زكي لم يهتم بإعطاء النصف الرسمية (أو بسرعة) للاستيلاء على حلب، لأن
يمتلك هذه النصف بغيره بشور السلطان الذي كان ينظر على ما يصح من الشاء كما أن
دخوله حلب كان بإسداء بعض رعاياها وتزجيب من أهاليها

(٢) الكامل ١٠ - ٢٤٨، مرجع الكروب ١ - ٢٩، ربيعة الحلب ٢ - ٢٤٢

(٣) الكامل ١ - ٢٤٨، بصرى ٣٨ ربيعة حلب ٢ - ٢٤٢، مرجع الكروب ١ - ٣٩ ٤

(٤) ربيعة الحلب ٢ - ٢٤٣

عنى حلب أولاً، ثم يبتلىق لفرص سبطيه عنى المواقع لأخرى من آخر تأميس الطريق إلى الشام وما أن أفر الأوصاع في المدينة المذكورة حتى اتجه في أواخر عام ٥٢٢هـ للاستيلاء عنى سجد والمناطق المجاورة^(١)، وفرص انحصار عنها، إلا أن أهلها امتنعوا عليه، ووجد هم يروا من معادمتهم حدودى إزاء إصرار رنكى عنى اقتحام المدينة، اضطروا إلى مصابحته وتسلم سجاد إليه^(٢) ثم ما لبث أن أرسل من هناك بعض قواته إلى اسحاور^(٣) حيث تمكنت من الاستيلاء عليه^(٤) وكانت سجاد تقع وسط الطريق بين الموصل وحلب، وتشكل مطعماً للبطرة عنى المناطق الأخرى^(٥)، ولذا فقد حرص رنكى باستيلائه عليها بصرراً هاماً

حزان ٥٢٢ هـ.

توجه رنكى - من ثم - إلى حران التي كانت تابعة لمسلوود بن البرسقي ولي الموصل (٥٢٠ - ٥٢١ هـ)^(٦) فيما توفي هذا، تعرض أهلها لتهديدات

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، الكامل ١٠ - ٢٤٨

(٣) خضعت سجاد بولاية الموصل منذ عام ٥١٥ هـ حيث أقطعها نسطور مجيد مع الموصل وعماله، لاى سنقر البرسقي عام ٥٢٠ هـ وعبد بوقي هذا في تمام أسالي خضعت لأخيه نصير الذي عقبه في حكم نسطور (ير شداد لأعلاق مخطوطة ورقه ٤٧ أ ٤٦ ب) ولم يتم حصار إلى نائب سجاد، أو إغاثته بمسؤولين عى تنظيم دفاعها، خلال هجوم رنكى عليها

٤. انباهر ص ٣٧ الكامل ١٠ - ٢٤٧ (بحالاً لتخاذه عام ٥٢١، ولاصح ٥٢٢ هـ) نسبته إلى نهر الخابور في بلاد بابه وهي ولاية وسعة تضم بلدان كثيرة سميت (بالخوب) معجم البلدان ٢ - ٢٨٣

(٥) الياهر ص ٣٧، الكامل ١٠ - ٢٤٧

(٦) كان البرسقي عبد المستوي عبيد من بني أرئق عام ٥١٦ هـ، ثم استعاده مؤلاً عام ٥١٦ هـ وبقيت في أيديهم حتى عام ٥١٨ هـ حيث سرقت البرسقي ثابته (ير شداد لأعلاق ورقه ٦ ب ١٨ أ)

الصلبيين الذين كانوا قد سولوا على بعض المدن والحصون القريبة منها كآرها وسروج وعندما تولى زنكي الموصل أرسله أهلي حروب معين طاعتهم به ومستعئين إياه على القدوم إليهم لتسليمه موقعهم واستجاب لهم ويوجه إلى حوران حيث استقبله أهليها (فوعدهم ومأهم)^(١) ثم أقطعه لزنكي لكرخي أحد كبار أمراء زنكي هذا أعين بعد موت عصان ضد زنكي ونصم إلى جيش لحليفه المسترشد عام ٥٢٧هـ ولم تشر المصادر إلى سبب عصان زنكي ودريجه ولعله رد الاستقلال بأنططع على عمر كثير من الأمراء المعاصرين وربما تبهم الحليفة استماتة ضد زنكي

ثم تسبح الفرصة لزنكي لنقصاء على عصيان زنكي وإعادة سيطرته على حروب حتى عام ٥٢٣هـ ، إذ انتهت امشكة بموت زنكي نفسه وحدك وجه زنكي قوته التي استطاعت الاستلاء عليها بعد مقاومة سبط ودها نائب زنكي ، ونقيت حروب تحت سيطرته زنكي حتى مقتله عام ٥٤١هـ^(٢)

أوبل ٥٢٦هـ:

أدرك زنكي أهمية أرس العسكرية ناسبه للموصل ، إذ هي بمثابة الباب الشرقي الذي يصبها ببلاد فارس والمشرق وقبلة السدع الرئيسية في الطريق الداخلة غرباً صوب الشام وعندما أتت له فرصة مهاجمتها لم يتردد وجم كويها من ممتلكات مسعود بن محمد سلجوقي سلطان أذربيجان مهاجمها عام ٥٢٦هـ وشدد اسكير عليها ، إلا أن حامتها استطاعت أن تصمد بحسن تقدم السلطان مسعود لمجدها ، فاضطر زنكي إلى الانسحاب ، ثم رأى

(١) الباهر ص ٣٧

(٢) ابن شداد مخطوطة ، ورقة ١٧ أ - ١٨ أ ، مخرج الكرب ١ - ٨٤

مسعود^(١)، بصحبي بهذا الموقع كي نكسب رمكي يس حايه في صرعه صرعه مافسيه من أجل لحصول على عرش سلاجقة العراق، فوافى لأخير على اتفاق كهذا يتيح به صم موقع هام إلى إدارته، قد يساعده في المستقبل على التوغل شرقاً، وبعد أن أحد كل من الحنفيين اليهود من صاحبه مسلم رمكي أربل، وعين فيها نائباً عنه^(٢)

بنو أيوب حكام تكريت ٥٢٦ - ٥٤١ هـ:

في الثاني عشر من بع لأخر عام ٥٢٦ هـ انهرم رمكي في أعصاب المعركة التي دارت بينه - كحليف للسلطان مسعود - وبين فوات سلاطين طغرل وراود المافسين للسلطان المذكور^(٣)، واستجاب بقول حبيسه نحو تكريت التي كان يحكمها بحم لدين^(٤)، فقام هذا المعمر على دجله، وجهر عدداً من السمن بعه وهوته إلى لصفة لأخرى التي تقع عليها مدينته تكريت وهماك أحسن بحم الدين إلى رمكي وجنده، ودوى حم بهم، وقدم إليهم صائر ما يحتجون إليه وبعد أسبوعين عذر رمكي وأباعه تكريت مودعين بعض ما استقدموا به من حيازة وكرام^(٥) وأحد يرسل إليهم بما إلى بحم لدين تداعاً اعترافاً منه بفصله، وحسن صلاته^(٦)

(١) مرجع الكرب ١ - ٩٧

(٢) انظر التفاصيل في الفصل الثاني

(٣) كان شادي بن عروبة، والد كل من بحم الدين أبوب وأمد شيركو، من أفراد بدو دوس

الوفاة على حدود إقليم أذربيجان قريب من نهبين (بو انغا - نغويم - بيلان ص ٣٩٩)

وبعد عذر بدو ذلك بصحبه ولديه إلى بغداد بحث عن عمل وهناك انتظموا في خدمة مجاهد

الدين بهروز سحنة عراق فوجههم إلى تكريت في كتاب إحدى إقطاعاته وبعد وفاة

سادتي غير بهروز به بحم لدين مسجلاً تكريت (الكتاب ص ١ - ١٣٨ - الدهر ص ١١٤

١٧، الروضتين ٢ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٥٣٦ - ٥٣٧، بن شداد المحاسن ص ٦)

(٤) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٥) الروضتين ٢ - ٥٣٧

وعندئذ بلغ بهرور شحنة بغداد موقفه بأنه في تكريت من زنكي بعث إليه رسولا ليعاتبه على إحصائه بعدو سلاجقه عراق و إطلاق سراجه بعد أن كان قد وقع في يديه^(١) و إرداد حرج بهرور لدى قيام أسد الدين شيركوه بقفل أحد سكان تكريت بسبب تعرضه لإحدى النساء، و اضطرب إلى إصدار أمره إلى نجم الدين معاذرة تكريت و جميع أفراد عائلته و لم يكن باستطاعه بهرور معاقبة أسد الدين شيركوه مما بين انطوائين من صدقه قدومه مرجع إلى زمن أمه^(٢)

في هذه المرة مخرجة من أو حر عام ٥٣٢ هـ ولد صلاح الدين نجم الدين أيوب، و اضطرب العائلة لمعاذرة تكريت، وربما كان ذلك في الليل التي ولد فيها الطفل المذكور^(٣) و لم يكن هناك من أكثر أمناً لهذه العائلة الطريفة من كنف الأمير الذي أحسوا إنه قبل عدة أعوام و لم يمس زنكي الإحسان في مستقبل عائلته بني أيوب أحسن استقبال، و قطع رجالاتها الإقطاع بواسطة^(٤)، و أخرج للأحويين نجم الدين و أسد الدين الأبحرط في قوائمه^(٥)، و الإشراف على مائة أسائه^(٦) و الأشراف في الحروب التي خاضها في الشام ضد الصليبيين^(٧)

طلب العائلة الأيوبيه تنعم بحماية زنكي، و أحدث علاقتها به تردد و ثوقاً يوماً بعد يوم و عندما استولى على بغداد عام ٥٣٤ عين نجم الدين

(١) ابن خلكان، وفيات ٦ - ١٤٢

(٢) الكامل ١١ - ١٣٨، الباهر ص ١١٩

(٣) وفيات الأعيان ٦ - ١٤٢ - ١٤٤، ابن شداد النحاس ص ٦٠

(٤) الروضتين ٢ - ٥٢٨

(٥) الباهر ص ١١٩، الكامل ١١ - ١٣٨، وفيات الأعيان ٦ - ١٤٢ - ١٤٣

(٦) المعري، السلوك ١ - ١ - ٤٢

(٧) الروضتين ٢ - ٥٢٨

أبواب والبأ عندها، وأقطعها بلشها^(١)، واستقر هناك هو وأمه د العتلك الأيوبية^(٢)، وظهر يمارس مهام عمه كول لرنكي حتى مقتل الأخير عام ٥٤١ هـ وكان صلاح الدين خلال تلك الفترة قد برعزع في كنف والده (وحدث عنه سماء الحدة والدكاء، واشتمت عشاء بريق القوة)^(٣)

وهكذا قدر لرنكي أن ينعى دوراً هاماً في إظهار الحدة الأيوبية في المجالات السياسية والعسكرية والإدارية، وأن يمهّد لها الطريق إلى المكان الكبير التي شتمت بها في عهد ابنه نور الدين محمود

الرفقة ٥٢٩ هـ

مر لرنكي بالرفقة^(٤) عام ٥٢٩ هـ حينما كان متجهاً إلى دمشق في محاولة للاستيلاء عليها، ورأى أن يستقر بفرصه ويعمل على ضم هذه المدينة إلى إمارته، فدير حده طريقه ممكنة من تحقيق هدفه دون الاضطرار إلى قتال وذلك بأن أعين لأصحابه عن رعيته بالاستحمام في حمام البند، فقام بحجبه صلاح الدين الدعساني بإصدار مرسوم بأنك صاحب الرفقة وقاد له (رنكي يشتهي دخول الحمام وهذه خمسة دينار ستمها وأعمل بها دعوة)^(٥) فلم يشك مسيب بنو لرنكي ورجاله، فأقام الدعوة وسمح لهم بدخول المدينة، وما أن أصبح آخر حدي داخل لصور حتى أمر لرنكي قواد بالاسيلاء على المدينة، ثم ما لبث أن أبعد السبب، وأقطعها أحد أمرته وقد ظلت في يده حتى مقتله عام ٥٤١ هـ^(٥)

(١) الكامل ١١ - ١٣٨، الباهر ص ١١٩

(٢) التوضيح ٨٦ - ٨٧

(٣) ابن شداد المحاسن ص ٦٠

(٤) استطاع سميريون أصحاب الرفقة أن يهزموا بمقاتلتهم ١٠٠ هجرات ولاء المدحس، ويعيب ما يديهم حتى أنه أنفي منكم عنها (انظر في شذائر المخطوطة، ورقه ٢٤ - ٢٤ ب)

(٥) المصدر السابق، ص ١٥٧، رسالة الحب ٢ - ٢٥٧

دقوقا ٥٣٦هـ وشهر رور ٥٣٤هـ.

وهي عام ٥٣١ عاد رنكي لمد فتوحه شرقاً، فتوغل في الطريق اوقع بين إربل وبعداد حتى وصل ديوق وحاصرها، ثم سكن من افتتاحها بعد قتل شيد^(١) وبعد ثلاثة أعوام قرر الفد بمحاولة أخرى لتوغل شرقاً ولإسبلاء على قعدة شهر رور الواقعة وسط سهل واسع باسمها، بعد بين إربل وهدن ويفظه الأكراد^(٢) وكانت هذه بقعة وما يحيط به من بلاد تحت سيطرة الأمير قعقق بن أرسلان باش التركماني، الذي كان لابد للحكم على قاضي التركمان وديهم، يرون طاعنه حرصاً وكان الملوك والأمراء يحشون قصد ولايته لحصانها فمظم شأنه ودد جمعه، وعصده التركمان من كل مكان^(٣) فلما حل عام ٥٣٤ بدع رنكي عنه ما دعه إلى مهاجمة بلاده، وربما كان سبب ذلك تعظم شأن قعقق هذا، وتجمع المقاتلين الأشداء في ولايته، وخطره على مملكت رنكي الذي أشار أصحابه عليه بعدم التعرض لهذه الإمارة، خوفاً من نتائج بدء لا تحمد عقده، وربما انتهى الأمر بتار قعقق عن بعض أملاكه لسلطان مسعود، فبعدوا الأخير مجاوراً للإمارة بموصل ويشكل خطراً مباشرة عليها إلا أن رنكي سم يرجع عن عزمه، وسبر إلى قعقق جيشاً كثيفاً، فقام هذا باستدعاء كل قادر على حمل سلاح، من التركمان، فتداعوا إليه من كل مكان إلا أن جيش رنكي تلقاهم وقائهم بشجاعة فائقة، وشدد التكبير عليهم، حتى تمكن أخيراً من إسحاق الهريرة بهم، واستباحة أسلابهم، ومضى لتركمان منهمين لا يلزون على شيء^(٤)

(١) الكامل ١٦ - ٢٢، مخرج الكروب ١ - ٧١

(٢) ياموت - مجسم البعداد ٣ - ٣٤ - ٣٤١

(٣) الكامل ١٦ - ٣١

(٤) الكامل ١١ - ٣٦، باهر ص ٥٧ - ٥٨

نصفت قوات زنكي، وانحسرت شهرزور دون مقاومة تذكر، ثم بدأت بمطردة العلول التركمانية وبزوله حصونها وفلاعها حتى تمكنت من الاستيلاء على معظمها وقد أسر زنكي قاذبه بوصول أحوال سكان المنطقة من الأكراد ونحصف ما كانو يبقونه من التركمان^(١) كما طلب منهم أن يمدو لأمان بمصحات وأخادهم إليه، وخطر هو وسره في حشر زنكي، واستمروا يعملون في الموصل حتى مطلع نقرب سابع الهجري^(٢)

الحديثة وعانة ٥٢٦ - ٥٢٨ هـ

لعب زنكي صوب الجنوب العربي، وتمكن من مد حدود إمارته إلى أعماق الصحراء العربية وذلك باستيلائه على مدينتي الحديثة والنوابع على الهرات^(٣) عام ٥٢٦ هـ، وأعقب ذلك بحطوه حربشة حيث قام بترحيل حكماها لقدماء من (آل مهارس) البعويين، وتعيين نوابه فيها^(٤)، من أجل أن يضمن ميطرته البهائية عندها وبعد مرور عامين أرسل جيشاً إلى مدينتي عانة^(٥) القريبة منها، وتمكن من الاستيلاء عليها^(٦)

في سنة أهابي بحديثة أن قاموا - عام ٥٢٩ هـ - بمرد ضد حكم زنكي وأعلموا لعصاة، واضطر إلى أن يرسل قوة عسكرية كبيرة استطاعت أن بعد السيطرة على مدينة بعد تل عدد كبير من مستعمرين^(٧) وأغلب انظر

(١) البصيراني السابعة، نفس المصنف

(٢) الكامل ١١ - ٢١، ابن جرير تاريخ ٢ - ٤٣

(٣) تقوم هذه المدينتي على جزيرة وسط نهر وهي عبر رجليه الموصل، يوقعه على هذه دجلة العربية بالقرب من مصب دات الاعلى (الفرات) معجم البلدان ٢ - ٢٢٢ - ٢٢٣

(٤) المستظلم ١٠ - ١٠٢، الكامل ١١ - ٢٦، معراج الكروب ١ - ٩٠

(٥) معجم البلدان ٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥

(٦) الكامل ١١ - ٤٠، الباهر من ٦٤، الروصتين ١ - ٩٢، ٩٤

(٧) ابن الفلاس في تاريخ دمشق من ٢٨٠

أن سبب هذا العصيان يعود إلى قيام زنكي بتهجير حكم المدينة من إسماعيل، الأمر الذي أدى إلى استهزاء الأهالي، ودفعهم إلى التمرد على حكم زنكي، سيما وأنهم عنويون لا مسجونون ولحكم الزنكي الجديد^(١)

قلعة جعبر ٥٤٠ - ٥٤١ هـ:

وفي أوخر عام ٥٤٠ هـ توجه زنكي إلى قلعة جعبر ليطبقه على القرائ^(٢) في محاولة للاستيلاء عليها، عملاً بحظته التي يقضي بأن (لا يمس وسط بلاده ما هو ملك لغيره)^(٣) وكذا يحكم هذه القلعة يومئذ علي ابن مالك العقيني^(٤)

فهاجمها زنكي على حين عمله من عليها، وتوجست قواته في ريفها وأسرت عددًا من سكانها، إلا أن قلعة صمدت للهجوم وعندما أوشكت مهاجمها على التنازل اضطر أصحابها إلى مراسلة زنكي، وتبذبت الرسائل بين الطرفين دون اتوصل إلى نتيجة تذكر، مما اضطر لأخير إلى استخدام العنف والتهديد نفسه، لكن صاحب القلعة لم يدع له^(٥)، واستمر القتال حتى ليلوم الخامس من ربيع الآخر عام ٥٤١ هـ حيث اعتزل زنكي، فساد الاضطراب جيشه واضطر إلى ترك الحصار^(٦).



(١) معجم البلدان ١ - ٢٢٣

(٢) كتاب هذه القلعة في السابق ص ٥٥٩ (معجم البلدان ٢ - ٨٤ - ٨٥)

(٣) الباهر ص ٧٣

(٤) كتاب جعبر قد نقلت إلى التميميين منذ عام ٤٧٩ هـ معجم البلدان ٢ - ٨٤ - ٨٥ الكامل ١٠ - ٥٥

(٥) الكامل ١١ - ٤٤، الباهر ص ٧٣ - ٧٤

(٦) دبر تاريخ دمشق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ الكامل ١١ - ٤٥ الباهر ص ٧٤ - ٧٥

الفصل الرابع

عماد الدين زنكي والإمارات المحلية في ديار بكر

كان هدف زنكي - بعد أن تم له الاستيلاء على حلب، واتحادها بعماده في بلاد الشام - للسيطرة على لمناطق بمقتضى سمته فيها وبين الموصلي، والتي كان يحكمها أمراء مستقلون، عملاً بحظه الفاضية (بالأبقي في بلاده ما هو ملك غيره، حرفاً منه واحتياطاً)^(١) ذلك أنه كان يستهدف - كما ذكرنا - إنشاء إماره موحده قوية، يمكنه من تحقيق تصورات حاسمه ضد الصليبيين وكان عنه - لتحقيق هذا الهدف - اكتسح عدد من الإمارات المحلية في منطقته ديار بكر، والتي كانت تشكل خطراً على مواصلايه مع الشام، سيما في حالات صدامه مع الصليبيين

بدأ زنكي هجومه على ديار بكر عام ٥٢٣هـ، بعد مضي أشهر وحسب على دخوله مدينة حلب، وكانت نصيبين الواقعة للأراتمة^(٢) هذه الأول في

(١) الباهر ص ٧٢

(٢) يسمى هؤلاء إلى (من بن اكك، أحد معاليك سلطان سنجوق منكشف ٤٦٥ - ٧٥ هـ)، وقد يقع مكانه خمسة مدي سلاجقه فألقوه القديس عام ٤٧٩ هـ. رعد وانه عام ٤٨٢ هـ انتقلت إلى ودييه منقلا، وديعاري القدير كانت لها مع القديس بعض دفاع الجسريه كبرها وسروج وفي عام ٤٩١ استولى القاطميون على القديس واضطروا لأرثقه إلى بجلاء عنها، فرحل زينقا إلى بغداد للعمل بحب بواء السلاجقه، وأوجه سليمان إلى

هذا انهجوم وما كان فرص الحصار عليها حتى استنجد صاحبها حسام الدين تمرتاش لأرتقي (٥١٦ - ٥٤٧هـ) حاكم إمارة ماردين، يابن عمه ركن الدولة داود، حاكم إمارة (حصص كيف) لصد زنكي عن نصيبين وحمه على هت محاصر عنها، كما بعث إلى أهلها وحاصرتها رسالة مستعجلة، عني جاح طائر، يخشهم فيها عني انصمود ريثما يصحبهم اسخده الارسة خلال فترة لا تتجاوز انحصه أيام، لا أن ارسانه وفعت يد زنكي، و طمع على ما فيها، ورأى أن ينتهر الفرصة لتدبير حيلة قد تساعد عني تحقيق هدفه، فأمر بكتابة رسالة أخرى إلى هاسي نصيبين بدلاً من الرسالة الأولى، جاء فيها من حسام الدين تمرتاش بني قد قصدت ابن عني داود، وقد وعدني بالسخدة ومسير ماحوس، وسوف لا يأخر قدومه إلينا بأكثر من عشرين يوماً؛ لذا أطلب منكم الثبات طينة هذه المدة!!^(١)

بعثت الرسالة عني جاح انطار نصه ولم يشك الصبوح لحظة تأمها وردت انهم من أميرهم لأرتقي (مخافوا عني بموسهم، وبعثوا أنهم يعجرون عن بداع عن البدد خلال هذه المدة لطويله)؛ ند ارسرو إلى زنكي وصاحبه وسلمو مديتهم إليه (فصل عني حسام الدين داود ما كان

= انهم وأقام فيها واستطاع في ظرف سبب معدود الاستيلاء على عدد من أهم بلاد ديار بكر كحصص كيف وماردين ونصيبين، واستكمل إمارة محبيه ظل يحكمها حتى وفاته عام ٤٩٨ هـ وعندما سمع الخوادم بدياربي بدلت اسرع اسوجه إلى ديار بكر، ويمكن من وضع يده على ممتلكات منته، فيما عدا حصص كيفا الذي صار يدود ير مسمما، ومن ثم مينو. كيف الأنة هناك في ماريين غدت ماردن قاعدة لإحياءها، وحصص كيف قاعدة لأخرى وفي عام ٥١٦ هـ توفي إيدماري، خلفه ابنه حسام الدين تمرتاش الذي توسع املاك بني أرس في عهد. واستمررت هذه العائلة تحكم المنطقة حتى مطلع القرن التاسع الهجري انظر ابن خلدون، تاريخ، ط بيروت، مجلد ٥، ص ٤٦٩، E.I.S.V Antakia by C Cahen للإمارات لأرتقي في ديار بكر للمؤلف (موسسه الرسالة بيروت ١٩٨٠)

(١) الكامل ٠ ٢٤٦ - ٤٧٢، الياهر ص ٣٦ - ٣٧، تاريخ النكروب ٠ ٣٥ - ٣٦

قد عرفنا عنه^(١)، وفتح ميسس الصبح الطبق أمام زنكي لتحقيق أهدافه ضد إمارت ديار بكر، إذ اتحد من هذا الموقع قاعدة عسكرية في السطيف للهجوم على المواقع المجاورة

أدرك أمراء ديار بكر إثر سقوط مصيبين، مدى خطورة زنكي على ممتلكاتهم، فعقدوا تحالفاً بينهم في عدم التأييد لوقوف بوجهه، اشترك في الأمر الأمير الأرمنيان حسام الدين وابن عمه ركن الدولة، وسعد الدولة (يكنى ابن إبراهيم، صاحب آمد^(٢))، وانضم إليهم عدد كبير من تركمان السطيف، الذين كانوا يكرهون طغيانه والإخلاص لركن الدولة دود، إذ إنه ما أن استدعاهم مستنجداً بهم، حتى نقضوا عهده بحشودهم انكسره بشكل المتحاربين جيشاً قوامه عشرين ألف مقاتل ولما سمع زنكي بأ هذا التجمع قرر مساعته، وطلق على رأس أربعة آلاف فارس صوب دارا القريبة من نصيب، وهناك انشئت الطرقات في قتال شديد، صر فيه كلا المعسكرين، وأبدى جد زنكي خلاله صروباً من لبالة والإقداء وما لبث المعركة أن أسفرت عن هزيمة أمراء ديار بكر وانسحاب الطريق أمام غريمهم لوضع يده على عدد من المواقع لمرية كحصن مريحة ودار^(٣)

وكرد انتقامي على انتصارات زنكي، توجه ركن الدولة دود على رأس عدد كبير من جنده، إلى منطقة حريرة من عمر اثناثة بالموصل، وأجرى

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٢) آمد هي إحدى المدن الكبيرة في ديار بكر وقد كان حريها من مياديين سبياً في خضوع السديتين بسطة واحدة في معظم الأحيان، وعند مقتل دج بنو نقتل، سلطان الشام السلجوقي، عام ٤٨٨ هـ سفل بعد أحد أمرائه الأتراك ويدعى (صادر) ثم انتقلت بعد وفاته إلى أخيه بنان وظل أبناء هذه العائلة يتناوبون حكم المدينة من ما بعد عصر زنكي معتمدين على حصار مرقعهم الذي كان محاطاً سورين، فضلاً عن مساعته بطبعه بطر (ابن شداد الأعلان الحظيرة (قسم بحرية) بخطوطه، و١٦٦، ١٢٢، ص ١٢٢)

(٣) الكامل ١٠ - ٢٥٣، الباهر ص ٢٨ - ٢٩

هناك بهماً ومحوراً واسع المطلق، الأمر الذي دفع زنكي إلى اتجاحه به لإيقاده عند حده. لكنه لم يستطع التوغل بعيداً، لصيق بمسالك ووعورة الطريق، وانتشار أشتياح دود في المنطقة، واكتفى باستماله السكان في الجهات التي بلغها، ثم قفل راجعاً^(١)

أدرك زنكي، أثر هذه الأحداث، مدى الخطر الذي يشككه استعاض بهن أمراء ديار بكر ضد مصلحته في المنطقة، فرأى أن ينجأ إلى الأساليب السياسية عنها تسيح له يحدث اشتقاق وتنازع في صفوف أولئك الأمراء، كي يسهل عليه بعد ذلك اعتداع رعيهم وممتلكاتهم واعتقد أن خير ما يبدى به من خطته سياسية هو إيجاد تحالف مشترك مع أحد هؤلاء الأمراء، والاستعانة به ضد الآخرين. وكان من الصعب عليه تحقيق هذا التحالف مع عربجه المندود ركن الدولة دود، لما كان يتغير به هذا من حقد، ورعيه بإثرال الصراعات معده، وبحسب المصالح بالانقصه عن غنى ممتلكاته^(٢) كما أن زنكي لم يشأ أن يتخذ من صاحب آمد حليماً له، لصعاب إمكباته وعدم قدرته على تقديم مساعدات مجدية في حالة شتوب قتال بين أمير الموصل والأرتقة. ولم يسو أمامه إذا سوى حكام أميين نمر بش الذي كان أكثر مرونة من ابن عمه داود. لذا أحد يهرب إليه وأوقف مع حبه لممتلكاته وسرعان ما أصر الأمير لأرتقي باتحا به زنكي لودي منه، ورأى أن التصحيه بين عمه داود لا يد منها في سبيل كسب حبيبه الجديدة، واستعان جانيه، ونسعى عن طريق هذا تحالف - للحصول على مزيد من المكاسب في المنطقة

وشهد عام ٥٢٨هـ لقاءً ودياً بين الحليين^(٣) انطلقا بعده مباشرة لمهاجمة الحصن المنيح آمد، وحرصا لحصار عبيه، فأرسل صاحبه سعد الدولة إيكندي

(١) المصراع السابق، نفس الصفحات

(٢) انظر مخرج الكروب ١ - ٥٢

(٣) تاريخ آمد وميفارقير (المخطوطة) ورقة ١٢١ أ

(٥١٣ - ٥٣٦ هـ) يستلحق مداود الأرميني، وسرعان ما جمع هذا جنوداً ومطوحيه من التركمان واتجه لفتح الحصار عن آمد. وهناك عند أسوار هذا الحصن حدث اللقاء بين الطرفين في أواخر جمادى الآخرة من ذلك العام، وانهى القتال بهزيمة داود وأسر والده ومقتل عدد من جنده، مما ستمت حصار زنكي وحلبه لهدمهم المنع، وكفي يلحق الضرر والبأس في صفوف أصحابه لما نتجرت واسع نطاق في سنانين والبراري المجاورة إلا أن مد صحت وأقمت أسما خمس بعدم حدودي القضاء ظريفاً، ورضي زنكي من صاحبها. لقاء فتح الحصار - تقديم معذور من المال^(١)

نحو احتفال إلى قلعة الصور بقرية، وعرض عليها حصراً شديداً، وبمكنا بعد قليل من إرغامها على الاستسلام، رغم المقاومة التي أبدتها حامتها^(٢) بقيادة الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود الذي كان يوثق عن أنه هناك^(٣) وحام زنكي منح هذه نصبة بحلبه بمرندش^(٤)، بتقدير مساعداته به، وتأكداً لحالهما الذي كان لابد له من وسائل تهوية وبمس على أساس من مصالح متبادلة، كي يبقى هذا الأمير الأتقي دوماً في حارب حلبه لمخافة الأعداء ولما أس في المنطقة، وحرص انتصارات أخرى، وإعادة الكرة على آمد وممتلكات داود

ما لبث شقه الخلاف أن اتسع بين مرندش وبين عمه داود، وشهد عام ٥٣١ بوفاة في الموقف أسد بالحرب، حتى بن مرندش اضطر إلى هدم بعض الأجزاء التي لا تحتل أسقفومة من عاصمته مرندش، وأمر سكانها

(١) ويلة الحلب ٢ - ٢٥٣، بن سداد - لأعلى الخطيرة - قسم الجزيرة مخطوطة) ورقه ٣٤

ب

(٢) دين تاريخ دمشق من ٢٤٣، التكملة ١١ - ٢٥، تاريخ آمد ومبانيه من مخطوطة) ورقه ٢٠

آب

(٣) ابن عصف - الاعتبار من ١٥٥ - ١٥٦

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة، تاريخ آمد ومبانيه من مخطوطة) ورقه ٢٠ ب - ١٣١

بالاستحباب إلى انقلعه للاحتواء بها في حالة قيام داود بهجومه المتوقع هذا في الوقت الذي ورد فيه تحالف تمرناش مع رنكي قوة عن دي قبل وهما يشن هجمتهما المشتركة على جبل جور والسيوار وتمكنا من الاستيلاء عليهما، والتزم رنكي خطته بسدقة بأن منح هذين الموقعين لحصنه وقد أدت الانتصارات السريعة التي حققها هذان الحصفان إلى إلقاء الرعب في قلب قر أرسلان بن داود الذي اعتقد بأن لا طاقة له بهما، فأثر الاستحباب إلى قاعدة أنه داود في حصن كفاء، معروف مناطق ولايته يحظر^(١)

ظل تحالف بين رنكي وتمرناش على تماسكه حتى عام ٥٣٣هـ حيث أحد يدوح في الأفق ما يشير إلى أن عراه بدأت بالصعاب، ويظهر أن الشكوك لعبت دورها في تدهور العلاقة بين الطرفين ويتم تحديد المصدر الأمسب، وبدو أن من حيلتها إدراك تمرناش للأخطار المقتدة التي قد تتعرض بها إمارته في حالة إضعاف أعداء حليفه في ديار بكر، وربما كان عدم الاتفاق بينهم على توزيع الحصون التي امتصاها سوياً، أحد تلك الأسباب عبر أن هذا الإضعاف لم يؤد إلى صدام بين الطرفين، إذ رأى رنكي أن مصالحه في المنطقة تفرص عنه الإبقاء على صداقة القديم، لئلا يحل محله سيطرته المتدبجه على ديار بكر، ولكن لا يتجه تمرناش إلى ابن عمه صاحب آمد، فيعود هو إلى عزائه الأولى

وقد ساعد سمرق لأحداث في المنطقة رنكي على تحقيق هدفه هذا، إذ حدث في العام نفسه ما أدى إلى تعمق الخلاف بين تمرناش وابن عمه داود، إذ قام الأخير بعزو أربل في أقاصي شمالي ديار بكر، وإماختها وسبي أهلها، فسجأ أميرها حسام بدونة قرني بن لأحد إلى مباذقي طالب بحمايه من تمرناش وبدأ أن الظروف حتمت على الحبيبين انقذبعين لتقارب

(١) تاريخ آمد وميفارقين، ورقة ١٢١ ب. ١٢٢. وينورد ابن العديم بالقول بأن رنكي وحليفه استولوا في هذه الفترة على حصن البارعية الذي منح بدوره تمرناش (رببه الحلب ٢: ٢٥٤)

من حلبه، فأرسل زنكي حاحه صلاح الدين اسعساني إلى ما بين لنتها وحصن مع أمبرها، وأنجز الحاحب مهمته بنجاح بعد أن قام بسلامة حصن دار إبي ديث الأمير وسرعان ما يأكد هذا لتفارب بحضرة زنكي لضيقة حاتون ابن ممرناش، مستهدفاً من وراء ديث نوثيق عرا بحالته مع الأمير الأرمني^(١)

أدت عودة التحالف بين أميري الموصل وماردين وما واقفها من أحداث في المنطقة، إلى توتر الموقف ثدية بين ممرناش ومن عمه داود، فأغار الأخير عام ٥٣٥هـ على ميافارقين وبهت أطرافها، وحرص الحصار عليها، ويمكن، خلال أيام معدودات، من الأسبلاء على موقع (تل شح) المريب منها، وإقطاع أراضيها لأمرته وأتباعه ونام من هناك بشن هجمات يومية منظمة على مدينة مايفارقين، واحتطاف أرباب الدين كانوا يحادرونها صاحب كل يوم لأداء أعمالهم الضرورية، ويمكن بذلك من فرض مسطرته التبرجج على المناطق المحيطة بالمدينة، إلا أن مجهود الدعاية بحضرة أشي بدنها كن من شرف الدين حبشي وزير ممرناش، ويوسف بن يبال حاحه، حبست ميافارقين من خطر محقق، د أن يوقعها فريسة أمام صغور وهجمات داود^(٢) وكان زنكي - خلال ذلك - قد أسرع معها حمة مستبكت أمير حصن كيف كي يشعله عن سصيب على إمارة حلبه ممرناش، وكى يهر المرص للحصول على بعض المعام لا أنه م أن نوحل في ديث أسلاد حتى نتقى بحيوش فرا أرسلان بن داود، ودارب بين طرفين معركة عبيه انتهت بانتصار زنكي وهزيمة غريمه - ثامة - تاركاً قنعة بهمد القرية من مدد المعركة تحت رحمة عدوه، فاتجه زنكي إليها وتمكن من الأسبلاء عبيها دون مدومه تذكر، ثم قبل عائداً إلى الموصل لدخول أشبه وشداد لبرد^(٣)

(١) تاريخ آمد وميافارقين، ورقة ١٢١ ب ١٢٢

(٢) تاريخ آمد وميافارقين، ورقة ١٢٢ - ب

(٣) السجل ١ - ٣٢ ويجمع اس الأثير فاند جيش حصن كيف في هذه المعركة داود معه ولا حاح هره فر أرسلان وهي ما ذكره بن عديم (ريده الحذب ٢ - ١٢٧٦) إد أ، د و ن =

أدرك كل من محمود وودود أن هذا خلاف، الذي اشتد بهما، وانسع
إلى درجة حرب وسحرية لم يفيد أيًا منهما بقدر ما يعود بإمكانات علي
رنكي الذي قد يستعنه بشكل دائم لتحقيق مزيد من الاستعدادات في منطقته،
وبالتالي إضعاف قوى الأرانقة جمعاً، كي يصححو بعد ذلك هدف سهل
المال، لذا قام كل من الأمرين لأرنقش بتبادل الرسل في مطلع عام
٥٢٦ هـ. وأسفرت المفاوضات عن عقد صلح بينهما، وما لبث وودود أن انجى
إلى ميفارقين حيث جتمع بالن عمه بعد سبع طوية من العدا^٢

ثم يعف عن رنكي أن يصلح الذي تم بين الأرانقة مكون على حسابه،
لمحد من مصادحه في المنطقة، فسمى إلى بعد اخاءات مائة تكهن عدم
اعترافه من جهة، وكتاب حلب جديد ضد ماعبه في المنطقة من جهة
أخرى. وقد تمكن في أقل من عام من تحقيق هدفه هذين. ودلت بأن
أرسل إلى صاحب آمد^(١) يتهدده إن استمر على مائة الولاء لأمر حصص
كيف، ويأمره بإعلان طاعته له ولخطبة باسمه، ويعلمه أنه إن لم يسحب
لمطالبه هذه وسوف يعرض مدينته للهجوم فتخوف الأخير من نظر رنكي
ومستجاب لما أمر به^(٢) كما قام في العام نفسه بعقد صلح مع خصمه
الندرد داود بن سعد^(٣) ويبدو أن نجاح رنكي في تحقيق أهدافه سياسي
هذه أرغم محمودش على العودة إلى موالاته، فأرسل إلى الموصل وهدأ

■ كان مسعولا خلال ذلك بشن هجمات على ميفارقين ويحفظ ابن الأمير أبي الباهر، ص
٤٧، بحبر هذه نسخة عام ٥٢٦ هـ، وهذا شأن (الباهر) في عدم ضبط التاريخ

(١) تاريخ آمد وميفارقين، ورقة ١٢٢ ب.

(٢) في مصنف جمادى الأولى ص ٥٣ هو يوفي الأمير سعد الدولة بكندي، صاحب آمد
عمام موني بيد (مؤيد مدير بر بستان) بنصيب وبنه شمس الملوكة محمود (تاريخ أمه
ميفارقين، ورقة ١٢٢ ب.)

(٣) الكاظم ١١ - ٣٦ - ٣٧، الباهر ص ٦٤

(٤) رتبة الحلب ٢ ٢٧٦

توفاه وزيره شرف الدين حبشي^١ لإجراء مفاوضات مع أمورها حول ما يجب أن تستمر عليه العلاقات بين الطرفين وقد استقبل زنكي وفد ماردین بکرم باغ، واستطاع - خلال معاشاته أسرته مع حبشي - أن يحصل على وعد من الأخير بتسليمه مدينة ميادرقين حال عودته إليها^(٢) وقد استهدف زنكي - من محاولته هذه - إضفاء حاشية تمرش وتحداد ميادرقين قاعدة للهجوم على بقية ممتلكات هذا الأمير

وبفضل تلك الخطوات السداسية التي قطعها زنكي، استطاع أن يحصل على مركز قوي في ديار بكر، وأب يستغل هذه المركز لمد يده هناك، وللاستيلاء على ما يمكن لاستيلاء عليه من الحصون الكثيرة المنتشرة في المنطقة وساحة عدد من الأمور، كي يسي به بعد ذلك القيام بخطوات الحاسمة، وهي لأقصاهن لإسقاط حكم بني أرمق الذي يقف عائقاً دون تحقيق هدفه الرئيسي في توحيد بلاد الموصل والجزيرة وحشدني شام

وشهدت أواخر عام ٥٣٧ ومطامح انعدام الثاني قيام زنكي بحملة واسعة ضد عدد كثر من الحصون الواقعة في أقاصي ديار بكر، واتسعه الأمر يدعى يعقوب من السج الأخيرة الذي سم بشر المصاير - بوضوح - إلى تاريخه السياسي، وهويته، وطبيعة علاقته بأمرء ديار بكر^(٣) وقد تمكن زنكي في حشدته هذه - من لاستيلاء على مدينة طوس^(٤)، وأسعد^(٥).

(١) عدم سرد الأمير حبشي بن محمد بن ماردین عام ٥٢٨ هـ - لا سجاد حشمة أميره
مباشرة، هؤلاء الأخير انور ١٠، ومرعش ما بيع حبشي منزله ثم يملها أحد من قبله إلا أن
كان حالاً متعسفاً، وبخاصة تجاه الموطعير وأرياب الأعمال (تاريخ آمد وميادرقين
ورقة ١٠٩ ب - ١١٠)

(٢) تاريخ آمد وميادرقين، ورقة ١٢٢ ب - ١٢٣ أ

(٣) انظر تاريخ آمد وميادرقين، ورقة ١٢٩، وابن شداد الأعلامي (عسم الجزيرة)، ورقة
١٠٣ ب - ١٠٤ أ

(٤) تقع قرية من جزيرة بني عمر (بانيوت - معجم البلدان ٦ - ١٢ - ١٣)

(٥) ويدان لها (سمرقند) كندك (معجم البلدان ٣ - ٣٨١)

وسمى ^(١) ، وحران ^(٢) ، وحصن الروي ^(٣) ، وفطلس ^(٤) ، وناسا ^(٥) ، وحصن دي القريين ^(٦) ، وأبيرون ^(٧) ونام بترتيب أوصاع هذه المواقع ولحصونها، ووضع في كل من حصنه عسكريه لتدافع عنها ضد هجمات الأعداء ^(٨)

أسرع رنكي - بعد إنجازه هذه الانتصارات - بالوجه إلى مياديقين بنهية الحطة السرية التي رسمها مع شوق الدين حسني وزير بمرماش، وعسكر بقوته الكبيرة، في حدى صوحها انهرية المصاه (بل بسمي) أملاً في أن يهزم حسني، فمهم في مياديقين، بفتح الأبواب لدخول قواته وبسطرة على المدينة واقطعة دون إرادة قطرة من دماء إلا أن الحطة اكتشفت، ونفى رخلان من كار أعيان بلد ومرويه، على اعبال حسني وإنهاء الخطر لمحدى بمياديقين ^(٩)، فسدلاً إلى حينه بيلاً، وضرباه بالسيف، ثم

(١) نفع فريد من مباح نهر دجلة، سميت بهذا الاسم بسبب كثرة معدني الحديد والنحاس في أراضيها - محمد مصطفى ريدو - السوك جغري ١ - ١٩٠٠، حاشه ٤

(٢) بلد كبير الأشجار والحدائق، يقع غرباً من سمرة (معجم بلدان ٢ - ٣٨)

(٣) وردت أسماء هذه الحصون بسلامة في الكامل بتاريخ ابن أبي المصنف كما ورد في نياهر الموق، مطبوع، بالنسبة كذلك يردت معرفة في مخرج الكروب ١ - ٤٢، وربما خرفها أخطاء سامية - ولم يرد ذكر هذه المواقع في معجم بلدان، وغيره من مصادر الجغرافيه (٤) لم تعرفه مصادر الجغرافيه

(٥) لم تعرفه المصادر الجغرافيه ويشير التاريخ مد ومياديقين، ورقه ٢٨ - ب - ٢٩ م) إلى أن رنكي سولى في جوك هذه، على (أبرود) كذلك، ولعل هذا الاسم محريف لأنثرون، لما بينهما من تشابه في الرسم

(٦) تاريخ امد ومياديقين - ورقه ١٢٣ - ب - ١٢٤ م، الكامل ١ - ٣٩، نياهر ص ٦٦، دهر ناويح دمشق ص ٢٧٧، ريدو المجلد ٢ - ٢٧٧

(٧) كان يوب عن بمرماش في مياديقين - خلال هذه الفترة - يوسف بن يبال، ولم نشر المصادر إلى الدور الذي لعبه في محاربه حسني، سوى أنه استمر في منصبه إلى الثالث من رجب ٥٢٩ هـ حيث توفي (الأعلام الخطيرة، ورقه ٤ - ١ - ٥ م) - وعقب الظلي أن يوسف هو الذي اشرف على عمليه هتبا حسني - واستمر في منصبه كوزير على مياديقين طيلة الفترة التي أعقب محاربه رنكي الأسبلاء عليها

حمله رأسه إلى بعلباز في ماردين، رسوعدان ما استشرى بأحداثه، فاضطرب جيش زنكي وعينه التوضي، واضطر فائده إلى الانسحاب، إذ أب مقتل جيشي بمهاجمة جعل من الصعوبة بمكان الاستيلاء على ميفارقين، ففعل عائلاً إلى نصيبين^(١)

في مطلع عام التالي (٥٣٩هـ) توفي دود من ممدان، وبني إمارة حصص كيماً بعده ولده فخر بن بقر، أرسلان^(٢) ولم يكن يسمع كأيته بمقدرة سياسي أو عسكري، فاستغل زنكي ضعفه وبدد سياحته لممتلكاته، حيث استطاع في فترة قصيرة الاستيلاء على حاي^(٣)، وأرتيس، وحيرموك، ودمرقتين^(٤) وغرض سيطرته - يندك - على مناطق واسعة من إمارة حصص كيماً لأرتقية^(٥) وقد أدت الحملات العسكرية التي قام بها زنكي في السنين الأخيرة، سواء في محاولة ميفارقين أم في مهاجمة أملاك قر أرسلان، إلى تعميق لخلاف بين وبين تيمرتاش، سيما بعد أن قام بمهاجمة قسبي جور والسيون والاستيلاء عليهما ثانية، بعد أن كان قد وهبهما لحبيبه هذ عام ٥٣٠هـ^(٦)

ثم يابى زنكي لضياح حمله القديم مع أمير ماردين، بعد إذ أصبح مركزه في ديار بكر على درجة كبيرة من القوة والثبات، وقرر أن يمضي في فرض سيطرته على مدن المنطقة وفلاحتها وحدة بعد أخرى، فأتجه إلى آمد في

- (١) تاريخ آمد وميفارقين، ورقة ١٢٢ ب - ١٢٣ ب، لأعلاق الحطية، ورقة ١٠٤ - ١٠٥ أ
- (٢) المصدر السابق، نفس الأوراق، ويذكر مراراً استيلاء فخر أرسلان، جيش قد تقاسم أملاكاً بينهما، فحدث قر أرسلان حصص كيماً وببلاد أنجوار، واستمر أرسلان بجيش في فتحة حلا زكرد (تاريخ آمد وميفارقين، ورقة ١٢٣ ب، ١٣٠ ب)
- (٣) انكس ١ - ٣٩، التيامر ص ٦٦، ويخالف ابن وحس (مصرح بكتوب ٩٢) ما اكتمه من الأخير، بقوله إن زنكي حاصر حاي، فلم يزل منها عرضاً فحرز عنها
- (٤) لم نعرف المصادر الجغرافية أيّاً من هذه المواقع
- (٥) تاريخ آمد وميفارقين ورقة ١٢٣ ب - ١٢٤ ب، ١٢٨ ب - ١٢٩ ب، لأعلاق الحطية، ورقة ١٠٤ ب - ١٠٥ م
- (٦) المصادر السابقة، نفس الأوراق

محاولة للاستيلاء عليها كي يقف بعدئذ وحيماً له حه أمام ممرناش الذي سيعدو وحيداً نذكر إلا أن انهماكه بمهاجمه نرها بعد فترة قصيرة من توجهه إلى آمد، أنقذ هذا الموقع من خطر محقق، وأبعد عن إمارة مردين الأربعة احتمالات هجوم شامل عليها من قس قوات الموصل وقد ظل زنكي مشغلاً في قتاله ضد صليبي منطقة، صاروا كل اهتمامه بدههم حتى عام ٥٤١هـ حينما أتيحت له الفرصة لتوجهه إلى قلعة جعبر التابعة لمعقلين في محاولة للاستيلاء عليها، وكان يصحبه في حصته عدد جمال الدين من ممرناش إلا أنه سرعان ما قص عليه وعتله^(١)، تنهيداً، - في أغلب النظر - لمهاجمه ممرناش نفسه، بعد نصحه حسابه مع أصحاب جعبر، إلا أن مثله خلال الحصار أنقذ الأمانة - سكن بها - من خطر تقريب

ولا بد قبل الانتهاء من سرد وحلش علاقات زنكي بأمرء دبر نكو من الإشادة إلى طيبة موقفه إزاء إمارة أرملة المتاحمة بدينك لأقسام^(٢)، إذ أرسل في عام ٥٢٨ كم يتحدث اس مقد - يطلب حظه منه سكران القطبي الذي كاتب روحه قد سوبت توصاية علي شروون لإمارة مسد وعانه عام ٥٠٥هـ وصادف في الوقت نفسه أن تقدم حكام الدونه بن دساح أمير مدس المنجورده، يحطب هذه الفتة لابه، لأمر الذي أعصب زنكي أشد العصب واعتز الموصوع بمثابة سجد برعته، فتقدم على رأس عوانه إلى خلاط، سالكا

(١) تاريخ آمد ومهافلير، ورقة ١٢٢ م

(٢) كتاب مسجى - أيضا - إمارة سكران قطبي صبه إلى مؤسسه سكران الذي كان مولى لأحد أمرء السلافة وقد شمر معمرنه تعسكريه وشبهه، به دعه أهلي خلاط وسمطى المنجور سحيصهم من ظلم الأكر د سروايبين حكاه ديار بكر فسجد إلى ميهاربين أولا وستوى عليها، ثم ما لبث أن تمكن من إخضاع معظم بلاد أرميه وانحد من خلاط فاعده لإمارة وحدهم توفي عام ٥٠٥هـ نقل الحكم من بعده إلى ابنه الدين بوارثوا لإمارة حتى عام ٦٤هـ حيث سبوى لأيوبيو، على أملاكهم (انظر

ابن خلدون - تاريخ، ط بيروت، مجلد ٥، ص ٣٧٣ - ٣٨١)

بجسده انطرق الجبهة الوعرة، عبر لمسوكه، من أجل أن يدمع هدفه بأسرع وقت ممكن (فكان الجيش يعير حيام، وكل حدي في موضعه من الطريق) وعندما وصلوا حلاط صرمو حيامهم قريباً منها، وتجه زنكي مع كبار أفراد حاشيته إلى المصعة بكعبة المهر وما أن أتم ذلك حتى قام برسائل حاجبه ابي عسيبي بن بدليس، على رأس قسم من قواته، لتأديت صاحبها، إلا أن هذا استطاع إقناع زنكي بالعودة إلى سيده مقابل مبلغ من المال^(١)

وهكذا عماد زنكي رابطته الراج لتحرير علاقته بإمارة أرمينية، وكسب - بذلك - صديقاً جديداً، ربما حصل على مساعدته خلال حملاته العسكرية في المناطق الغربية من أرمينية، أو ضمن حياضه على الأقل، سيما وأن هذه الإمارة كانت محاور أعدائه في ديار بكر ومناطق لحال بكردي، مما كان يحتم إبعادها عن الدخول في الصراع إلى جانب هؤلاء الأعداء ولم يحاول زنكي - من جهة أخرى - أن يتوسع حتى يصاب هذه الإمارة، ربما لعدمه عن حدود ممتلكاته، وعدم تشكيكها خطراً مباشراً عليه، حيث يفصل بين الطرفين عدد من الأمارات ومواقع المسممة في أديم وجيل ودير بكر. انصبت معظم جهوده خلال صراعها لطويل مع أمرائها هذا إلى أن المشور، الذي منحه السلطان السجوق زنكي، نص على توليته الموصل والحريزة والشام، دون أية إشارة إلى أرمينية وبالرغم من أن مشوراً كهنا ليس له تأثير كبير من ناحية العملية، إلا أن بالإمكان اعتباره أحد العوامل التي أبعدت أمير الموصل عن مهاجمة أمراء أرمينية، ومحاولة اقتطاع بعض ممتلكاتهم، تعدياً لبعض السلطان

وفصلاً عن هذا وذلك، كان هدف زنكي الرئيسي يعمل على توحيد المواقع الإسلامية التي يحدها في صراعه ضد الصليبيين، ولم يكن أرمينية ذات أهمية كبيرة في هذا المجال وأخيراً لا بد أن يلاحظ بعد نظر زنكي في

(١) (الاعتبار من ٨٨ ٨٩

سماسته التي استهدفت عدم صدف لإمامه المذكورة التي كانت بمثابة حرام
وقى ضد هجمات بحرر والقفجاق لقاسبه على الجهات الشمالية من آسيا
الصغرى وأرمينية، أولئك الذين كانوا يشككون خطراً على المناطق
المجاورة يؤكد هنا بوضوح ما حدث هناك عام ٥١٤هـ، لدى حراخ حشد
كبير من مهابلي هذه الأقاليم، وانجدهم جنوباً حيث نصدي بهم عدد من
أمرائه المسلمين، بقودون ثلاثين ألف جندي، فلم يبق كثير منهم عنهم شيئاً،
وسرقوا وقتلوا من يدي أعداء، ووقع أربعة آلاف منهم أسرى^١، فكانت
سك بحيرة كثرثة كبرى لعت مسلمي المنطقة درساً قاسياً، وعلمت رنكي
- فيما بعد - كيف تكون الحيلة إزاء أعداء يحيطون بالمسلمين من كل
مكان



١) ديل تاريخ دمشق ص ٢٠٤ - ٢٠٥، تكامل ١٠ - ٢١٥، النسخة ٢٩ - ٢٠٩

الفصل الخامس عماد الدين زنكي والأكراد

كانت المناطق الحبيبية المحيطة بالموصل من جهتيها الشمالية وشمالية
الشرقية، ذات أهمية بالغة بالنسبة لإدارة زنكي وضمها أمها، ودردهاها،
وذلك لقربها من الموصل، وإمكاناتها الاقتصادية، فضلاً عن الأخطار التي
يمكن أن تنشأ عن عدم سيطرته زنكي على القبايل الكردية المنتشرة في تلك
المناطق الأمر الذي حتم عليه مد نفوذه إليها كي تضمن الإماراته خطوط
دفاعية طمعة بحمي ظهوره في حربه، وهماكة بحروبه ومشاكبه بعداً في الشام
أو الجزيرة أو العراق

كان لأكراد في الفترة التي شكّم عنها ينقسمون إلى فصيل وطوائف
عديدة أهمها الخوارج وروم واندر وأنجلابية والحبوبة واندلسية^(١)
و كورية والهدبية و بشوبه واساهجامية وارسجية واليرولية والمهراية
و سررارية و كيكانة والجاك واندلسية والروارية والهكرية وحمدي
و لوركية واسروانية و خشبكية^(٢) ولم يهاجم زنكي من هذه الطوائف

(١) ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٧٧، ٢: ١٥٦، ٢٧٧، ٥٣٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٤: ٣٥٥

(٢) انمقرري السوك ١: ٤٠١، ويعد القملي (سبح الأمل) ١: ٣٧٣، ٣٧٩ عشرين
خاند من الأكراد ينقسم في معظمها مع انمقرريين أناسيين موصفاً مناطق كل من هذه
الطوائف وعدد محبيها، مشيراً إلى مركزها أمير يدير شؤونها كما يحدد طوائف أخرى
من الأكراد الذين هم في بلاد جند و يذكر خصماً وعشرين موضعاً آخر يعطونها الأكراد تدب
كانوا يخدمون من الفلاح مراكر لهم ومن الطوائف الكرديّة في بلادهم بين عصر زنكي
انظر المسعودي: مروج الذهب ٣: ٣٥٣، ٣٥٤ ومسكويه: معارج الأمم ٦: ١٧٩

جميعاً سوى بلد المحاوره لإمارته كالحمدية (منطقه عقرة) والهكرب (منطقه العمادية والخابور)، والمهرانية وأنشوية (منطقه جريزة ابن عمر)

وكان هؤلاء الأكراد قد انقسموا بصورة عامة إلى قسمين شمل أولهما أمر دُوقاش ثم يكن خاصصة لسلطة منطقته أو خارجها، وكانت تقوم بأعمال السبب والهب، وتحتمي بقلاعها الجبلية إذا ما دهمها الخطر^(١) أما القسم الآخر فقد استطاع أن يشكل عدداً من الإمارات تختلف في نظمها وأحكامها، هناك إمارات واسعة تدور الأسر حكمها بأسرته، وهناك إمارات مدن صغيرة متفرقة كان حكمها يتسلط بين حين وآخر - بالأمير الأقوى^(٢)

وقد أثر قيام الدولة السلجوقية على تاريخ الأكراد سياسي إلى حد كبير ففي عام ٤٦٣هـ انهار السطون السلجوقي (ألب أرسلان) فتصاره على جيش أمانوس الرابع أمير طور ابروم، في موقع ملا كرد في أرمينية وكان لهذه الموقعة بحاسة أهمية خاصة بالنسبة للأكراد، لأنها مهدت الطريق أمام السلاجقة لمرص سيطرتهم الشاملة على منطقة أرمينية، وأتاح لهم في السنين التي تلت ذلك، اجتياح المناطق الكردية في الجبال، وبفضاء على جميع الإمارات المنتشرة هناك والتي سرعان ما عدت تحت سيطرة ورعاية الحكم السلجوقي^(٣)

(١) الكامل ١٠ - ٢٢٠

(٢) نظر شرف خان بديسي شرفنامه، ومحمد أمين ركني (خلاصه تاريخ نكره كردستان) (تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي) وقد قسم المؤلف ممتلكات الأكراد السياسية طيلة العهد الإسلامي إلى قسمين يشمل أولهما الحكومات أو الدول الكردية التي بلغت سبع عشرة دولة ويشمل ثانيهما الإمارات الكردية في مناطق الجبال والجزيرة وديار بكر وبعض أنحاء بلاد الشام والبلدان ويبلغ خمساً وثلاثين إمارة ولا نجد في كلا القسمين ثمة إشارة إلى أي من الطوائف التي ما جمعه ركني كان عد شكل دولة وإمارة - تشار، عليه العرفه في حكمه (٥٢١ - ٥٤١ هـ)

(٣) Encyclopaedia of Islam S KURD (by V Minorsky)

وفي عام ٤٧٨هـ أرسل سلطان سلجوقي ملكشاه، قائدته فخر الدين ابن جيبير للاستيلاء على ديار بكر، وقد تمكن هـد من جيبح آمد ومبارق وس جريه اس عمر، وعدد من المواقع الأخرى هـد، وبذلك قضى على دولة بني مروان الكردية في هذه المنطقة^(١) وفي سبيل لي أعصت ذلك قدم سكان اعطلي، مؤسس إمارة أرمسة، بالاستيلاء على مدينه خلاط، وانفضاه على اختر أمير كردي من سلالة الدولة المروانية^(٢)

وهكذا يبدو أن لفرة سي سبب حكم زنكي أو عاصرته، كانت تحو دولة من أية دولة كردية ذات شأن في مناطق سجان المحيطة بالموصل، الأمر الذي يعني أن الطوائف الكردية سي هاجمها لم تكرر قد استطاعت أن تشكل حكومات أو دولاً مستقلة، على عرر ما حققه بعض الطوائف الأخرى في لفترات سابقة أو اللاحقة لحكم زنكي، مع بصر عمال مؤرجي المناطق الكردية توضيح نوعيه التشكيلات السياسية لهذه الطوائف، ولاكتفاء بمجرد الإشارة، أو نقول بأنها كانت تحكم مدينه أو أكثر، مشكله إمارات مدن صغيره لم تستمر وتوسع بشكل يجعلها تنف في صف الدول والإمارات الكردية الواسعه، ذات النظام اوريثي والتاريخ الطويل

الأكراد الحميدية،

بدأ زنكي هجومه على الأكراد بطائفه الحميدية، بسب قرب حصونه من الموصل وكانت زعفر مركز هذه الطائفة، وهي قلعه حصينه تربص في حال الموصل الشرقية، بسبب إلى جماعة التي نقطتها سميت (عقر الحميدية)^(٣) وكان يتبعها حصن آخر يدعى (الشوش)، وهو قلعة عظيمة، شديده الارتفاع يقع بالقرب من المركز السابق^(٤) وكان يحيط بكل من

(١) الكامل ١٠ - ٥٢ - ٥٣

(٢) انظر الفارقي تاريخ آمد ومبارقين (انقسم المشرق)، لاطلاع على تاريخ الدولة المروانية

(٣) ياقوت معجم بيب ٣ - ٦٩٦، يوانند - تقويم البلدان ص ٢٧٤

(٤) معجم البلدان ٣ - ٢٢٤، تقويم البلدان ص ٢٧٤

هدين الحصص أراضي وأعمال وراعة غوبره الإنتاج، تجنى منها سموم محاصيل شتى كالرز والقصب والأخشاب، وتنتشر في أحيائها قرى وضياع تشرف على وراعتها، كالعيصه القريبة من العمر، وحوجر التي يسب إليها الرز السعيد، وحلبا القريبة من شوش، والمعروفة بأعداد مباحها، وحصوة تربتها، وكثرة يسايتها^(١)

لا تقدم المصادر شيئاً بذكر عن تشريح السامي الحميدي، وكل ما لدينا هو ما ذكره أبو شجاع^(٢)، واس الأشر^(٣) من أن (ماد من دوستك الحاربي) - مؤسس الإمارة المروانية في ديار بكر ٣٧٣ - ٣٧٤ هـ - كان ينتمي إلى تلك الطائفة وهو حر لا ينقي صوءاً على موضوع، كما أنه ينطوي إلى فترة عبدة عن عصر الذي تكلم عنه أم في عهد رنكي فكان يحكم هذه طائفة الأمير عيسى الحميدي، وكانت بما ته تسمع بوع من الاستقلال المحلي، وكان الحميديون يقومون، في كثير من الأحيان، بمهاجمة مارع الموصل الشرقية ونهب فلاحيتها^(٤) وقد بدعت هذه الطائفة من أهمية بحيث عدت مقياساً تقاس به إمكانيات الجماعات الكردية الأخرى فيقال عن التختية - مثلاً - أنهم كانوا يضاهون الحميدية^(٥)

كان رنكي، لدى توبه الموصل، قد أقر الأمر عيسى الحميدي على ولايته، (ولم يتعرض شيء مما في يده)^(٦)، إلا أن الأمير المذكور سرعان

(١) معجم ابن بطوطة ٢ - ١٤٢ - ١٤٣، ٤٥٩، ٣ - ٨٢٨، تقويم بغداد من ٢٧٤

(٢) دین تجارت الأسم من ٨٤

(٣) الكامل ٩ - ١٣

(٤) يعدم القنصلندي صبح الأعشى ٤ - ٣٧٤ - ٣٧٥) معلومات مأخوذة عن هذه الطائفة

خلال حكم المعز لدين الله، وهي لانحنينا في هذا البحث

(٥) الكامل ١١ - ٥٠، اليافعي من ٤٨، صرح الكروبي ١ - ٥٥

(٦) صبح الأعشى ٤ - ٣٧٨ - ٣٧٩

(٧) اليافعي من ٨٠

من حرج على طاعه زنكي لدى حصار الحلبه المسترشد الموصل عدم ٥٢٧هـ، حيث انضم إليه بجيوشه، وأمدّه بالقوات، وحشد له عدداً كبيراً من الأكراد. وما أن فشل الحصار ونسحب المسترشد عدداً إلى بغداد، حتى بدأ زنكي محومه على فلاح حمصية فحاصرها وقادها قتالاً شديداً، حتى إنه حمل معه على خيمة العسكر (وضعه في حلب المرمق إلى سورها، فوصت طعنته إليه)، ثم ما لبث أن استولى عليها (٥٢٦هـ)، منهاً بذلك أسباب الخلق والخوف الذي كانت بسببه هجرات حمصيين على فلاح الموصلي^(١). الأمر الذي أدى - ولا ريب - إلى عودة ردهار الحياة لمرع والنتجارية في المنطقة

وما استعج زنكي - باستيلائه على العفر والحصون الحميدية المجاورة^(٢) أن يقضي على إحدى الإمارات التي كانت تهدد أمن الموصل العسكري، بما بها من موقع حوي، وأن يحصل على موطن قدم مهد الطريق أمامه لتتوغل في بلاد الأكراد الجيبية. وقد أدرك أبو الهيثم، الهكاري، صاحب ندوة أشب، مدى خطورة هذا البصر الذي حققه زنكي، فأرسل إليه مبعثاً من أعمال، ونومل لب ألا يتعرض لبلاده سوء، ثم ما لبث أن قدم بمعه إلى الموصل لإعلان طاعة^(٣)

الهكارية:

كان لهكاريون يمتطون المنظمة المعروفة بهكاري إلى الشمال من نهر الحديور الذي يصب في أعالي دجلة^(٤) وكانت قلعه أشب مركزهم الرئيسي

(١) المصدر السابق ص ٨٠، مرجع الكروب ١ - ٥٥

(٢) الكامل ١١ - ٥٠، الباهر ص ٤٨

(٣) النصيران السابقان، نفس المصاحف

(٤) الكامل ١١ - ٥٠، مرجع الكروب ١ - ٥٥ - ٥٦

(٥) أنور الشامي الأكراد في يهدين ص ٩١

فهي 'كـ' حصون هؤلاء الأكراد، وأكثرها ماعة، وفي أموالهم وأهلهم^(١)، وتقع في منطقة لعمادية الحالية^(٢)، حيث كانت تسيطر على وراعيه وأعمال ترتبط جميعاً بأشب، وأشهرها (هرور) التي تميزت بصاعتها، ووفرة مذهبها، أكثره إباحية، وانتشار معتد الحلب في أطرافها^(٣).

و(كوم) لمي لا تقل إنحاً عن شققنها^(٤) و(حبل لبيجة) و(حبل صورا) الواقع بين الجنوب الشرقي من هرور أن لموقع لعمادية لأهل أهمب وأشهرها لعمادي مايرما بيوح باكر وسماسي^٥.

وحظ العمادية، من حيث تاريخهم السياسي كحظ الحميدية وليس ثمة سوى إشارات متفرقة عنهم مثل أن جماعة من هؤلاء الأكراد وحلفائهم أعدوا على الموصل عام ٣٧٤هـ وحاصروها، وبهير أطرافها، فقام جمع من دول دويستك (مؤسس الدولة العروسة في ذلك) بكرهم المبحوم، غادر حصن كفا على رأس حشده، وباعت العمادية وحلفاءهم

(١) ياقوت معجم البلدان ١ - ٦٣، الكامل ١١ - ٣٧.

(٢) الأكراد في يديان ص ٩.

(٣) معجم البلدان ٤ - ٩٧٠.

(٤) المصدر السابق ٢ - ٦٩٠.

(٥) سم تحدد المصادر الجغرافية مواقع هذه القرى والصياغ، وقد وردت في الكامل ١١ - ٦ و(معرج نكروب ١ - ٥٥ - ٥٦، ويصنف ابن الأثير (الكامل ١١ - ٦) قلعة الجلاب إلى حصون عمادية أنها هي التي هي ركني على أقاصها بينه العمادية والبصرة إنه ومن هذا نأتي على الأثير ابن (أصل المعرج نكروب ١ - ٥٧)، وكلامه مخطئ ولا ريب، إذ أن الجلاب التي هي على نهر جلاب النصارى يمدية قرب (معجم البلدان ٢ - ٩٦، يمدية بسماء أساساً عن منطقة حصون العمادية ومن غير معروف أن يكون مدية لهم، سيما وأن المناطق الفاصلة بينها وبينهم نقطتها طوائف أخرى من الأكراد كالبشوية والشميرية (انظر ما بيني من الفصل وهناك موقع آخر يصنفه ابن الأثير إلى حصون العمادية هو موش (أو موسى) (الكامل ١١ - ٦) وهي تقع في سهل يمتد بين خلاط وحي دارقير يسمى صحراء موش أبو العلاء بنوهم البلدان ص ٣٩٣)، ومن المحتمل أن يكون العمادية مد موشوا في الجهات الشمالية الغربية من منطقتهم وانظر الخارطة رقم ١.

لئلا، على أبواب الموصل، وأُعمل فيهم قتلاً وأسرًا، وصادر من مجموعهم من أموال، لأمر لدي أئمة أهالي الموصل من خطر محقق، ورد من حيثهم لهذا الرعيم الكردي^(١)

وفي عام ٤٣٢هـ تعرضت بلاد بهكارية لهجوم من ابن عمر بتركة أنشأ استطاعت عرباً من موطنها في منطقة أرمينية، وجري بين الطرفين قتال شديد انتهى بهزيمة الأكراد، واستيلاء عمر على عديدهم ومساكنهم وأموالهم ثم استأنفوا مطاردتهم لبهكارية الذين اعتصموا بحار والمصايق، وبمكوا، بعد قبيل، من عدة الكوة وأصيب بهجوم مصاد على قوات العمر، انتهى بهزيمة هؤلاء وهنل وأسر عدد كبير من أمرائهم ومقاتليهم، والأسبيلاء على أسحتهم وعائلاتهم، واضطر من بقي منهم إلى التراجع عن بحار^(٢)

يقصر المصدر بعد ذلك إلى العقد الثاني من القرن السادس، حيث تشير إلى اندور الذي لعب (جوش بك) وامي الموصل السلجوقي (٥١٧ - ٥١٤هـ) ضد فوصي الأكراد - وبهكارية بضمهم - في مناطق الموصل وحريرة، إذ كانوا قد انتشروا، وكثر مآذهم ورددات قلاعهم (وعند ماس معهم في صبي)، وأحمد الأم عبر طرق المواصلات فوسى جيوش بك أمر مطاردتهم بنفسه، وحاصر قلاعهم وتمكن من الأسبيلاء على عدد كبير منها في مناطق بهكارية واورران والشوية، وألصق - بذلك - الهمة في قلوب الأكراد، فهربوا بين يديه في المصايق والشعاب، ومن ثم عاد الأمر والاستقرار إلى تلك المناطق وتجدد أساس - من جديد - إلى ممارسته بشطهم الورعي والتجدي بعد أن أصبح الأكراد لا يجزؤون على حمل سلاح خوفاً من بطش هد بولي^(٣)

(١) العارفي تاريخ دودمانه بين (نفس مشور) ص ٥٥ - ٥٦

(٢) الكامل ٩١ - ١٤٤ - ١٤٥

(٣) المصدر السابق ١٠ - ٢٣٠

أما في عهد رنكي فسور لأول مرة اسم (أبي الهيجاء عبد الله بن أبي
الحصل بن موريان الهكاري)^(١) لذي سبق وأن ذكرنا كيف أمره بمصر
الندي آل إليه مدث حميدية عام ٥٢٨هـ، فعادر موره في أشب إلى الموصل
لإعلان طاعة لرنكي، وأتاب عنه في حكم الإمارة (بوا الأرجي) أحد أمراء
الهكارية بعد أن منح به أحمد قبة بوش. فلما مات أبو الهيجاء عام
٥٣٧هـ في الموصل^(٢)، تقدم حمد إلى شب يسرعها من الأمير بوا إلا
أن هد دومة مدعي أنه يدفع عن حق علي - لابس الآخر لأبي الهيجاء -
في ورثه إمارة أبيه، وكان هد من وراء دث ستملاا مقدرات الإمارة
الهكارية باسم لفضل الأصغر - لا أب رنكي -م يدفعه يحمي هدوه هذا
وأسرع بهيجة أشب، على رأس قوته، وتمكن من استدراج حذاف خارج
الحصن، وما أب ابعذوا عن الأسوار حتى انقض عيهم، على حين غرة،
وأعمل بهم قتل والأسراء هاهرموا من يديه، وحسدوا^(٣) دجه إلى لقلعه
مباشرة وتمكن من لاسيلاء عيها دون مقاومه تذكر، ثم فعل عثداً إلى
الموصل، بعد أن حصل من بوا وأصهاره وأرسل من هناك بانه يصير
الدين حق لشم ما بدأه سده. فقدم حفر إلى منطقة الهكارية، وقدم بتحريب
قبة أشب بـ على أو مر رنكي، كيلا يكون مركز دفاعياً، قد يستغل
الأكراد في المستقبل ضد مصاحبه في منطقة ثم شرع جفر لاسيلاء
على بق مواقع وحصون الهكارية فاحتاح حل بهجة وموش^(٤)، وأسم
بدث إسباط أهم حصون الهكارية، ولم يو أمانه سوى صاحبي جيل صو.
وهو ر، مدبين لم يكن لهما (شوكة يحاف مه)^(٥)

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ١ - ١٦٢

(٢) يذكر بن الأمير (الكامل ١ - ٥) أن أما بهيجة بقي في الموصل مد دهانه إليها لإعلان
الطاعة، وحتى ودهه رسم يبين ما هل ان بقاه هذا الأمير أنكردي طييه هذه لمدته، بعيد
عن إمارة سم باختياره، أم ن رنكي حتجرو بهيبت لهجوم على إمارة؟

(٣) الكامل ١١ - ٦٤، ٣٧، الباهر من ٦٤

(٤) الكامل ١١ - ٥ - ٦، ٣٧، الباهر من ٦٤

ستضع زنكي وبائنه أن يهبط بهذه لانتصبات أعمال الفوضى والفساد في المنطقة^(١)، فحل الأمر في ربوعها، وعدد معه قبل كل أحد على الأكراد أنفسهم، الذين تحصنوا من تمارعات انداحيه، على ما يظهر، وانجهوا إلى الإنتاج سم ما لث زنكي أن أصدر أوامره بساء قلعه العمادية - مة إلى اسمه^(٢) - على اطلاع حصن قديم كان لأكراد قد حرموا معجزهم عن الدفاع عنه^(٣) وبم تحدد المصادر لعرض الذي ستهدفه زنكي من إقامة هذه القلعة، وأعب الظن أنه اعثرم اسحاذه قاعدة عسكرية للدفاع ولتموين في حالات تمرد الي قد يقوم بها، الأكراد ضد ممتلكاته هك.

ومطة انصلاق لتوسيع نفوذه في المنطقة

المهرانية:

بدأ زنكي محوته في نفس العام (٥٣٧ هـ) على طائفة مهرانية^(٤)، التي تقطن عدداً من الفلاع المنتشرة في المنطقة بجبلية امتاحمه بحريرة ابن

(١) الكامل ١١ ٦

(٢) الباهر ص ٦٤، مط بين الجوري مرأة الزمان ٨ - ١٩١

(٣) الكامل ١١ ٣٧، باهر ص ٦٤، اروضين ١ ٩١ ٩٢، ويذهب المنوفي القروبي إلى انقول بأن سم عمادية جاء نسبة إلى عماد النوبة بنويهي الذي حار منطقة عام ٣٢٨ هـ وهي روية ضعيفه لا يمكن لأحد بها لامتداد نسوفي يذكرها، ولعدم نظرو المصادر المتعددة للأحداث إليها نظر برقة بنوب من ١٥ لتبرج بتداد انحلاعه بشرفه ص ٢٢، E.I.I.2 A muḍra (by V.Minorsky) ويؤكد ميورسكي في مدانه المذكور على أن نسبة العمادية إلى عماد انقوله احتمال ضعيف

(٤) من المرجح أن يكون اسم Amad أو (أمادي - مني) هو النحس الذي سبب انعمادية على طلاء استناد إلى الدلائل لآتية متوفرة، حيث يوجد للعمادية في الوقت الحاضر بيان هديان أحدها شرفي، ويسمى (ده زنكي زيباري)، و آخر عربي، ويسمى (ده كهي مه هدا)، وتوجد على الباب لآخيو صورة حارسين مسنحين بينهما حيوان لا يوجد له شبيه حي، وغيرها من عوثر غير إسلامية - كما يوجد بالنص من هذه بياب، صورة رجل مسحوق في انصحره التي بيب القلعة عليها، مما يشير إلى أن طلاء بنيانه يعود إلى ما قبل

عموم، وهم كوشى لدايمه على حساب الجهادي شرعي به، دجلة، و رعمري واشعبي واسريه وخرج وسرو^(١) وتحدو لمصادر من تقديم إيصاحات كفة عن تاريخ استهابة الساسي، وظروف تأسيس إمارتهم الصغيرة وتعرض على تقديم بعض الإثارات من الفرة التي عاصرت رنكي، حيث يستج أن هذه الجماعة سم نكي بجمعها إمارة وحدة، وبها نوزح حصونهم عدد من لأمرء، بمنع كل منهم باستقلاله عن الأخرين فالمة وخرج واقفي^(٢) كانت تحت حكم الأمير عمداة من عسي بن إبراهيم المهراني الذي لم تسر لمصادر إلى سنة توليه الإمارة وسنة وفاته حيث تنقل الحكم إلى ولده علي^(٣) وكاتب الشعباني لأمر آخر اسمه لحسن بن عمر

= الإسلام (أورد سامي الأكراد ص ٤٥) وعقد ذكر أمم في كتابات لأشورية رقيب معرفة حتى العصر الساسي الحديث (بشير فرسيس وكوركيس عود ب انجلاية شرقية لتسريح، حاشية ٢٢ ص ٢٢، مجلة سومر، العدد الثامن، ص ٢٦٩ - ٢٧٠) وقد جعل بعض الباحثين في محاولة إيجاد علاقة بعوية بين كلمتي أمم وتعماديه والموم، بأن الأخيرة ليست سوى تعريب لكلمة أمم (محمد علي عوي خلاصة تاريخ انكره وكردستان لمحمد أمين ركي، ج ١ ص ١٥٤) حتى إن أحدهم ذهب إلى التأكيد بأن رنكي لم يعم ببناء تعماديه أساساً وإن سم التعماديين بسبب سوي تعريب لكلمة أمم لصدية (نو سامي الأكراد ص ٥ - ٧) وبم شرأي من المصادر لاسلاية الر مام

(١) يذكر بن وحمل (مخرج الكروب ١ - ٥٦، أن السعبي وكوشى وعدد من الحصون بمجاعة كانت بتهدياية وروية بن لأثير (الكامل ١١ - ١٦، أكثر رجوع لأد موطن بتهدياية يبعد كثير عن منطقة جريه ابن عمر، ج ١ بشير ياغور (معجم بيد ١١٧٤) إلى أن لأكراد الهمدانية كانوا يربوا في بوحي الموصل، ويريد أن حوغل (صورة الأرض ص ٢٨٨) مكان سكناهم بحديد، يقول إن مستأهم كان يملك في المنطقة بعامته بين الزين الكبير والصغير، والتي يبعد مسافة كبيرة عن جزيرة بن عمر

(٢) ياغور معجم نبدان ٢ - ٣١٥، الكامل ١١ - ١٦، أورد سامي الأكراد ص ١٤، ١٩

(٣) فعمه حصنه بسببه ابن لأثير (الكامل ١١ - ١٦) إلى حضور المهرانية، وبسببه ياغور (معجم البلد ٢٥٢) إلى حضور الرور (الاسنوية) وبم نمارب بمطفيين أدى إلى

هذا الاضطراب في تحديد بعه بعض

أب كواشي فقد حكمها الأمير حول و هرون^{١٦} ولم يذكر المصدر من تولي كل من الأميرين الأخيرين الحكم

١٧ - سنوسي زكي علي قنعة أُنشأ الهكارية عام ٥٢٧ هـ وعدد إلى الموصلي، حتى أرسل شاه مصر الدين حقر يقوم بإسماع فتح الحصون الكوردية الأخرى في المنطقة. كما سبق ومروا. فقام هذا بالاستيلاء على بقعة الحصون بهكارية المهمة، ثم توجه إلى منطقة المهراسة المجاورة، واستطاع أن يصرص سيطرته على قلاع الشعباني وخرج وكوشى وسروا والرعماني^(١) وقد لعب الظروف دوراً في تحقيق هذه الانتصارات السريعة نصائح زكي ذلك أن اكتسح قلاع بهكارية في ذلك المدى المتصير، أدخل العرب في قبو أصحاب القلاع الأخرى في المناطق المجاورة وصادف أن توفي الأمير عبد الله بن عيسى المهراني صاحب التربة والموقع لمحيطه بها، فولاه من بعده ولده عبي لدي أسرع بارسا أنه حديقة بنت الحسن بن الموصل سخط الأمير من زكي، فأجدها بن ذلك، ثم ما بث عبي أن قدم بنفسه لإعلان الطاعة بزكي، فخره هذا على قلاعه، بسبب أهميته بفتح قلاع الهكارية المنيقية ولعله أراد بدئت عزل أمراء المهرانية بعضهم عن البعض الآخر، إذ إنه سرعان ما أوعز إلى نائب نصير الدين جفر بالاستيلاء على حصن الشعباني المعاند للأمير مهري آخر هو الحسن بن عمر، فأسم حقر المهمة واقترح على زكي السماح به بإلقاء القبض على علي ومهاجمة ممتلكاته فأذن له بذلك^(٢)

(١) الكامل ١١ - ٦ ويدكر محمد أمين زكي (تاريخ بكر وكرديسان ص ١٥٤ - ١٥٥) إنى أن عبي كان يحكم حصن (عكار الكي) فضلاً عن تربيته، وربما كان الرسم الأخير هو الذي المذكور في الاسم (القي)

(٢) الكامل ١١ - ٦

(٣) الكامل ١١ - ٥ - ٦، الباهر ص ٦٤

أسرع حفر باتجاهه إلى فدعه، لربيه، فهاجمها وبمك من الاستلاء عليه وأسر من كان فيها من أنصار عيني وإخوانه وتبقى زنكي نبأ هدا لانصار السريخ بسرور ببيع، وأوعز إلى بانيه أن يسعى للاستيلاء على بقية الموضع المهرية التابعة لعيني، فحركت قواته لسيفد الأمر، إلا أن لاكرد دافعوا عن حصونهم بحماس شديد، الأمر الذي دفع زنكي إلى ملايتهم وتقديم الوعود بهم، فأجابه إلى التسييم بشرط أن يطلق سراح من في سجونه من أمرائهم وفدتهم وقد تم الاتفاق على ذلك بعد مفاوضات طويلة بين الطرفين فسيتم زنكي الفلاح المهرية وأمدق من في يده من الأسرى وهكذا استتب الأمر في تلك المناطق^(١)، بعد أن كانت نفوذي قد سادتها رماً طويلاً^(٢) الأمر الذي عاد بانفع العميم على السكان الذين أتيح لهم أن يتخلصوا من المنازعات والحروب

البشوية:

بعد أن وضع زنكي يده على عدد من أهم مواقع الطوائف المكرية بده الذكر، التفت صوب جماعة البشوية المنتشرة في بلاد برورد^(٣)، فوجهه في الأراضي الممتدة من حبال أرمينية شمالاً وحتى الموصل جنوباً، ومن أدربيجان شرقاً حتى إقليم ديار بكر غرباً، وكان يقطن هذه البلاد، إلى جانب بشوية، عدد كبير من الأرمين وصائفة كردية أخرى تدعى السحتة وقد أقامت تلك القديس المكرديين عدداً من الملاع الحصينة في المنطقة أشهرها بركة وشير وحردقل وأسل وعفوس^(٤)، ودر الحمراء^(٥) وأسح^(٦)

(١) المصدر السابق ١١ - ٥ - ٦

(٢) المصدر السابق ١١ - ٦

(٣) (ياخر ص ٦٤، سبط ابن الجوري مرآة الزمان ٨ - ١٩٠)

(٤) ياقوت معجم البلدان ٦٣٥

(٥) المصدر السابق ٢ - ٩٥٧

(٦) المصدر السابق ١ - ١٦٦

وأروخ وباجوجا ونجوا وككور^(١) وحوشب^(٢) وابهنم وشرو^(٣) لا أن
أياً من هذه المواقع لم يكن يداني في أهميته حصن هيت الذي تحده
البشوية مركزاً رئيسياً لهم، مما كان يتمتع به من حصانه ثم فتح لأمره
جربزه من عمر اقربيه منه اسطوره عليه (ويطل الحصن على نهر دجيه،
وبه سرب إني عب ماء لا يمكن أن يحال به وبها)^(٤) وقد ماز مكانه
بالمروءه والعصيه، وحمايه من يتحن إليهم وتقديم ما يحتاج إليه^(٥)

ولم يورد المصادر عن تاريخ سياسي لهذه الطائفة سوى روايات
متفرقة، غير مترابطة، لا تكفي لوصف تنظيمهم ويطور بدرتهم منها ما
ذكره ابن الأثير - في أحداث عام ٣٨٠ هـ - من أن بارس بن دوستك انكردي
- مؤسس لإمارة البشوية في ديار بكر - سعى في ذلك العام إلى حشد
أبصاره من الأكراد ضد الحمدانيين في الموصل (وكثر من أطاعه الأكراد
البشوية أصحاب قلعه هيت، وكانوا كثيرين، وفي ذلك حال الساعر الحسين
البشوي ببني مروان، يعند عليهم يتحدثهم حالهم (يد) بقصيده مطلعها

البشوية أبصار بدولكم ويس في دجها في العجم والعرب^(٦)
كان بلاد البشوية سبعة بارس دوستك وقد أناب عنه في حكمها بن أخت
حسين بن مروان فما اندحر حاله أمام الحمدانيين عام ٣٨٠ هـ ترغم الأكراد
بنفسه، ويمكن من الاستيلاء على مناطق واسعة من ديار بكر، بعد لهزيمة التي
ألحقها بالحمدانيين في نفس العام، ومن ثم أعاد بناء الدولة المروانية هناك^(٧)

(١) المصدر السابق ١ - ٣٧١

(٢) المصدر السابق ٤ - ٣١٢

(٣) المصدر السابق ٢ - ٩٥٧

(٤) الباهر ص ٦٣

(٥) المصدر السابق ص ٧٣ ويقتل به أبو شامة الروضيين ١ - ١٠٥

(٦) معجم البلدان ٣ - ٩٣٠، أبو الفداء، تقويم البلدان ص ٢٧٤

(٧) الكامل ٩ - ٢٦

و رانه أخرى يذكره ابن الأثير في أحداث عام ٤٣٣ هـ، أوضح فيها كيف أن عمر ورفقاه أدريين كان في ذلك العام، فراراً من لسلالة جقة وتجهوا عرباً، وكيف أن بعض الأكراد دلوهم على الطريق وساروا بهم مختارين مطلق حيلة وعمره عمر أر صبي لروان، وانتهوا إلى جويوه من عمر، وكيف أن قسماً من عمر نطق من هكك إلى دير مكر منهج والسلب، بما بقي القسم الآخر قريباً من الجويوه، بقيادة منصور من عزعلي الذي تلقى رسالته من سلمان بن نصر الدابة المرواني يعرض عنه فيها صلح، ويطلب منه سقاء في مكانه بحين خروج الشتاء، كي يجهز سوية، مع مائت لعر بمنزقين في البلاد، صوب شاة بلاسيلاء على ما يمكن، لاسيلاء عليه من بلاده وقد استجاب قائد آخر بهذا العرض وعقد مباحثاً مع الأمر المرواني، إلا أن الأخير أصبر العذوبة، وسرعان ما تمكن من تبصر عديده، الأمر الذي دفع أصحابه إلى التفرق في كل مكان، ولما علم قرواش العقيقي، أمير الموصل، بتفرق العر، سبر جيشاً كبيراً بقائهم، انضم إليه الأكراد الشوية، أصحاب فك، ووب سليمان المرواني، وبدؤوا بملاحقة لعر الذين وجدوا أنفسهم إزاء عدو يعوقهم بكثير، فاضطروا إلى طلب الأمان، لكنهم لم يجابوا إليه. ومن ثم شقى الطرفان في معركة طاحنة أسفرت عن هزيمة لحلفاء واستجاب قرواش العقيقي إلى الموصل؛ حوى من أحمال مهاجمتها خلال عيابه عنها^١

وفي عام ٥٠٩ هـ اشترك الشوية، مع عدد من الطوائف الكردية انضمت شمالي الموصل، ككهكويه ونمهرية، في إثارة الفس والاضطرابات تلك التي تصدى لها الأمير حبوش بك ولي الموصل السلجوقي (٥٠٧ - ٥١٢ هـ) ويمكن من نقضه عليها، وإعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة، بعد أن تولى أمر مطاردة المفسدين بنفسه، واسمولى على عدد من ولاعهم^(٢)

١١) المصدر السابق ٩ - ٢٦ - ٢٨، القامعي تاريخ أمد (نص مشروح) ص ٥٩ - ٦٠

(٢) المصدر السابق ٩ - ١٤٥

ثم سبق أمام زنكي من حصون الأكراد المهمة ثماني لموصل سوى حصن فنت وعدد من الحصون البشوية المجاورة؛ التي كانت تحصن هذه البقاع الكردية منذ أكثر من ثلاثة قرون، وكان أميرها يومئذ حسام الدين المشوي^(١)، وقد اضطر زنكي إلى تأخير مهاجمته حصن فنت بسبب ما كان يمنع به من حصانة، ولم يسج لذلك إلا بعد أن تمت له السيطرة على معظم الحصون الكردية في المنطقة، حيث وجه اهتمامه إليه عملاً بحطته التي احتفظها، وهي (أن لا يكون وسط بلاده ما هو مدث لعبه)^(٢)

قام زنكي قبل مهاجمته فنت بمحاولة عزلها عما يحيط بها من مواقع وحصون، ويمكن من الاستيلاء على عدد من القلاع المجاورة كنهشم وشاروا وغيرها^(٣) وفي عام ٥٤١ هـ أتيحت له الفرصة لتوجيه ضربته ضد آخر الحصون المستعصية في المنطقة، فأوعز إلى قائده زين الدين علي كجك بالتوجه على رأس قوة عسكرية للاستيلاء على حصن فنت فظم هذا القائد جيشاً كبيراً من المرساين والرجال، انطلق بهم نحو فنت، وفرص حصاره عنها، إلا أن أصحابها صمدوا بحصار معتدين على حصانه موقعهم، ومادته النخبة التي كانت تضمن لهم الماء والأقوات وتم بطل حصار زين الدين هناك، إذ سرعان ما بلغه بأ غيالات سيده زنكي خلال حصاره فلهذه حبيب في نفس العم، فاضطر إلى فك الحصار والانسحاب إلى الموصل^(٤)

فنت هي لجماعات كردية التي هاجم زنكي مواقعها، واستطاع أن يصع يده على معظم مستنكاف وقواعدها المهمة، ويحصنها ببطونه، في

(١) الكامل ١٠ - ٢٢٠

(٢) الباهر ص ٧٢، الكامل ١١ - ٤٤، مخرج الكروب ١ - ٩٨

(٣) الكامل ١١ - ٤٤

(٤) الباهر ص ٧٢

أمن من عقد وبصاف، مصير مقبرته العسكرية، وحظته السياسية السارة
 التي أتاحت له التعلل على مصعب لفضال في المناطق الجبلية الوعرة
 وسط وثائق لا تدبر له بالولاء وقد تمكن بذلك من تأمين إحدى الجهات
 الهامة لإمارته، بعد أن كانت تشكل نقاط خطر عنه، وأن يجعلها مستنداً في
 خطوط دفاعية يصعب اختراقها، بحجةً بحظته في بدء سباح ندي صمم
 على مائه حول إمارته عندما قال يوماً (إن نيلاد كستان عليه سباح، فمن
 هو خارج السح يهرب الدحول)^(١)



١٩، انكاس ١١، ٤٤، البهم من ٧٣، الروضين ١ - ١١٥، الباهر ص ٧٩، ريشي عم أبو
 شامة الروضين ١ - ١١١، ريشي واصل مفرج الكروب ١ - ١٠٣

الفصل السادس

عماد الدين زنكي وحكام دمشق

بدأ زنكي عام ٥٢٤ هـ بتشييد حائطه لاسيلاء على دمشق و لمواقع المحاوره في قلب بلاد الشام، واتي كانت تحصن جميعاً لإمارة ال طغتكين الدين ورثوا حكم هذه المنطقة الحيوية عن سلاجقة الشام^(١) وقد أدرك زنكي ب تسديد ضربه حاسمه لدمشق لئلا يتنى دور لاسيلاء على المدن و لمواقع المحيطة بها، وبخاصة مديني حماة وحمص لواقعين على الطريق الرئيسي بين دمشق، إذ أن السيطرة عليهما تسمح بموعد استرجاع حماة، ومركز لمويين، لا يمكن الاستغناء عنها عند القيام بهجوم ضد دمشق، أو فرض حصار عليها

سعى زنكي بين استخدام الطرق واساورات السمية للاستيلاء على هاتين المدينتين دون مجوء إلى أساليب العنف والقتال، فاتجه إلى حماة التي كان يحكمها سونج بن بوري بن طغتكين حاكم دمشق، سلة عن أمه، وأرسل إلى بوري - من هناك - يستحده على قتال صليبيين (وأظهر المعرم على الجهاد)، فأجابته الأخير إلى طلبه، وأرسل إلى به سونج بأمره بالخروج على رأس حشده لزنكي، كما أرسل من دمشق قوة من الفرسان - بلغت الخمسمئة - بقيادة عدد من الأمراء^(٢)

(١) كاتب ابن بهم بنهم فصلا عن دمشق وحماة عدا من الموقع المنسره في سنة ٦٥٠ هـ كبعلك وصرغد وبصري وبانياس وغيرها

(٢) دبل تاريخ دمشق من ٢٢٧ - ٢٢٨، تكامل ١٠ - ٢٥١ ربه بحب ٢ - ٢٤٥ ٢٤٦
مخرج الكروب ١ - ٤١ - ٤٢

ما أن وصل صديج وفوته إلى معسكر زنكي حتى دبر هذه حيلة أخرى اسهت بوشاء بقبض عليه وعلى عدد من أمرائه وفادته، وإرسالهم محمولين إلى حبس حيث عثقوا في قلعته، ثم تقدم مسرعاً إلى حماة مشهراً فرصه عدم وجود حاميه يدافع عنها، فاستولى عليها دون مقاومة تذكر، في الرابع عشر من شوال، وسلمها - خدعة منه - لحاكم خیرخان بن قرحا صاحب حمص الذي كان يرافقه في عمليته في المنطقة بقرباً منه، وبحسباً من خطره على ممتلكاته إلا أن زنكي سرعان ما أنقذ الحص على أسوء بأمير حماة، ثم أسرع في مهاجمة حمص عليها فلم يلبس المصير الذي نبت حماة، وسلم قيادتها إليه دون نجوء إلى اعمال إلا أن أهالي حمص قد تنو سألته ككرة، اضطرب زنكي - أخيراً - إلى تلك الحصار واستمر إلى حبس^(١) حيث أرسل من هناك كلاً من خیرخان وسويج ومرتبه لئلي يمتثلوا في الموصل ثم ما لبث بوري أن أعد يراسل زنكي مسجلاً إعتلاق سرح منه، وأخيراً تمت موافقة أمير الموصل على إعادة المعتقلين إلى دمشق مقابل تسليمه دينار بن صدقة - أمير لحنة - الذي كان مصحراً آنذاك في دمشق^(٢) أما خیرخان فقد بقي في اسحن حتى مقبده عام ٥٢٩ هـ^(٣)

ما لبث زنكي أن قام في العام التالي بهجومه الثاني على حمص، لكنه حو بهن المقاومة الشديدة، فآثر الانسحاب انتظاراً لفرصة مواف

(١) المصادر السابقة، نفس المصادر، وبرز القدر المخصص في تاريخ سرح ٥ A ابن الوردي، تاريخ ٢ - ٣٥ ويحصل كل من ابن الأثير وأبي العلاء وابن الوردي هذه الأحداث عام ٥٢٣ هـ، بينما يجمعها كل من ابن الفلاس وابن العديم وابن وأصل عام ٥٢٤ هـ. وراي الأخير أرجح، لأن معلوماتهم عن أحداث الشام في هذه الفترة أكثر دقة من غيرهم

(٢) دبل تاريخ دمشق ص ٢٣٠ - ٢٣١، منتظم ١٠ - ٢٠، الكامل ١٠ - ٢٥٤ - ٢٥٥، ويعبر الباهر - ص ٤٦ - بأر زنكي هذه بوري بمحاصرة دمشق، أن لم يستطع ديسا محاصرة بوري إلى ظله وهو خير ضعيف، ومانع به كعادته من التأثير في الباهر

(٣) مخرج الكروب ١ - ٧١

أخرى^(١)، وفي السنة التالية توفي بوري حاكم دمشق، فأعقبه في الحكم ابنه إسماعيل الذي كان أكثر طموحاً وندفاعاً من أبيه، فعزم على مهاجمة حماة، ويمكن من استردادها في شون عام ٥٢٧ هـ، بعد أن أبدت حمايتها مقاومة عيفة^(٢).

كان زنكي - خلال هذه الفترة - مهتماً بشكله مع الخلافة العباسية ولسلاحته، وكان قد أوقف خططه التوسعية في الشام لكي تنصرف تلك المشاغل، الأمر الذي اضطره إلى عدم القيام بعمل مريع ضد إسماعيل إثر استرداده حماة إلا أن الأخير سرعان ما أصبح عبارة طالعة برء هادي دمشق وأمرائها صائب عليه الجميع وإذ أدرك صوار زنكي على مهاجمة دمشق، وصعوبة الصمود بوجهه وسمعة تحبطه من كل مكان، قرر انعام بمداورة اسهدف من ورائها كتب زنكي إلى جابه ضد حصومه الدمشقيين، فكتب عام ٥٢٩ هـ يطلب منه تقديمه إلى دمشق لتسليمها بيه طوعاً، وشرطاً عليه - بناءً على ذلك - أن يمكنه من الانعام من حصومه، وأبلغه أنه إن تم يسر طلبه، قام بإسداء الصديقيين وسميهم دمشق (وكان إثم المسلمين في حق زنكي) ثم ما لبث إسماعيل أن شرع بنقل أمواله وممتلكاته إلى صرخد، استعداداً لتسلم دمشق لأمير الموصل عبر أن كان أمراء دمشق وقد اتفقوا أو صرحوا بولادته - ذات اسمود الكبير في الإمارة - المواهب بوحيدة، سي متحررها عليهم سبابة بها ابرعاء، فأمرعت تدبير قتله، وأخلت مكانه في الحكم أحاء شهاب لدين محمود حيث بايعة الناس^(٣).

كان زنكي قد سر مجدداً لتسلم دمشق من إسماعيل، حسب الاتفاق الذي تم بينهما، وعندما بلغه أبناء الخبيرات التي جرت فيها، لم يقطع أمه وواصل

(١) المصدر السابق ١ - ٤٦

(٢) ذيل تاريخ دمشق من ٢٢٨ - ٢٢٩، الكامل ٢، ابن سعد الاعراب من ٩٢ - ٩٨ ص ١٤٥
ص ١٤٥ من الجوري امرأة الزمان ٨ - ١٤٥

(٣) ذيل تاريخ دمشق من ٢٤٧ - ٢٤٨، الكامل ١١ - ٨ - ٩

المسير حتى عسكر في منطقة العنديه اقربيه من دمشق، وأرسل من هناك وفيما
للمفاوض مع مسؤوليها حول شروط تسليم المدينة، اعتماداً منه بعدم قدره
الحكم بجدد على لمقاومه واستقبال الولد بحفوة يالعه، وطلع على مدى
انقاذ أهالي حول الحكم الجديد، وعدد لكي يحبر رنكي بما اسجد من
أوصاع إلا أن الأخير أصر على مهاجمه دمشق، فصرب لحصار عليها.
وقد بشن هجماته على أطرافها، مما اضطر سكان هذه المناطق إلى
الاستحاب إلى قلب المدينة، والانضمام إلى المدافعين عنها^(١)

بدل لدمشقيون جهوداً كبيرة للدفع عن بلادهم، وقاموا بشن هجماتهم
المصادة على معسكرات رنكي، وقد جاء هذا اثر اشتداد بعلاء في
المناطق، وعدم الأقرب، وبتل بعض حدد رنكي إلى دمشق، ووصول
رسول الحليفة لمرشد يأمره بمك الحصار والوجه على رأس قوته إلى
بعد العمل سويه ضد لسطون مسعود، وكرد حكام دمشق قد بعثوا إلى
الحليفه ببعث قدره خمسون ألف دينار وقاموا له (دفع عنا رنكي، وبحر
بحمل هذا في كل عام، فأجابهم إلى طلبهم)^(٢) وقد دفعت هذه الأمور
جميعاً رنكي إلى طلب عقد الصلح بين الطرفين، وغادر دمشق في اسبوع
و عشر من جمادى الأولى ٥٢٩ هـ متوجهاً إلى بلاده^(٣) وقد تمكن من
مروره بحدود من مهاجمه المدينة، وإبقاء لقصر على واسطه لدمشقي

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٢) المستظم ١٠ - ٤٣

(٣) ابن تلياسي ٢٤٧ - ٢٤٨ من مقدم لاعتبار من ٩٩ - ١٠٠، ابن الخوري المستظم
٤٣ - ٤٤، بكامل ١١ - ٨ - ٩، من تقديم ربه الحلب ٢ - ٥٥ - ٢٥٨ ابن راضر ١ - ٥٧
٥٨ يذكر S Runciman 11/197 History of the Crusades أن رنكي قام برباره رسميه
بدمشق ولكن محموداً لم يبق به بعيد الزياره إليه، فأرسل أخاه بيابه عبد وربا الخط
رسماء مهم الصرض المشايكه في هذه المجال التي أوردتها كل من ابن الأثير وابن
تلياسي وابن العميد، وهي سم مشر مطبق إثر أن رنكي دخل دمشق، بن كشمير باستخدام
أخ لشهاب الدين محمود إلى معسكره لعقد الصلح

(شمس الحوص)، مشهوراً فوضه تدمر أهدي حمصه من معاملته موظفي وبنواب
 هذه بنو بني واستطاع زنكي بذلك أن يعيد حماة إلى مملكته دون عناء
 يذكر، ومن ثم عين عليها نائباً وعدوه موجهاً إلى حلب^(١) ثم ما لبث أن
 عاد لحماة حمص في شوال من نفس العام، فأحرز رروعي وفائده، إلا
 أن هجمته هذه لم يحقق أية نتيجة، فعاد المنطقة في ذي القعدة موجه
 إلى الموصل^(٢)

عذب حمص، طيلة تسبوت ثلاث ليليه (٥٣٠ - ٥٣٢ هـ)، ألهدى
 الأول زنكي، وشهد عام ٥٣٠ محبوه أخرى بالاستيلاء عليها أشد عنده من
 سابقتها حيث حاصرها نائب زنكي، وصيب الحناي على أعضائها، وقطع
 النخيل عنها، واضطر صاحبها فريش بن خيرة بحد إلى مراسلة شهاب الدين
 محمود بتمسك منه إرسال من يراه كفواً لتولي شؤون الحكم في حمص،
 على أن يعرضه عنها بوحدي مدب إمارته موافق حاكم دمشق على هذا
 العرض الذي يبيع له صم مدينة كبيرة كحمص إلى إمارته، وعين عبيد أحد
 أمرائه، وكتب إلى نوابه في البلاد أن يسرعوا بإرسال لميرة والأقواب إليها،
 وسرعان ما عذب حمص أشد مرة على مجيئه الحصار الاقتصادي الذي
 فرضه زنكي عليها، وأصدر على المقاومة ولصمود من ذي القعدة^(٣)

متمرت قوات زنكي بصاده سوار من يتكبر، ناته في حلب، على من
 صدراتها على أطراف حمص، واستوت على مساحات واسعة من مرادها
 ورواحب استثمارها لحسابها، إلا أن صمود انحصيين، سيما بعد الإحراجات
 الأخيرة لني تحدها حاكم دمشق، اضطرب سوار بني طرب لتفويض،
 ونهى الأمر بعدم صلح بين طرفين اتفد فيه على عدم تعرض أي منهم

(١) ريداه الحصب ٢ - ٢٥٩، ابن القلاسي من ٢٤٨

(٢) ريداه الحصب ٢ - ٢٥٩

(٣) زين تاريخ دمشق من ٢٥٢، الكامل ١١ - ١٥ - ١٦

تمكن من استطرده على معظم المواقع العرسية لإمارة آل طعتكس، وجم بنق
أمامه، لاتحاد طريقه صوب دمشق، سوى مدينته حمص

شدد زنگي لكبر على حمص، وجمع عليها جموعاً كبيرة من مقاتلي
التركماني، واستقدم من حلب مفرقة عسكرية متمرسية على أساس الحصار،
وقام بشن هجماته على أنحاء المدينة. مستخدماً هذه المرة مريداً من
أساليب العنف والإرهاب وبرز أخرى بقف أحد السبي بوجه زنگي،
فبسطه مهدد إمبراطور الروم بمتكده في الشام إلى فتح الحصار
و بوجه مجابهة أخطار سحابة البيزنطي - الصليبي، وقد تمكن في فترة
قصيرة من القضاء على هذا التحالف الذي انتهى بانسحاب إمبراطور الروم
إلى بلاده^(١)

عاد زنگي إلى حصار حمص من جديد، محاولاً هذه المرة استخدام
الأساليب السميكية لتحقيق هدفه، مستغلاً مركزه القوي في المنطقة إثر
الانتصارات الحاسمة التي حققها ضد الصليبيين والبيزنطيين، فتقدم طلائع
رمز حاتون والدة شهاب الدين محمود حاكم دمشق، لعنه يصح الحصول
على حمص عن طريق هذه الترواح السياسي فأجيب إني طلبه بعد
مفاوضات قصيرة، وبعت إجراءات العقد في السابع عشر من رمضان، بعد
أن تمكن من إقناع آل طعتكس بتسليم حمص كخروج من الإنفاق، على أن
يعوض بنتها بعدد من الحصون القريبة من دمشق كنعوين و تلكمة و تحص
الشرقي، كما اشترط عليهم ترويع مئة من شهاب الدين محمود، مستهدفاً
من وراء ذلك - إقامة علاقاته بهذه العائلة الحاكمة على قواعد راسخة قد
تعيد في المستقبل القريب^(٢)

(١) انظر أيضاً أسبغ، بصر نصيبات و انظر فصل زنگي والصليبيين

(٢) دبل تاريخ دمشق ص ٢٦٦ - ٢٦٧، الكامل ١ - ٢٣ سطر ١١ الحوري مائة نومان ٨

١٦٥، p.142 W.B.Stevenson The Crusades in the East

ثم بمق أمام زنكي بعد هذه الانتصارات العسكرية والسياسية، سوى دمشق، انمدييه الرئيسية التي لا بد من حيرتها إذ ما أريد دمشق أن يسود بوجه لخطر الصليبي وأغلب نظر أن رواجه برمرد حاتون استهدف لتمهيد لتحقيق هذا الهدف، لم كنت نتمتع به من نفوذ واسع في إمارة آل طغتكين نكها ما أن عذرت دمشق حتى فقدت مكنتها وسطوتها هناك، حيث عذرت نكته الأولى لشهاب الدين محمود ورجال حكومته ولم لم يؤمل زنكي من وراءه. وخته (سعيدة حسراً، أعرض عنها^(١)) نكس شهاب الدين محمود ما نك أن قتل في شوان من انعم التالي (٥٣٣ هـ)، على أيدي رجال حاشيته، فرجع في ظل رمرد حاتون - التي كانت مقيمة في حلب آنذاك - أن ما حدث إنما هو بتدبير من نظامش بالسلطة في دمشق بعد انما محمود، فحررت عليه، وأرسلت إلى زنكي في الموصل، تسدعيه طابئة لئلا يولدها، مستجيبة إياه على لوصول إلى دمشق للاستيلاء عليها^(٢)

وأعقب نظر أن معين الدين، كبير أمراء دمشق، هو الذي توسى كبير الجريمة، إذ أنه سرعان ما أتى بالأخ الأصغر محمد، صاحب دمشق، وأخله في دمت الإمارة، أملاً من وراء ذلك السيطرة عليه، وانمرد - باسمه - بالسلطة الفعلية في إمارة شوان الإمارة - وما يرجح هذا نظر أن انمرد سرعان ما قام بإبعاد الأخ الآخر بهرم شاه عن دمشق، رغم كونه أكبر عمراً وأكثر إدراكاً من محمد، وذلك بحسب مما قد يهوم به بهرام شاه من كشف لأسر الإمارة التي أودت بالحاكم سابق، والتي تولى أمر مهمة إنجاحها، فرأى أن يهجه لخصم من الشهاب، وانما في أي آن واحد - وقد اتجه بهرم إلى حلب ثم عاودها إلى الموصل حيث انضم إلى جبهة زنكي^(٣)

(١) الكامل ١١ - ٢٣، ابن العبري - مختصر من ٢٠٦، مرجع الكور ١ - ٧٧

(٢) رتبة الحلب ٢ - ٢٧٢

(٣) زين تاريخ دمشق من ٢٦٨ - ٢٦٩، الكامل ١١ - ٢٨ - ٢٩

كان زنكي قد استحث قوته بمهاجمة دمشق من أن يستتب الأمور فيها فيجابه بالوالي نفس العناء لذي جابه في هجومه السابق، ولدى مروره بحماه حرد هره من اسمشاة بلغت تسعة الاف رجل^(١)، وما أن سمع الممشقبون بأ رحله حتى أخذوا يستعدون للدفع، ويستكثرون من الدحائر (وسم يتركوا شتاً، مما يحتاجون إليه، لا ويندوا جهوداً بالغة للخصون عليه)^(٢) ولم نشأ زنكي إزاء هذه الاستعدادات أن بهاجم دمشق مباشرة، وأثر أن يكون بحيث هدفه الأول هي هجومه هذه، وكانت هذه الفلعة وما يحيط بها من بابس ومرع إقطاعاً لمعين الدين آخر، فشدد عليها الحصار، وتمكن بعد مال حرم من لاسيلاء عليها^(٣) وسندع بذلك أن يتم ربط الطوق لذي ضربه خون دمشق بوضع قبضته على عدد من أهم المواقع لمحيطه بها بعلبك، حمص، حماة، بابس، ولجند، وأن يسمح من الانتصار بتيه أجرا، إمارتها لطب مونة عسكرية أو اقتصادية الأمر الذي سيضعف مقاومتها إلى حد كبير وفضلاً عن ذلك دم زنكي بجهود ديبلوماسية نفوية مركزة، إذ رسل (رضوان)، الوير العاطمي الذي كان قد نجأ إلى دمشق، وأعراه بالانضمام إلى جبهته، وتم لاتفاق بين الطرفين إلا أن انر أدرك ما وراء هذه التحالف من أخطار، سيما وأن زنكي يقف على أبواب دمشق، فارس فارس سي شرر مشهور اسمه من منقذ صغيراً إلى رضوان، وسندع أن يقعه بالعدول عن ذلك بعد أن يدل له الأموال

(١) مخرج الكروب ١ - ٨٤

(٢) دين تاريخ دمشق ص ٢٦٩ - ٢٧٠

(٣) انصهر سابق، نفس المصحات الكامل ١١ - ٢٨ - ٢٩، أن الير (ص ٥٨ - ٥٩) يعدم معلومات يورده الاصطراب والأعطاء

(٤) للاطلاع على تفاصيل مهاجمة وادار من عمشاه بظر إلى منقذ لأعصار ص ٣٠

بقي زنكي في بعلبك إلى ربيع الأول (من عام ٥٣٤ هـ)، وأعاد خلال ذلك تنظيم أمورها، وصالح ما أسندته الحرب^(١)، ثم عس بحم الدين أيوب وأباً عنها، راحد طريقه إلى دمشق، فعسكر في البقاع، وأرسل إلى جمال الدين محمد يبدن به أي بلد يقترحه مقابل السارل عن دمشق إلا أن الأخير ورجاء حكومته وعلى رأسهم سر قضا انقلب، فاضطر زنكي إلى التقدم صوب دمشق وعرض الحصار عليها. وفي الثالث عشر من ربيع الأول حدث انثناء الأول لطلائع محش و تهي بهزيمة بدمشقيين، بعد أن حصو وراءهم عدداً كبيراً من الأسرى والقتلى وعندما تقدمت صفوف لمهاجمة حطرات إلى الأمام، حوشت ثابيه بحشد كبير من جند دمشق وشرطيها وأحد ثي^(٢)، لكنها لم تلق صعوبة تذكر في اكتساحه وقتل وأسر وجرح عدد كبير من أفرادة وحشد بهارت معنويات المدافعين عن دمشق وأوشكت مدينتهم على الاستسلام، بولا أن أوقف زنكي عملياته الحربية عشرة أيام^(٣) مؤملاً من وراء ذلك استمالة أهلي دمشق، ودحول المدينة سبماً، دوسا اضطرار إلى إرافة مرید من اسماء زنكي يحبط رغبته السبمة هذه بالصعدات أمر قاصيه كمال الدين شهروزري بمكنبة جماعة من مدمي جند دمشق وشرطيها، وسمايلهم، وإعرائهم بالهدايا والأموال، من أجل أن يتخلو عن المقاومة ويفسحو بطريق أمام زنكي بدحول دمشق وسرعان

(١) ديل تاريخ دمشق ص ٢٧٠، الكامل ١١ - ٢٠

(٢) لأحداثهم جماعة من مسجدة من أهلي المدن، عظم شامهم في بلاد الشام في عهد النجروش بصلبيية، وبخاصة دمشق وحلب، وأصبحوا ذوي الكنبه الأولى في الدفاع عن دمشق في عهد آل طحتكبر، كما أصبح لهم مسؤولا يدعى (رئيس الأحداث) أو رئيس اليدا) يقر اختياره حاكم المدينة

C.Cahan: Mouvements populaires et Autonomie urbaine dans l'Ause Musulmane du Moyen Age, pp.11-13.

(٣) ديل تاريخ دمشق ص ٢٧١، الكامل ١١ - ٢٠، مرجع الكروب ١ - ٨٧

ما استجاب للقاضي عدد كبير من سكان دمشق وقاديه، وعرضوا القيام بمحاولة تسليم بينهم من الداخل، إلا أن زنكي رفض ذلك تحسباً بما قد يحجم عن هذا الأسلوب من محاطر قد تحمل ثقلاته^(١)

تابع زنكي مراسلة أمير دمشق، بدلاً له بتدارك عما يشاء من المدن والحصون، بناءً عليه دمشق، معتدلاً أن سيطرته على الموقف، ونصيبه الشديد على المدينة، سوف يدفعه أميرها إلى قبول عرضه هذه المرة. وقد مال حماد الدين محمد فعلاً إلى التمسك بما في ذلك (من إصلاح وحسن ائتماء)، إلا أن رجال حكومته، وعلى رأسهم أنر، الحاكم المعني في دمشق، معوه من الاستجابة لمطالب زنكي، فوجد هذا نفسه مضطراً لإعادة القتال^(٢)

وفي شمس من شعبان توفي جمال الدين محمد، ربما مقتولاً بأيدي جماعة من خوف من الاستجابة لعروض عدوهم. وقد وجد زنكي في هذه الحادثة فرصة مواتية لوجيه صربه الحاسمة ضد دمشق، إلا أن أنر أسرع بتخصيب محصر ندين أنق من محمد أمراً على دمشق، وأعاد تنظيم تدافع ضد هجمات زنكي، وأحد يش بدور هجمات مصادرة اضطرت الأخير إلى الرجوع قليلاً (وقد صعبت نفسه وضيق صدره) بعد ما رأى من صرار مسؤولي دمشق على المقاومة مهما كلف الأمر. ولكنه استمر في حصاره، مؤملاً انهيار الحالة الاقتصادية في دمشق ومن ثم انهيار مقاومتها. وبما رأى أنر عزم عريضة على الاستمرار في محصار أنس بضرورة التحالف مع الصليبيين لإزعاجه على الاستعانة بأرسل بعثه إلى القدس بثقت بملك الصليبيين وكبر أمواتهم، وظنت منهم تقديم مساعدتهم بدمشق ضد زنكي، مقابل مبيع من ائتماء، فضلاً عن قيام أنر بالأسبلاء على بابيس وتسليمهم

(١) الأبرص ص ٥٨ - ٥٩، نقل عنه أبو شامة الروضين ١ - ٨٥ - ٨٦

(٢) دبر تاريخ دمشق ص ٢٧٢، التكميل ١١ - ٢٠

إليهم، وحدثهم أبعثه من أرمسطره زنكي على دمشق يعني أن مقدرات
أشام قد أصبحت بيديه، وأن قواعد الصليبيين في سبطه سوف تعرض
لخطر عاجل^(١).

جميع (بولث)، عندك بيت المقدس، بمجده لاسشاري، وتمت
الموافقة بالإجماع على عقد تحالف مع دمشق ضد زنكي، ونحرك الصليبيون
بقيادة منكم بمه صوب شمان. باتين أمامهم البغايا والجواسيس المعروف
على حفظ عدوهم^(٢) وما أن علم زنكي بما يبيت له حتى أدرك أن استمراره
في حصار دمشق سوف يضعه بين شئين أروع وأسرع بمواجهة الصليبيين قل
أمرهم من دمشق، كي يتصدى لكل قوة على مراد. فدار المنطة في مطلع
رمضان (٥٣٤ هـ) صوب إهديم حوران في الجنوب وعسكر هناك بانتظار
قدوم الصليبيين الذين فصلوا. يهدف. حزم عند طبرية خوفاً من الاصطدام
برنكي. فرأى هذا. وقد اطمأن من جهتهم. أن يعود مسرعاً إلى دمشق
لحصارها من جديد، لكنه سرعان ما اضطر إلى الانسحاب بآية صوب
حمص، بسبب تقدم القوات الصليبية بجدة حبيهم في دمشق^(٣).

سجل أمر وخلفاءه لمرصه وانتهوا إلى ديباس في محاولة للاستيلاء
عليها بعداً بما سمع، لا يثق عنه في مفاوضات بت المقدس. وما أن سمع
زنكي بذلك حتى عذر على خراج السرعة إلى بعض استعداداً لمدح عنها
في حربه معها، والقيام بمحاولة لإقناع ديباس التي كان صاحبها قد
دخل تحت طاعته. وسما كان مهمكاً بمرصه قواده لاستدعاء شركاء
المناس من أمكنهم المتفرقة في المنطقة، انصر أمر وخلفاءه على ديباس

(١) Runciman: The Crusades, 11/227-228

Selton: A History of the Crusades, vol.I, S.V.Zengi and the Fall of Edessa, by
H.A.R Gibb, pp.459-460.

(٢) المراجع السابق، نفس الصفحة

(٣) دبل تاريخ دمشق، ص ٢٧٢، التكملة ١١ - ٣٠، مخرج الكروب ٦ - ٨٨

وتمكنوا من الاستيلاء عليها، حيث سلمت إلى الصليبيين حسب الاتفاق السابق. وكرد على ذلك روج زنكي خوفاً من ضيقه ببقاء مقيم بهجمات تحريرية في المناطق المحيطة بدمشق، وما لبث أن جمع قوته ثانية ورحل بهم عائدًا إلى حلب^(١) خوفاً من قدوم حملة بيرنطة لمساعدة الصليبيين ودمشق^(٢).

وهكذا استطاع أمر، بتحالته مع الصليبيين، أن يخلص من خطر وخطر محاولة حربية من زنكي للاستيلاء على دمشق، وإتمام خطته بتوحيد الجبهة الإسلامية في الشام، إلا أن الأخير ظل رغم ذلك، طوال سنوات حكمه المتبقية، بتحقيق هدفه.

ففي مطلع جمادى الأولى من عام ٥٤٠هـ راحب شائعات تقول بأن زنكي يعد العدة، ويسأب بلجهد، وأنه يرمي استهداف دمشق. وأكدت هذه الشائعات استكثاره من صنع لمجديق والمهمات لحرته ومثلهما يحتاج إليه لمجابهة أمة صعبة^(٣). وبعد ثلاثة أشهر توجه زنكي إلى حلب، في طريقه إلى دمشق فعلاً، لكنه لم يلبث أن عير وجهته، بعد أن اكتشف أثناء مروره برها. مؤمراً من سكدها الأمر من إعادتها للصليبيين^(٤). وأصل مجديقه ومهمته لحرية إلى بحسبي حمص ويعنيك^(٥)، الأمر الذي يؤكد استهدافه دمشق من وراء تلك التحركات، بسبب قرب هاتين المدينتين منها. ولكن عتباله بعد عدة واحد، عند أسوار حمص، وصح حذاً بخطه في قلب الشام.



(١) ديل تاريخ دمشق من ٢٧٢ - ٢٧٣، الكامل - ٢، باهر ٥٨، ٥٩، ربا الحبيب ٢.

Runoman: op.cit, 11/227-228 Gibb op.cit, 1/459-460 ٢٧٥ ٢٧٤

R.H.Nicholson: Tancred, p.443 (٢)

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٣، ربا الحبيب ٢ - ٢٨١

Runoman op.cit, 11/239. Gibb op.cit, 1/482 (٤)

(٥) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٢، ربا الحبيب ٢ - ٢٨١

الفصل السابع عماد الدين زكي والصليبيون

تمكن الصليبيون من الاستلاء على أحرار، مئة من بلاد الشام وجزيرة، في فترة قصيرة لا تزيد عن اربع (٤٨٩ - ٤٩٨ هـ)، وأشؤوا فيها أمارتهم لأربع الزمان، أمدكنة، ست المقدس، وطرطس، التي سرعان ما أصبحت تشكل خطراً بالغاً على صحة المواقع الإسلامية في المنطقة، وأحد ذلك الخطر يرداد يوماً بعد يوم، بسبب ما كنت تعانيه القوى الإسلامية آنذاك من ضعف وتنازع، والحلفاء العباسية والفاطمية كانت أضعف من أن تمتد بوجه هذا الرحم الجديد، أما سلاجقة فقد بددوا قواهم في انصرع على منطقة وهم يبقون يحمل عبء الفرس ضد الصليبيين سوى الأمراء المحليين في جزيرة وانشام، لكن التدفق بين هؤلاء كان يعرض - في كثير من الأحيان - بجراح أي مشروع لطرطس الغزاة

استعمل الصليبيون هذا انهيار لشمل بني لف لعاصم الإسلامي، وسموا حاضرين إلى توسع نفوذهم في منطقة، ورددوا مكنتهم على نفوذ مطالبهم، فكانت سر يا هم - كما يقول ابن الأثير - تبع (أمد) وخصيين ورائس العيين وأما الروم وحرار فكانت تعيش على خوف من استضعاف صريح ومحاسنهم وانقطعت لطرق إلى دمشق، إلا على برجة وناديه شام فكان لتجار وانبغزون يلغون من المجاور وركود سفارة مع ومشفة، وبحظرون بالقرب من العرب بأموالهم وخصمهم ثم ردد الأمور فجعلوا على كل بلد حاورهم حواجاً وإنه، يأخذونهم منهم لكفوا أيديهم

عنهم وأما حلب فإنهم أخذوا مدينته أعمالها، وأما ما في بلاد الشام فكان حالها أشد من حال هذه البلاد، وكان منك المسممين عذريين عن نصرته دينهم^(١) (١)

وهكذا عدت الظروف لخدمة العسكرية في تحرير الشام وسقوط ظهور أمير قوي يتمكن من القضاء على تناحر الأمراء المحليين، وتوحيد إماراتهم في جبهة إسلامية واحدة، بمقدوره لتصدي الصليبيين وقد قدر عماد الدين زنكي أن يقوم بهذا الدور، بعد أن ألاء السلطان محمود السجوق حكم الموصل والجزيرة، وبفتح من بلاد الشام، نظرًا لعدة شخصيته، وشجاعته، وموقفه السابق في قتال ضد الصليبيين، عندما كان يحمل تحت إمرة ولاية الموصل طيلة فترة بين ٥٠٥ و ٥١٢ هـ، حيث اشترك معهم في معظم حروبهم في هذه المناطق وكانت أولى تلك المعارك التي حاصرها بن جند هؤلاء الولاة، تلك التي دافعها مودود بن لؤسكين ولي الموصل، بعد تنصيبه أمراً من السلطان محمد (عام ٥٠٥ هـ) بمهاجمة الصليبيين في الشام وقد سهدف الهجوم مدينته رها، إلا أن محموداً للحصنة صهر مودود وفاته إلى معادرتهم إلى مواقع أخرى أسهل ملاحقة على من بشر وانتهى المصاف به عند معرته بعمان حيث مرض عنها انحصار وهناك انضم إليه بعض الأمراء المحليين في المنطقة، وعلى رأسهم طعنتكين حاكم دمشق إلا أن مرسه الأخير بصلبيين سرّاً طلب الصلح، أدى إلى إحقاق حمله المسممين في الاستلاء على المعرّة، وإلى انحصار معظم أمرائها بساني، (ولم رأي مودود مرقى المعارك وصنع طعنتكين غريب، صعدت معه، وعاد عنهم ولم يكن في عسكره من ظهر اسمه غير زنكي)^(٢)

(١) الباهر ص ٣٢ - ٣٣ ويش منه أبرشية الرومانيين ١ - ٧٦ - ٧٧

(٢) الباهر ص ١٧ - ١٨

وبعد أقل من عامين شارك زنكي في الهجوم الذي شنه في فلسطين كم من مودود وطعنكيس إثر التحالف الذي عقده فيما بينهم لهذا الغرض وقد استثمرت المعارك بين المسلمين و الصليبيين أسابيع طوالاً دون نتيجة حاسمة وبعد حين ليرد ولشأن ارتأى لحيثما أن يعود إلى دمشق ريثما يأتي الربيع، وقد أظهر زنكي خلال المعارك لانه شجاعه فائقة (تم سماع بمثلها) ^(١)

تم بسط مودود أن اعتقل على أيدي الباطنية، في جامع دمشق خلال انعام سنة ٥٥٥ هـ سلطان محمد. إثر ذلك، تنجهر الأمير أي مسفر ابرسقي بالعساكر وسييره نقداً، للصليبيين، وأصدر أمره إلى قوات الموصل بمرافقته في حملته تلك، فكان زنكي من أمر المصميين إليه، وكان (قد ظهر عنه من الشجاعة ما لا يوصف، لا سيما بعد ما فعله بطرية) ^(٢) وقد استهدفت الرها مرة أخرى، إلا أن فدريه، الدفاعية أزعجت القائد الجديد، كما أزعجت منه من قبل، على تحمي عن فكره الاستيلاء عليها، فرحل إلى سباط، وقام - من هناك - بمهاجمة وتخريب عدد من المواقع الصليب ثم فصل عائداً إلى بغداد ^(٣)، (وأي زنكي في هذه الموقف كنها نلاء حساً، وعاد العساكر تتحدث بها معه، وما ظهر به من شجاعة) ^(٤)

بعد موقف زنكي هذه عبر جولات انصرح ضد نصليبيين دوراً كبيراً في مستقبله السياسي، إذ كانت على رأس الأسباب التي دعت السلطان محمداً، استجوتي إلى توليه الموصل والحريرة، إثر وفاة زوجها عام ٥٢١. بعد أن أصبح لديه لاقناع انكفي بأنه ليس ثمة من يسد هذا الثغر الهام عبر عماد الدين، الأمر الذي دفعه إلى أن يمنحه مشوراً إصفاً بحكم ما يمنحه من بلاد الشام مع يؤكد حرص السلطان على الاستعانة من قدرات

(١) المصدر السابق ص ١٨ - ١٩

(٢) المصدر ص ١٩

(٣) نفسه ص ١٩ - ٢٠

(٤) نفسه ص ١٩ - ٢٠

هذا الأمر إلى آخر مدى ضد لخطو العجثم على حدود العراق العوسنة^(١) وقد جاءت هذه النبوية مصر^(٢) فاما للمسلمين في صراعهم ضد أعدائهم دبت أن طعنكمين . حاكم دمشق - م بيث أن توفي في عام النبوي ، وكان يعبر من أشد أمراء الشام حرصا على انتصدي للهجمات الصليبية (بعد وفاته جلب البلاد بالمرّة ولطف الله سبحانه ووبى زنكي)^(٣)

سم يسأ زنكي الاشباك مع الصليبيين مد البديّة، ورأى أن يسعى أولاً إلى تثبيت إمارته الجديدة، وتقرير إمكانيّتها الاقتصادية وعسكريه، وتوحيد ما يمكن توحيدّه من الإدارات الصغيره المتناثرة التي تحيط به من كل مكان وتشكل عوائق أمام أية خطة يستهدف من ورائها إعلان الجهاد العام ضد الصليبيين، إذ كانت لمصالح الخاصة لأمرائه، ومخاوف المسلمين فيما بينهم، تمنع تشكيل حلف متماسك ضد الأعداء، كما كان هؤلاء الأمراء - من جهة أخرى - يشكون خطراً مباشراً على زنكي في حالة تقدمه لفتح أولئك الممرّة، إذ ستظل خطوط رجعتّه - ابدأك - غير مأمونه، فضلاً عن إمكان تعرضه لمجابهة معارقات من بعض هؤلاء الأمراء والصليبيين. وقد تعينه عن تنفيذ مشروعه وسرداد م اسونو عنيه ومن ثم قام بمراسله جوسلين أمير الروم، وعقد معه هدنة مؤقتة^(٤) (يعلم أنه بمرح فيها من الاستئلاء على م بقي به من بلاد شامة وانجبريه، وصلاح شأنها، وخرج من إقطاع بلاده لجند بحبرهم، ويعرف مصحهم وشجاعهم)^(٥) ومن تشر بمصدر إلى شروط هذه الهدنة التي كان أمدها سنتين^(٦)، لا أن

(١) انظر الفصل الأول

(٢) الباهر ص ٣٨

(٣) الكامل ١٠ - ٢٤٧، الباهر ص ٢٧، مفرج الكروب ١ - ٣٦

Lane-Pool: Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem. p.49. Goursat

Crossades. vol. 1., pp.667-668.

(٤) الباهر ص ٣٧

(٥) Rundman: A History of the Crossades, 11/182

ابن الأثير يذكر أنها تمت على ما احتاره زنكي^{٢١} وبدوا أن المشاكل التي جابهت حوسين اضطرتهم إلى قبول هذه بصالح غريمه المسلم

كان هدف زنكي الأول، إثر عهده لهدنة، هو لاسيلاء على حلب وتوحيدها بقطعة انطلاق له في بلاد الشام^{٢٢}، وعندما رحلها في العام الثاني، لقي ترحيباً بالغا من أهاليها، وخرجوا لاستقباله في تظاهرة عيرو خلالها عن فرحهم وسرورهم بالأمير الذي جاء بحبيبهم من تهديد الصليبيين اندائم بهم، ومما كانوا يقومون به من تحريك لأحد له، على مدى المناطق الزراعية المحيطة بمدنتهم^{٢٣}، وطلق زنكي بعد ذلك لانتكاح ما كان يقع في طريقه من حصون مستعدة وإمدادات محبة، مسهراً فرصة هذه مع حوسين، ساعياً إلى توسيع حدود إمارته في سبي الانجذاب

ووافق عام ٥٢٤ هـ أن اجازت أنطاكية الصليبية ظروفها صعبة كاد أن تنتهي سقوط هذه الإمارة في يد زنكي، و بحصونها لطاعته على الأقل ذلك أن أميرها (بوهيموند الثاني) قل هذا العام على أيدي سلاجمة آب الصغرى، حاكمه بي الحكيم روجيه (أليس) ابنه (بنديون) ملك بيت المقدس وعدم اتحاد الأنطاكيين نأبيها، وانتهى لإنهاء مشاكل هناك، سرعت في ويحث رسولا إلى زنكي تعرض عليه إعلان طاعته له مع ابنه وإقرارها كأمير، على أنطاكية زنكي الرسول ما ثبت أن قبل على يد بنديون؛ أي عشر حبيب أثناء توجهه إلى أنطاكية إلا أن ملك بيت المقدس ما أن وصل إلى هناك حتى قامت ابنه بإغلاق الأبواب في وجهه، ثم ما لبث أن أعدت - مضطرة - حصونها له^{٢٤} وهكذا حصر زنكي فرصة ثمينه لا تفوض، كانت مسيح له - بلا شك - سيطرة على أهم مزارع نصيبين في الشمال

(١) الباهر ص ٣٧

(٢) ص ٣٧

(٣) الكامل ١٠، ٢٤٨، الباهر ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٣٨، وسه بحب ٢، ٢٦٥، ٢٣٤

(٤) Runcman, op.cit. 11/182-184 W B.Stevenson: The Crusaders in the East, p 129

نكو ما حققه من نصر في اعام نفسه، عوصه عن هذه الحماة، ذلك أنه كان قد أنهى أندك معظم مشكده وحروبه ضد أمراء ديار بكر^(١) كما كانت هدسه مع جوسلين قد انتهت، فقرر يبدء بالهجوم على المواقع الصليبية، مستهدفاً أشدها قرباً وحظراً على كيانه السياسي في حلب، ولم يكن غير حصن الأثرب المتجاور هو ذلك الهدف بسبب ما كان يحققه من أضرار بلاحق المنطقة من المسلمين وكان من فيه من نصيبين يقاسمون سكان حلب كافة أعباءها العربية، ويومنون بغارات مستمرة عليهم، وقد جمعوا فيه حيرة مريائهم، نظراً لخطورة موقعه وأهميته بالنسبة لأعدائهم في المنطقة^(٢)

تجه رينكي إلى هذا الحصن وفرص حصار عيه، فلما علم صليبيو الشام بذلك، خدوا قوتهم من كل مكان، وشكروا حياً ضخماً بحجوه به يقال رينكي، فاستشار هذا أصحاب وقادته فيما يعمل، فأجمعوا أمرهم على الاستحارة، وتركوا الحصن، لأن بقاء نصيبين في بلادهم مجاورة وحيث انعاقه إلا أنه أحدهم (إن يصرح متى رأوا قد عدنا من س أيديهم، طمعوا رسارو في أثربا، وحربوا بلادنا، ولا بد من لعائهم على كل حال)^(٣) ومن ثم سار بحيشه بقائهم بعيداً عن الأثرب، وجرب بين الطرفين معركة قاسية انتهت بنصار المسلمين وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين ثم ما لبث رينكي أن توجه إلى الحصن وفتح عتوة، وقتل وأسر معظم أهله حاميته، ثم أمر بحريبه^(٤)، كيلا يكون عرصه لتهديد مستمر من قبل الصليبيين، وتقدم من هناك إلى حارم الواقعة على طريق أنطاكية، وحرب عيه لحصار، فبدل به أهلها نصف دخل بلادهم، والنمو مهدته، فأجابهم

(١) الباهر ص ٣٩

(٢) الكامل ١٠ - ٢٥٢، الباهر ص ٣٩

(٣) الكامل ١٠ - ٢٥٢، ٢٥٣، الباهر ص ٣٩ - ٤٢

(٤) المستدران السامان، نفس الصفحات

إني دلت، وقفل عندئذ إلى حلب^(١) وقد أشد من الأثر إلى تسعة من أهم
مناجع معركة الأثر، وهي أن الأحداث في الشام أحدث تسعة، وجاءت جديد
لصالح المسلمين، الأمر الذي جعل للصليبيين يدركوا، أن عليهم محاربة قوة
جديدة لم تكن في حسابهم، ويحولون حفظهم العسكرية من الهجوم إلى
الدفاع، بعد أن كانوا (قد طمعوا في ملك الجميع)^(٢) ١١

شخص زنكي، طيلة السنوات الأربع التالية (٥٢٥ - ٥٢٨ هـ) بتنظيم
شؤون إمارته وتوسيعها، ولم يستطع أن يوجه اهتمامه إلى الصليبيين رغم
المبارعات التي بثت بينهم إثر وفاة (بدوين الثاني) أمير بطاكية عام
٥٢٥ هـ^(٣) وفي عام ٥٢٩ أسحت له الفرصة ثالثة لتحقيق انتصاف جديد هي
بلاد الشام، حيث قام بمهاجمة عدد من مواقع الصليبية المحيطة بحلب،
و التي كانت تهددها باستمرار، فضلاً عن كونه يحيط الدفاعي الذي يحمي
أنطاكية من هجمات المسلمين، ويمكن من الاستيلاء على حمص منها
الأثر^(٤)، ردد، قل أعدي، معركة المعام، وكفر طاب^(٥)

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٢) الكامل ٢٥٣/١٠

(٣) Runciman op.cit., 11/193-194 Stevenson op.cit. pp.129-130

Grousset op cit., 1/676

السيد بار عمري الشرق الأوسط وحروب صليبية ٥١٢ ٥١٣

(٤) مر ذكره سبلا زنكي على الأثر وبحريه عام ٥٢٤ هـ، ولم يشر المصادر إلى ظروف
عودته إلى صليبيين ثابته، هذه رواية غير شك فيها وردت في الآثار، ولدين نقولا عنه
كاين رصو، من أن زنكي فتح الحصن وخربه عام ٥٢٤ هـ. فهل أن ما أورده بن العديم
هـ (ريده الحلب ١ ٢٥٩) يشير إلى أن الحصن فتح لأول مرة عام ٥٢٩ هـ، وأن ابن
لأثير أخطأ في تحديد التاريخ؟ أم أن صاحب الترجمة حشر اسم الأثر بين أسماء
الحصون المتنازلة الأخرى التي فتحها زنكي هذا العام؟ (نظر سعيد عبد الصالح عاشور

الأخرى لصليبية ١ ٥٦٨ ٥٧٢، Runciman op cit 11/193-194)

(٥) ريده الحلب ٢ ٢٥٩ Stevenson OP Cit., pp 129-130

Runciman op.cit 11/197, K M Setton A History of the Crusades, vol. 5 V

Zengi and the Fall of Edessa. by H.A.R Gibb, pp. 457-458

أدت هذه الانتصارات التي حققها زنكي ضد الصليبيين إلى تسهيلهم إلى تزايد حضره على ممتلكاتهم في الشام، وإلى ضرورة توحيد حربه حاسمه إليه، وراحوا يتحجبون الفرص المواتية لإبراز هذه انصره وبعد عامين وحسب كان منهمكاً في حصاره حمص، قاموا بحشد كبير تقدموا به مرعى لصاعقة زنكي وانصاء عنه، وكسب حكام دمشق إلى جانبهم وعندما سمع بذلك عاد للقائهم بعيداً عن حمص كلاً يوقع نفسه في شقي الرخي منهم ومن الحمصين، ورأى أن خير دسنة يستخرج بها صدين إليه، وفتح له، في نفس الوقت، بولي دمام بمادة معه، هو أن يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعين الصليبي العربي وما أن بدأ رحله صوب دمشق الموقع حتى تقدم إليه انصبيون بقيادة كل من فولك ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس ودور بين انطونين معركة شديدة سهل انتصار المسلمين، ومنل وأسر عدد كبير من جد اعدو وأمرته وولده، كان ريموند من بينهم، أما فولك فقد تمكن من الهروب إلى حصن بعين^(١)

ما لبث زنكي أن تقدم نحو لخص وقرض عليه حصاراً شديداً بينما اتجه عدد من الصهرمين من المعركة إلى بلاد البيزنطيين وأوربه طائيفين المجده من أبناء نعاليم لمسيحي وأمرته، فائين لهم زنكي، إذا ما تمكن من الاستلاء على بعين، سهت عليه البطره على قمة سمكتات انصبة في الشام، بعدم وجود من يدافع عنها (وأن المسلمين بهم فيه في قصد بيت

(١) قبل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ - ٢٥٩ الكامل ٢١/٢١ - ٢٢، باهر ص ٥٩ - ٦١ (ويحظر المصدر الأخير بجمعه هذه الحادثة عام ٥٢٤ هـ كحادثة في عدم ضبط التاريخ، ولأصح عام ٥٣١ هـ على ما أحصاه عبد الصادر)، وقد نقل عنه هذه الرواية أبو شامة الرواسير

المقدس) فجمع المسيحيون حشاً كبيراً من الصليبانيين والبريطانيين، وساروا
للمجددة الحصن إلا أن رمكي كان قد عرله عن العالم الخارجي، ومنع عب
تسلسل الأخبار، كما أن تشديده الحصار على هذا الموقع لهما أدى إلى
ساقط حيزه والدحره فيه، الأمر الذي صطر أصحابه إلى طلب الصلح
فأجابهم رمكي إليه، بعد أن علم بتقدم الأعداء بحذبه، واشترط عليهم
فصلاً عن تسليم الحصن، تقديم مبلغ قدره خمسون ألف دينار يستعين به على
شأظه العسكري، فلم يتردد أصحاب الحصن في قبول مطالب رمكي، بعد أن
أيقنوا بعجزهم عن مقاومتها، وسموا به إطلاق سراح أمرتهم وكار
أسراهم، فأعطاهم، بعد أن عاملهم معاملة حسنة، وتسلم الحصن^(١)

بعد أن أحققت حملته لروم وانصليبيين التي قادها الإمبراطور البيزنطي
(جرجيس)، في إنقاذ العرب، سعى إلى محاوله استعلاء مصر
والاستلاء على عدد من المواقع الإسلامية في الجهات الشمالية من
الشام^(٢) وسم عقد اتفاق بين الإمبراطور وريشود مير أنطاكية، كان من
أمره بعودة أنه إذا ما استولى على حصون على حلب وما يحيط بها من
حصون، فإن ريشود يقوم بالتفاوض على أنطاكية للإمبراطور البيزنطي، ويتحد
لنفسه، عوضاً عن ذلك، إمارة صلبية جديدة تضم حلب وشير وحمص
وحمص^(٣) وقد قام ريشود - ك تأكيد لهذا الاتفاق - بإعلان بيعت
للإمبراطور، بعد حصوله على موافقة هؤلاء، ملء به المقدس، على
ذلك، إذ اعتمد الأخير بأن مصالحة صليبي الشام تمنح اسماله ببيزنطيين،
و لإفادة من قوتهم الكمية ضد المسلمين وبخاصة رمكي^(٤)

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات

(٢) الياهر من ٦٢، الرومانيين ١ . ٨٩، ابن مقفد الاعتبار من ٢

(٣) Runciman op.cit., 11/213, Grousset: op.cit., 11/97, Nicholson op.cit. p. 438

(٤) Runciman. op.cit., 11/213. Nicholson op.cit. p.439

ولكني بعطي لإمير طور حنا كوميص على أهدافه معي إلى خدع زنكي،
الذي كان معسكراً انداك بين حمص وحماه، بأن أرسل إليه رسولاً ليقدم له
بعض الهدايا، ويبحره بعدم تعرض الإمير طور لإمائه^(١) ثم ما لبث لأحم
أن أصدر أوامره بإبقاء انقبض على جميع المسافرين القادمين من حلب
ولقري المنصورة صوب العرب، كيلا تنسأ أباء تحركات قوات المسلمين
إلى زنكي^(٢) ومن ثم تقدم الإمير طور يصحبه أمير الرها وأنطاكية،
وبدؤوا بمهاجمة حصن برعه بالقرب من حلب، وتمكنوا من الاستيلاء
عليه^(٣) وقد استطاع بعض أهليه أن يهربوا إلى حلب، حيث استرو
المسؤولين فيها عن قرب الخطر، فقام هؤلاء بتعريض التحصينات الدفاعية،
وأرسلوا إلى زنكي يطلبون وحدة مستعجبة، فأمدهم بقوة من الفرسان، كان
مدحوليها حلب بأثر كسر عني رفع معنويات أسائها وبأن وصل
المتحاربون إلى حلب وعرضوا بحصار عليها، حتى أمروا مدى ماعتها
وقدرتها لكيرة على الصمود، هد إلى أن الحبيبين حدود، يوميون بهجمات
سريعة على معسكرات الأعداء أدخلت الرعب وعدم الاستقرار في صفوفهم،
فأثروا، الأسحب ولما علم جد الأتارب بذلك، حافوا من بوجه
المحاربين إليهم، فأحرقوا خزائن الصنع واستحبوا، وقام الإمير طور - إثر
ذلك - بإرسال بعض قواته إلى هذا الموقع، فتمكنت من الاستيلاء عليه أما
هو فقد تقدم على رأس الصمم الأكبر من جنده إلى معرة نعمان واستولى
عليها، وتوجه من هناك إلى شير، وعرض لحصار عليها، ساعياً بذلك إلى

(١) ريد الحلب ٢ - ٢٦٣

(٢) ديل تاريخ دمشق من ٢٦٤، ريد الحلب ٢ - ٢٦٤، Rundiman op.cit. 11/215

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٦٥، تاريخ أميد ومينادريس، ورقة ٢ - ١ المسظم ٧٢ - ٧٣

الكامل ١١ - ٢٣، اباهر من ٥٥

وضع بدء علي موقع هام يسمح انعزاه حنطره علي ودي بهر اعاصي،
ويقف سداً أمام مصامح وأهداف رنكي البعيدة في المنطقة^(١)

ستنجد سلطان بن علي لكناي، صاحب شيرر، برنكي اندي كان
مهمكاً أندك بمشاريعة الرايب إلى توحيد الجبهة الإسلامية في قلب بلاد
الشام، فابجه علي رأس قوائمه شمالاً، وعسكر بدمرب من حماة (وكان
يركب كل يوم في عسكره، ويسمر إلى شيرر، بحيث يراه ملك بروم،
ويرسل الرايب تحطمت من يخرج من عسكرهم بدمرب والهب، ثم يعود
إلى الشام)^(٢) كما سعى إلى حذاع المتحاربين، إذ أرسل إليهم يقول
(إنكم قد تحصصتم بهذه الجبال - المحيطة بشيرر - فأخرجوا عنها إلى
الصحراء حتى يلتقي!! فرب ظفرتكم أهدتم شيرر وغيرها، وإن ظفرتكم بكم
أرحت المسلمين من شركم وسم يكن له بهم قوة لكرتهم، ورف كان يعمل
هذا برهة بهم)^(٣) ١١ ويهدد اسفل رنكي مادي عدم انفس الحربي، وعمل
على تحصيم الروح المعنوية للصلبيين^(٤) وقد اثار هؤلاء على كوميين بقاء
عدوهم، مرفص الامبراطور ذلك، اعتقداً انه يأب رنكي لم يكن يظهر
أمامهم من عسكره سوى اقميل، وأب وراءه قواب ضخمه اناحب له أن
ينجدهم إلى اللقاء^(٥)

سمر رنكي يضيق ما في جعبته من سهام الحية واندهاء لتفصيت هد
التحارب المحطوب، فراح يرسل صليبيي الشام، ويحذرهم من امبراطور
الروم ويعلمهم أنه إن متولى غبي حصص واحد في الشام (أحد لبلاد التي

(١) الكامل ١١ - ٢٢، الباهر ص ٥٥، دير تاريخ دمشق ص ٢٦٤

Rundman, op.cit 11/215, Gibb op.cit. 459., Nicholson, op.cit pp. 439-440.

(٢) الباهر ص ٥٥، الروم ص ١ - ٨١، مرجع بركوب ١ - ٧٩

(٣) الكامل ١١ - ٢٣ - ٢٤، الباهر ص ٥٥ - ٥٦

(٤) عاشور الحركة الصليبية ١ - ٥٨٧

(٥) الكامل ١١ - ٢٤، الباهر ص ٥٦

تأييدهم منهم)، ويرسل للإمبراطور من جهة أخرى بشهاده وبهمة أن الفرج معه فسدت الشكوك بين الطرفين المسيحيين^(١)، سيما وأن أمير الروم وأبطاكيه لم يسعيا إلى التعاون لجند مع الإمبراطور، فضلاً عن اشتداد المدافعة فيما بينهم، وبحول يحمونه من نقصار الروم، وبالتالي سفسد الاتفاقية التي وقعها معهم، والتي جعله يصف وحياً بوجه أمام قوات المسلمين بعداً عن أبطاكيه ولم يرعب أمير الروم هو الآخر في أن يكون مدافع يحمونه قريباً منه في حلب، في حالة انتصار المتحالفين ونقص سود لاتفاقية المعهودة بهم، وقد عرفت هذه العوامل حجباً توجد الجهود لتفتح شيرر^(٢)

ولم بأن رنكلي جهداً من جهة أخرى - في حلب اسحداث عسكرية من شى أنحاء العالم الإسلامي، فأرسل إلى بغداد يمسس بجدة السلطان مسعود السنجوقى^(٣) وإلى سلاجقه اسيد نصغرى يشير عندهم بالإعارة على تمواقع البيزنطيه هناك، كي يتحول اهتمامهم إلى تلك الجهات^(٤) ووردت أساء تشير إلى أن أمير حصص كيما لأرققى أرسل إليه عن رأس جيش كبير من التركمان^(٥)، وأن فوب دمشق تحرك بمساعدة رنكلي^(٦)

رء هد وذلك رأى الإمبراطور أن الاسحاب أصبح امراً محتماً، فأنهى حصاره بشيرر في التاسع من رمضان (٥٣٢ هـ)، بعد أن عرض عليه أميرها

(١) الكامل ١١ - ٢٤، ج ١ ص ٥٦، Runciman op.cit., 11/216.

(٢) سير رنكليمان - محاضرات عن الحروب الصليبية، ترجمه صالح أحمد العلي ص ٢٢٥

Runciman: op.cit., 11/216

(٣) الكامل ١١ - ٢٤، البصر ص ٦٢ - ٦٣

(٤) العربي الحروب الصليبية ١ - ٥١٥ - ٥١٦.

Runciman: op.cit., 11/216. Gibb: op. cit., p.459

(٥) دبل نايج دمشق ص ٢٦٦، ريدة الحب ٢ - ٢٦٨، Gibb: op.cit., p. 459

(٦) دبل نايج دمشق ص ٢٦٦، ١١/99، Grousset: op.cit.

مسلحاً من المال، وهدب قمه، وصوبه صوبه كرمز لشعته^(١)، وهاذ بقوات المسيحية المصارعة في طريق العودة إلى أنطاكية. وحينذاك انقصر زنكي على ألائهم الحربية بثقيبه (ومجانيقهم أعظام، يستوي عليها، ورفعها إلى قلبه حب^(٢) كما أرسل بعض حده في أثر قوات العدو المسحوب، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم^(٣)

وفي أنطاكية حدث خلاف جديد بين الأمر طور و لصلبيين كد أن يسهي منه واسعه بين الطرفين، لولا إسراع كويمس بارحوج إلى بلاده^(٤) وهكذا يبدو واضحاً أن أهم النتائج التي أسفرت عن فشل المسيحيين هذه، هي تدهور العلاقات بين الصليبيين و لصلبيين، وعدم استطاعتهم بقاء بعض سريع ضد نشاط زنكي في المنطقة في المسين التالية

في الأيام التي أعقبت سحب الصليبيين، استطاع صلاح الدين ألباعسباني حاجب زنكي، أن يستولي على كمر طاب، بعد أن بلغه هروب الصليبيين منها^(٥) كما سار زنكي إلى حصن عرقة، فحاصره وفتحته عبوه، وأسر من فيه من الصليبيين، ثم أمر بتحريره^(٦) وفي بيت أن توجه، في مطلع العام التالي (٥٣٣ هـ) إلى حصن براءه، فحطاه عبوه وقتل معظم من فيه من قوات الصليبيين و بروج، ثم حاصر الأثارب ويمكن من فتحها في صفر - ورجل عائداً إلى الموصل^(٧)

(١) رتبة الحب ٢ - ٢٦٨، الباهر ص ٥٦ Runciman: op.cit., 11/2 6-217

(٢) رتبة الحب ٢ - ٢٦٨، الباهر ص ٥٦

(٣) الكامل ١١ - ٢٤، الباهر ص ٥٦

(٤) رتبة الحب ٢ - ٢٦٨، Runciman: op.cit., 11/217-218

(٥) رتبة الحب ٢ - ٢٦٨، Gibb op.cit., p.459

(٦) الباهر ص ٥٧، الرومانيين ١ - ٨٤

(٧) هرج الكروب ١ - ٨٣، Gibb op.cit., p 459

بهمك رنكي، في اقتره السنة، بالعمل على تمام خطته لتوحيد الجبهة الإسلامية، كي يكون أكثر قدرة على مجابهة النصيبين، وقد تم في عام ٥٣٣ بعده مفاوضات وعمليات عسكرية وسياسية، في بعض جهات الجزيرة، مستهدفاً صممها لإمارة^(١) ثم عدد لستاف السعي من أجل تحقيق هدف القديم بالامتلاء على دمشق وتوحيد الجهة الثامنة^(٢) مدحه إليها في أواخر العام نفسه، وعرض حصاراً شديداً عليها كاد أن يسقطها في يديه، لولا استنقاذ أمرتها بصلي ست المقدس، واستحانة هؤلاء بهم، رعة منهم في انصاء على الخطر المشترك الذي يمثله وجود رنكي في المنطقة، الأمر الذي اضطر الأخير إلى الانسحاب^(٣)

وفي عام ٥٣٨ هـ أتيح لرنكي استغلال مركزه القوي في ديار بكر^(٤) و بعباد بفتح عدد من المواقع والحصون النصيبية المعقدة لإمارة الرها النصيبية، والمنتشرة في المناطق القريبة من ماردين كحميين، وسمور^(٥)، وتل مورن، وغيرها من حصون إقليم شبعان^(٦) وكان هدفه من وراء ذلك قطع الاتصال بين فرا أرسلان الأرتقي، أمير حصن كيفا وبين جوسلين أمير الرها، بسبب تحالفهما صده^(٧)، وسبب تمهيد الطريق أمامه لإنزال

(١) انظر الفصل الرابع

(٢) انظر الفصل السادس

(٣) انظر الفصل الرابع

(٤) سندها ياقوب السمور (ديرواي) وذكر انها إحدى أقاليم الجزيرة، (معجم بندان، ٤: ٦٧٩، ٦٨٠)، أما المصادر الأخرى فترسم حرمها الأخير بادر، ويذكر ابن سندها أنها وجملين فعباد بها عمل مسج بين ملاذ ديار بكر وديار مصر، على مسيرة يوم من حران (خاتمة ردة الحلب ٢ - ٢٧٧)

(٥) شيعان هو أحد قوائم ديار بكر، عند مدبح نهر العاصي. Gibb. op.cit. p.461 ولم يحدد المصادر أسماء حصون نصيبية الأخرى التي استولى عليها رنكي في هذا الإقليم

(٦) Runciiman. op.cit., 11/235. Gibb. op.cit. pp.460-46٢

صوبته المباشرة بأثرها نفسه . وبحقيق حلمه اندي طامها اود حياه عمر
سي صرحه الطويل ضد الصليبيين

كانت ارضها من أهم المراكز لصلبه، باعتبارها قاعدة لإحدى إماراتهم
الأربع في اشرق الإسلام، وبقرتها من العراق، وهذه تحصيناتها، وما
كانت تسمه بمناطق الإسلاميه لمجاورة من احطار لا تقف عند حد، (وهي
من أعظم المدن عند انصارى، إذ كانت عين البلاد الجريرة، وحصن
المملكة، وانصاف إليها عدد من البلاد)، فانتسب أوصياءها، وشهدت
وطاها على سكان لمناطق مجاورة، (وأصبحت عادات فرسانها تلحق امد
وماردين وخصب، ورأس عين، والبرقة، وأما خراس فكانت في الحري، كل
يوم صحوف بالحرارة)^(١) وكانت هذه الإمارة الصليبية - فضلاً عما سبق -
شكل عائقاً يحول دون قيام سكي تتوحد اتجاهه الإسلاميه في مجواره،
وشبابي لشام، سب بدخنها المستمر بصالح أعدائه من أمراء المسلمين
في المنطقة، وتهديدهم ابدانهم بخطوط المواصلات الإسلامية التي تربط بين
الموصل وحلب من جهة، وبين بلاد فارس وسلاحقه أسب لصعق من جهة
أخرى^(٢)

سبك راح رمكي بعد اعداءه للاسيلاء عديها، وتأمين لاهداف كبرى
التي يتبعها بمصاد هذه الحدار، مستطراً سرح الفرصة توحجه صوته،
ودخول المدينة التي كان ذكرها - كما يقول ابن لقلاسي (جمالاً في جلده،
وأمرها مانلاً في حاضره وعبه)^(٣) - ومرعاب ما عذب ظروف صليبيين في
الشام - هي أواخر الثلاثينيات - ملائحة إلى حد كبير لقيامه بهذه الخطوة إذ
اشد اسراع بين ريموند أمير أنطاكية، وجوسلين الثاني أمير الرها، وسهي

(١) الكامل ١١ - ٤٠، باهر من ٦٦ - ٦٧

(٢) Stevenson: op.cit. 153

(٣) دين تاريخ دمشق ٢٧٩، ونظر ربة انقلب ٢ ٢٧٨

الأمر بمقاطعة أحدهما للآخر، وعدم بحدته لصاحبه في حانه بعرصه إما تـ
لعرو حارحي، بل العكس، أصبح خطر كهـد مبعث ارتياح وتشتت من قبل
الآخر^(١) ومما زاد أمور نصيبين سوءاً وفاة فولك، ملك بيت المقدس،
ومحيي بلدوين الثالث إلى انعرش، وهو حديث السن، ضعف الشخصية،
الأمر الذي جعل الصبـين لا يخصصون لإرادة مـدبره يستطيع أن يهي ما قدم
بين جوسلين وريموند من حقد وبرء، ويسعى إلى توحيد قواهم ضد
محاولات المسلمين الاستلاء على ممتلكاتهم^(٢) ولم تكن ملراند . بوصه
على بدوين - باتي تهم بأمر بمصالح بصلبة عامة، بل انصب بصب
الأهواء، وبسح المؤامرات^(٣)، فصلاً عن اشتغالها بصد هجمات
الدمقس^(٤) هد إلى أن اسخلف لتقديم بن الصبـين والإمر طور
البيريطي كان قد انتهى عام ٥٣٧ هـ وجر مجده عداء شديد، وحروب دائمة
بين الطرفين، بسبب الطماعية الدائمة^(٥) وأخيراً جاءت وفاة الإمبراطور
حنا كومين ركي بخص رنكي من عدو خطر بدود^(٦)

وكادت ظروف برها بصبه مساعدة هي لأخرى، إذ سمر أمرها
جوسلين الثاني بصبه شخصيه وسياسة ورء، للمواطف والأهواء، وعدم
امتلاكه حرية سياسة كافية^(٧) وكادت أمه أرمسه، مشأ وهي بفسه مل إلى
الأرمس وعمرهم من طوتف المسحجن الشرقس الدين كان يقصدهم على
المسيحيين العربيين الأمر اندي بسبب قلعة بين فرسانه الصبـيين، وأوحد

(١) Runciiman: op.cit. 11/234-236

(٢) عامو الحركة الصليبية ٦-٣ ٦-٤ ٦-٥ ٦-٦ Grousset op.cit. 11, 174-5

(٣) Grousset op.cit. 11/174-175

(٤) Runciiman. op.cit. 11/235

(٥) Runciiman: op.cit. 11/234

(٦) Runciiman op.cit. 11/235

(٧) العربي الحروب الصليبية ١ ٥٢٢ ٥٢٤ ، 11/176 Grousset op.cit

موقعاً من عدم الاستقرار داخل الره^(١) هذا إلى أن موقع هذه الإمارة كان ملائماً لمهاجمة زنكي، بعد إذ أحاط بها المسلمون من كل مكان، وفصلها الفرات عن بقية الإمارات الصليبية في الشام.

استغل زنكي هذه الظروف، وسعى إلى تدبير حادثة تتيح له تحقيق هدي من أقصر طريق، وكان يعلم أنه لن يستطيع أن يسان غرضه من لرها ما دام جوسلين وقواته موحدين فيها، وهكذا نصب اهتمامه على إيجاد وسيلة تدفع عريضة إلى معاداة مقر إمارته وتوجه إلى بلد، وأظهر أنه يعزم حصارها، وأنها هذه دون غيرها، وبث عيونه في الوقت نفسه في منطق ره يظلموه - أولاً بأول - على تحركات أميرها ندي ما أن أي بهماك زنكي بحروبه في ديار بكر، وعدم تفرغه للهجوم على المواقع الصليبية، حتى عائد مقر إمارته على رأس قوته^(٢)، بعد أن اتخذ إحراة احتياطاً بأن عهد هذه مع قر أرسلان صاحب حصن كفا^(٣)، لذي كان قد التحا أنه بعد تهديد زنكي لإمارته^(٤) ومن ثم توجه إلى بل مباشر وقعة على الضفة العريضة بمرات، كي يتحصن هناك من كل مؤذنة، ويتصرع بملدانه، تاركاً حماية ره لأهلها من الأرمس واسريين والساطرة وبياعة، وكان معظمهم من التجار الذين لا خبرة لهم بشؤون الحرب والعدا، بين توس الجد المرتقة مهمة الدفاع عن القعدة^(٥)

وجاءت عيون زنكي لطلعه على البأ الذي كان يحرق شوقاً إليه فأسرع بانتوحيه إلى ره، مستمداً (على السرعة مركوب لحائب و (البل)^(٦)

(١) عاشور الحركة الصليبية ٣ ٦٠٤ 11 / 178 Grousset op.cit.

(٢) الكامل ١١ - ٤٠، باهر ص ٦٧

(٣) Gibb op.cit. p.480. Runcmen. op. cit. 11/235

(٤) Ibid: 11/235. Grousset: op.cit. 168-177

(٥) الباهر ص ٥٨، الرومانيين ١ ٩٥

مستنهراً كل قادر على حمل السلاح من مسمي المنطقة للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وما لبث أن نهالت عليه جموع المطوعين، فطرق بهم أبوابهم من جهاتهم الأربع وحاولوا في سبيله - أن يوصلوا بطرق سلب عنها تحقق هدفه دون اضطراب إلى رفع سفيره، فوصل أهالي أرها بدلاً لهم الأمان، طالباً منهم أن يفتحوا له الأبواب قبل أن يجد نفسه مضطراً إلى تدمير سوار بلدهم، وإحلاء دبره، إلا أنهم لم يوافقوا الأمان^(١) وحينئذ اشتد زنكي في التضييق على الحصن، مستخدماً آلات الحصار الصالحة التي جنبها معه تدمير أسوره، قبل أن يباح الفرصة لتجمع الصليبيين و يتقدم لإيقاد هذا الموقع الخطير، وأسل جوسلين لدى سماعه بأ الهجوم في طلب نجدة مستعجلة من كافة الإمارات الصليبية في الشام، فلم يستجب له سوى (ميراندا) بوصيه على بيت المقدس، التي وصلت بجندتها بعد فوات الأوان^(٢) كما أنه قام بمحاولة لدخول إلى المدينة، أو إرسال نجدة بغير دعائها، فحبل بينه وبين ذلك وهي السادس ولعشرين من جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ وبعد مرور ثمان وعشرين يوماً على بدء الحصار، هرب بعض آخرى الحصن، إثر اضطراب لمركز شديد أصاب تعرضت له، فاحت تحت قوات المسلمين لمدينة^(٣)، ثم ما لبثت انقلعه أن استسلمت بعد يومين، ودم القس المعقوبي مرصوماً بجزاءات يسلم أرها زنكي^(٤) الذي أصبر أو مره إلى جنده بوقوف أعمال القتل والأسر وسب، وعادة ما استوفى عليه من سبي وعتائم، فأعيدوا (ولم يعقد إلا اشتد الدار)^(٥)، وأعقب ذلك

(١) الباهر ص ٦٩

(٢) عاشور الحركة الصليبية ٢ - ١٠٥٠ - ١٠٦٠

(٣) ديل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ - ٢٨٠، الكامل ٤٠ - ٤١، الباهر ص ٩٦

Runciman, op.cit., 11/235-246, Cahen: La Syrie du Nord. pp 369-370. Gibb op. cit., 11/236.

(٤) Runciman, op.cit., 11/236

(٥) ديل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ - ٢٨٠، بكر ص ١١ - ٤٠ - ٤١، الباهر ص ٦٨ - ٦٩

بإصدار أمر آخر بالإسراع في تنظيم ما اضطرب من أمور لوه، وتعمير ما تهدم خلال أسبوع طويله من الحال، و (رتب من أه أهلاً لتدبير أمرها وحفظها، ولا جهد في مصانحها، ووعد أهلها بحمان أسرة، وسط العداة)^(١) مستهدفة من وراء ذلك استمالة مكاتب لأهلين من مسيحيين الشرقيين ضد نصليين كاثوليك، الأمر الذي يؤكد أنه قدمه بتدبير عدد من الكنائس الكاثوليكية، واحتفظه مكاتب الشرقيين^(٢)

حقوقيين يفتح أمرها أهم أعماله التي قام بها ضد الصليبيين طوال حكمه وكان يهدد بنصر نتائج هامة في انعالمين الإسلاميين والمسيحيين^(٣) كما كان به نتائجها بالنسبة لركبي ومارته فأما فيما يتعلق بالمسيحيين بصورة عامة، فقد أعطاهم سقوط أوسى الإمارات بصلب أملاً جديداً^(٤)، وعد نصراً عظيماً للإسلام (لم يمنع المسلمون بمثله، وطار في الأوق دكره، وصار حديث المحافل)^(٥)، إذ إنه أوضح مدى قدرة المسلمين على مجابهة القوى الصليبية، واشترع أهوى حصونهم منهم كما أن هذا الانتصار مهد الطريق أمام سدين أعقبوا بركبي لإكمال عمله، وإسقاط بقية الإمارات الصليبية، واحدة تلو الأخرى كما أدى إلى انقضاء على الحواجر التي أقامها صليبيون في هذه المنطقة، والتي أضقت لا بصر بين سلاجقة آسيا الصغرى وسلاجقة العراق وبلاد فارس^(٦)

وأم فيما يتعلق بالعالم المسيحي، فقد أكد سقوط أمرها معزوف المؤسسات الصليبية في أورده، وسههم إلى حطوط لأوضاع في تحريرها

(١) ديل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٢) Runciman: op.cit. 11/236-237

(٣) Ibid: 11/237238 Gibb: op.cit., p461

(٤) Runciman: op.cit. 11/238

(٥) (ابن خلدون ص ٦٩ ٦٨ Gibb: op.cit. 461

(٦) Runciman. op.cit., 11/238

و نشام، وبحولها إلى «سجده مصاد بمص جهنم وأهداهم، بذلك بشطو^(١) في الدعوة إلى حمده صليبيه جديدة^(٢)»، وصلت الشام بعد مقتل رنكي وتوفي ابنه نور الدين رعامه بمسلمين في الشام، وعرف بالحمده نصليبيه نشابه، كما أن سقوط هذا موقع الهام، دفع ريموند أمير أنطاكية، إلى الاعتقاد بعدم قدرته على محاربة رنكي بمفرده، واستدعى «باتاني - إني اصططبت لإعلان تبعته بالإمبراطور لبرمطي (مديون) الذي وعده بمساعدته ضد غريمه^(٣)»

وإذ، ما انقلب إلى إماره رنكي وجدد كيف كان سقوط انرها دور كبير في بعضها من مصدر قريب منخطر، كان يهدد المنطقة دوماً بشن العداوات (وأصبح أهلها بعد انخوف امين)^(٤) كما أن هذا النصر عهد لطريق أمام رنكي للاستلاء على الحصون الصليبية المحاذرة، وعرض سطره تمام على ممتلكات أعدائه في المنطقة

وقوة هذا، وذلك حقق فتح لها نتائج هامة بالنسبة لرنكي نفسه، إذ عزز مركزه تجاه سلطان السلاجوقي، وأخفجه العباسي الذي أغم عليه بعدد كبير من الألقاب السرفيه كالأمير المظفر ركن الإسلام عمده الصلاطين رغم جوش المسلمين، منذ الأمراء «امر العراقس و شام^(٥)» كما أن هذا النصر جعل من رنكي أماء المسلمين، واستدفع عن الدين، والمجاهد في سبل إعلاء كلمة الله^(٦) ودارت عن شخصه في المحافل «حاديث شتى، بصورت - رغم ما فيها من مبالغة - مدى التقدير والإعجاب بلدين داهما

(١) رنكيان محاضرات عن تحروب الصليبية ٢٠٣ ٢١/247 Runciiman. op.cit.,

(٢) Runciiman. op.cit., 11/238

(٣) الباهر ص ٦٩، الروحانيين ١ - ٩٧ Gibb. op. cit., p. 461

(٤) دين تاريخ دمشق ص ٢٨٤

(٥) الكامل ١٦ - ٤١، الباهر ص ٦٩ - ٧٠

نكي إثر تحقيقه هذا أصبح الحاسم ضد الصليبيين فقد ذكر والد امبورج المشهور ابن الأثير أن جماعه يظن أن إلى صديهم وصلاحيهم حكوا له أنهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ أبا عبد الله من علي بن مهزيب الشافعي وكان من العلماء بدمشق، الرهايين في الدنيا خارجاً من رابته نكسو وجهه علائم الاستشارة والسرور، وقال لهم إن بعض رخواه حدثوه أن رنكي فتح مدينة الرها، وأنه شهد معه فتحي يومه هـ، ثم قال ما بصرى يا رنكي بعد اليوم، وهي يردد هذا القول مراراً، فمضوا يابح ذلك اليوم فكان يوم الفتح^{١١} ثم إن رهاً من الأجداد حصروا معه عد هذا الشيخ وقابو له أنهم سد رآوه يكبر على سور أيمو بامصح، فأكر لشيخ حصور، فاقسم أنهم رآوه عباناً^(١٢)

ويسرد لب والد ابن الأثير رواية أخرى يقول فيها إن أحد لعلماء الأحرار والأدباء، المتصلين بها، حدثه أنه كان لملك جريرة صعلق الفرنجي عالم مسلم في أفراد حاشيته، وكان يكرمه ويرجع إلى بوله ويعضد على من عنه من الفرسان والعلماء، فلما حان الوقت الذي فتحت الرها، سبر هذا الملك حملة بحرية إلى شمالي إفريقية أعادت على بعض مدينتها ونهت، وأسرت عدداً من أهاليها وجنداء، ولما جاءت أخبار الحمد إلى الملك - وهو في مجلسه - أيقظ الشيخ - الذي كان قد أحدثه سنة من اليوم - وفار به يد فعبه قد فعل أصحابا بالسمين كذا وكذا، أين كان محمد عن مصرهم؟ أحاب الشيخ قد حضر فتح لرها!! فتصاحت من عند الملك من الفرح، إلا أن الملك قد بهم لا يصحكوا، فوالله ما كان عن غير علم ومن ثم اشتد هذا الأمر على الملك، ولم بعض غير قليل حتى جاءهم الخبر بفتح الرها، فأساءهم فرحهم الأولى في إفريقية، لما كان لرها من عبرته عذبه عند البصريه ويستمر والد ابن الأثير في حديثه

(١١) الباهر ص ٦٩ - ٧٠ الكامل ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢، بوسامة البروصين ٩٤ - ٩٥

عن هذه المناسبة فقوى أن غير واحد ممن بثق بهم حكو به أن رجلاً من الصالحين قال يوم رأيت الشهيد (رنكي) بعد هذه في المدام في أحسن حال، فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال عمر بني أ فقلت لماذا؟ قال يفتح الرها. ^(١)

وبالرغم من أهمية الرها، وخطورة سقوطها على كيان نصليبيون في الشرق، إلا أن أيًا منهم لم يتم العمل سريع مباشر ضد رنكي بسبب تدهور أوضاعهم، إذ كان بلدوين الثالث، عدو بيت المقدس، لا يزال قاصرًا تحت وصاية أمه، وكان ريموند، أمير أنطاكية، أصعب من أن يقوم بإخراج جاد ضد المسلمين ^(٢) ومن ثم لم يستطع نصليبيون مجابهة المسلمين، إلا بعد وصول الحملة الصليبية الثانية، وإعلان ريموند تبعيته للإمبراطور البيزنطي

مسفر رنكي فرصة سقوط الرها، واضطرب أمور النصليبيين في المنطقة، وأخذ يسعى إلى الأسلاء على مراكزهم وحصونهم هناك، فبدأ إلى مروج أبي نوح حاميتها على موية نهر، ومسولى عليها، وما لبث الحصون المجاورة أن أخذت سقط في يديه واحدة تلو الأخرى ^(٣)، (و جعل لا يمر بعمل من أعمالها، ولا محمل من معانيها، إلا سمع إليه في الحال) ^(٤) ثم يمم وجهه صوب قلعة البيرة المحصنة المظلمة على الفرات وكانت من أهم الحصون التي تبقت لجوسلين الثاني، وأشدّها ممانعة، فمرص الحصار عليها، وقطع عنها ما كان يصل إليها من (لغوب والعميرة والمعونة)، حتى أشرقت على الاستسلام وحيدك بدع رنكي بأ مقتل نائبه

(١) المصادر السابقة، على الصفحات

(٢) عاشور الحركة الصليبية ٢ ٦٠٨ - ٦٠٩

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٠، الكامن ١٠ - ٤٠، الفبا من ٦٩، Gibb op. cit. 461

Rundgren op. cit., 11 / 237

(٤) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٠

في الموصل، فاضطروا إلى فك الحصار والإسراع بالثوغة إلى مقر إدارته لإقرار الأوضاع فيها، إلا أن صليبي الحصن حاربوا من مهاجمته إياهم ثانية، فُرسلوا إلى حسام بن تمرش الأرتقي، وأُعدموه برغبتهم في التنازل له عن موقعهم هذا، قبل أن يسقط سد عدوهم اللدود^(١) وهكذا فقد جلبوا الره كافة خضوعهم الواقعة شرقي الفرات^(٢)، كسحة مباشرة لسقوط القاعد الأم من رنكي، ولم يتبق جوسلين من موارثه لتواضع سوى عدد من الحصون المستشرة غربي الفرات كمثل بشر وصرعش وديوك وسيباط وعبتاب وعرار^(٣)، استطاع نور الدين محمود - قبل بعد - اكتساحها جميعاً، ومحو أوصى لإمارات الصلصة من لوجود

ما لث سكان أراضيها من الأرمين أو دروا - في العام الثاني - مؤامراً استهدف العيث بالمسلمين، وإعادة نمية إلى سيطرة الصليبية بعد انقضاء باستدعاء جوسلين إلا أن رنكي سرعان ما تمكن من كشف هذه المحاولات الخطيرة ولبص على مذبذبها وبعادهم، ثم أعقب ذلك بمضي عدد من الأرمين كيلا يباح لهم مرة أخرى أن يسعوا إلى طعن المسلمين من الخلف، وتسليم أهم مواقعهم بقمه سابعه بغيره الصليبيين^(٤)

ثم ينصر رنكي، في فناء للصليبيين، على لحروب نظاميه فحسب إذ كان ذلك بقنصيه منه البقاء باستمرار في بلاد الشام، واستنفاد قوته في قتال أعدائه هؤلاء، وعدم تمكنه بالتالي من الصرخ لتصفيه مشاكله العديدة في العراق والحيرة، وأدرك أهمية الاستعادة من العارات، أي الهجوم والاستحباب السريع، صيغ في حرب غيابه عن الشام، وذلك أن هذا اسوع

(١) المصدر السابق ص ٢٨٠، الكامل ١١ - ٤١ - ٤٢، الباهر ص ٧٠ - ٧١

(٢) مرجع الحروب ١ - ٩٦

(٣) Grousset op. cit., 11 / 192

(٤) دبر تاريخ دمشق ص ٢٨٢، ربه الحساب ٢ - ٢٨١، Runciman op. cit., 11 / 238-9

من لقتال مستبح له المحصور على نتائج هامة، أولها: بطلاق الصلح وعدم إعطائهم المجال لإعادة تنظيم قواتهم، ورسم حفظ الهجومية على موقع المسممين في المنطقة، ومن ثم تمكين هؤلاء من الدفاع عن مراكزهم واحتفاظ بها، وثانيها: إضعاف قوى العدو العسكرية والاقتصادية، بما يحدثه - هذه الحروب - من قتل وأسر ونهب وسخريب، وثالث: بلذ نتائج قطع الانسداد من مركز الصليبيين شمالي الشام، وعدم إعطائهم الفرصة لتجتمع، وتوجه صرة موحدة ضد المسلمين.

وقد عمد زنكي في هذا السوع من المال على محاربي تركمان، ومهد لذات بوثيق علاقاته بقادتهم وإسناد كبير المصائب الحربية إليهم، ففي عام ٥٢٤ هـ وصل إلى حلب الأمير محمود سور بن أيكبر، أحد أمراء التركمان المحاربين، وكان يبتدئ في خدمة أمراء دمشق، إلا أن تدهور لعلاقة بين وبينهم دفعه إلى معاداة بينهم والتوجه للعمل تحت إمرة زنكي (أنكره - هذا - وشرفه، وجمع عليه، وأجرى له الإقطاعات لكثيره، وأعطاه ولاية حلب وأعمالها، وعهد عليه في شأن الفرنج وقاسم به بصيرة بالحرب وتدبير الأمور، كما كان ذا شجاعه وإقدام) (١) وقد أقاد زنكي من فائدة آخر يدعى (نحة التركي) الذي كان قد فرج كسفه عن دمشق وجعله أحد قادة الممسين في قتال الصليبيين (٢) ودم - فضلاً عن ذلك - بقى طائفه من محاربي تركمان، مع أميرهم (البروق) أني انثم وأسكنهم مطلقه حلب بعد أن أمرهم بحهاد صمسين، مدحاً إليهم وعداً بتمسكهم كل ما استردوه من المواقع التي سيطر عليها الأعداء، (فكسوا يعادون لفرج بالعتان وير وحوهم، وأخذوا كثيراً من سواد حلب، وسدوا ذلك الثغر العظيم) (٣)

(١) ردة الخلب ٢ - ٢٤٥

(٢) ردة الخلب ٢ - ٢٤٥

(٣) الأهر ص ٨٠

وبذلك وفر زكي القفازة الحارقة، والمحاربيين شجعان، للقيام بشئ ما يفلح عليه اليوم حروب المقاومة والعصابات، وجعل من حلب مركزاً لهم نظراً لأهميته موقعها بالنسبة لمحصون الصليبي و للإسلاميه على السواء ؛ فهي تتوسط أنطاكية و برها الصليبيين، وتسيطر على خطوط المواصلات بينهما، كما أنها بعد قاعدة عسكرية لتوجه نهجتها سريعة ضد مواقع وحركات الصليبيين، وقواعدهم، وتمويلهم

وهدد قامت هذه التجمعات من التركمان بشئ عارٍب عديدة ضد جيوش الأعداء، ومعسكراتهم، وقوافلهم، ومراكز تجمعهم، ولم تحل سنة من سني انصرغ بينهم وبين زكي، من عدد من أعمال المقاومة وحروب العصابات كان يقوم بها هؤلاء التركمان، ويحققون - بمصيدها - حسانر محتلمة هي صفوف أعدائهم ففي رجب من عام ٥٢٤ هـ على مسن امثال جهر زكي قوه عسكرية أعارب على عرر لصلبة، وعاشت في بلاد حرمسن أمبر ابرها^(١) وفي العام التالي حدث شتاك بين سوار وحوصلين، شمالي حلب، انصر عن انصر لصلبين ومقتل عدد من المسلمين، مما دفع سوار إلى انصر بهجوم على رص لأثارب، والاستيلاء على مبادير من أموال ومخاضيه^(٢) ثم ما لبث، بعد عام واحد (٥٢٦ هـ) أن أوقع صليبي تل مباشر، وقتل منهم خلقاً كثيراً^(٣)

ثم بتوقف سوار وحده انصر عن س نعارات ضد الصليبيين كلما أسحت لمرصة لندك، وشهد صفر من عام ٥٢٧ هـ شتاكات من الطرفين، وقع أحدها بانصر من قرين، إثر قيام بلدوين ملك بيت المقدس بمحاولة للهجوم على أطراف حلب، حيث تصدى له سوار،

(١) مفرج الكروب ١ - ٤

(٢) ريلة الحب ٢ - ٢٤٧

(٣) المصدر السابق ٢ - ٢٥١

وجماعه من حبيده وأسفر القتل عن هزيمة المستعصم واستحبابهم إلى حلب إلا أن فائدهم الشجاع ما لبث أن حرج بهم نايه (ووقع على طائف منهم، فأوقع بهم وأكثر اقتل وأسرى، ونهرم من سلم منهم إلى بلادهم) وعاد إلى حلب حاملاً معه رؤوس ائقني وأسرى (وكان يوماً مشهوداً)^(١) ولم يمض سوى أيام قلائل حتى قام صلبو برها بمحاولة جديدة للإغارة على أعمال حلب، فحرج إنهم سور بصحبه الأمير حسان ركني أمير مسح، ووقع بهم على حس غره، وسكن من إباده عدد كسر منهم، وأسر الباقي، ثم قفل عائداً إلى حلب دون أن يصاب أحد من حبيده بأذى^(٢) وفي حمادى لأخره من نفس العام قام سوار، على رأس قوة من فرسان، بالإغارة على قل سمر، فتصدى له صلبو ذلك الموقع، إلا أنه تمكن من هزيمهم، وحصد رؤوس ألف رجل، حدثها معه إلى حلب^(٣)

وفي ربيع الأول من عام لذي سار صاحب موقع انقذموس الصبيبي إلى عسرين، على رأس قوة من فرسان أبطاكيه، فلقبهم عسكر حلب بقيادة سوار وأسفر ائقني عن شصار نصطعس، واضطرار قائد ركني إلى مصالحيهم، إلا أنه ما لبث أن ناعب إحدى سر ياهم بهجوم سريع وتمكن من قتل معظم أفرادها، ثم قفل عائداً إلى حلب (عسر لئاس بذلك بعد مساءهم) ولم يمض سوى وقت قصير حتى أعاد فرسان البره على أطراف حلب الشمالية في طريقهم إلى إحدى المعسكرات الصبيبية فأوقع بهم سوار وحليفه أمير مسح، وأباد عدداً كسراً منهم، سب ووقع معظم لئاس في الأسر^(٤) ثم ما لبث سوار أن قام - في نفس العام - بغارة واسعة على

(١) ديب تاريخ دمشق ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٠ - ٢٤١، الكامل ١٠ - ٢٦١

(٣) ديب تاريخ دمشق ص ٢٢٦، الكامل ١١ - ٢

(٤) بدء الحب ٢ - ٢٥٢، و نظر Nicholson op. cit., p. 437

المواقع انحصرت في منطقة الحرر^(١) و ردا، وأوقع بأعدائه عند حارم، ثم عاد إلى حلب محملاً بالعنائم والأسلاب^(٢)

أحد نطاق المات و هجبت ليمائه بجمع شتاً عشتاً، شهد رجب من عام ٥٣٠ هـ محدودة و مئة قام بها سوار، إذ صار على رأس ثلاثة آلاف فارس من التركمان، وفاجأ بلاد اللادقة وأعمالها بهجوم ساعدت به بكر الصليبيون يحضون به أي حساب، وتمكن بذلك من أسر مئة لاف أسير، والحصون على مصادر كسرة من لعائم، واحتج عشرات من انقري والمراغ الصبية لأ المسكون أيديهم بها بالأسرى والعائم وقد عشر مسمو المنطقة أيضا اسيشدر لهد، لنصر الكبير لذي أحرره سور، ولذي كان باسمه صليبي انشان (بكتة سم يمو عشتا)^(٣) والواقع أن ما شهدنا أنطاكية، خلال عامي ٥٢٩ و ٥٣٠ هـ، من فساد دامية بسبب السارغ على الحكم، أسهم إلى حد كبير في عجز هذه الإمارة عن الدفاع عن نفسها إثر هجمات متتالية^(٤)، الأمر الذي دفع قائدهم إلى استعمال العرصنة، وتحصين نهر كبير ضد صليبي الشمال

وفي أواخر العام التالي قام سوار بهجوم مباغت ضد سريه بيرمطيه كبير، اعدوا، كانت تتقدم شرقاً، ويمكن من قبل وأسر عدد من أفرادها ثم قفل عائداً إلى مقره في حلب^(٥) ولم تمض سوى أشهر معدودات على هذا الهجوم حتى قام صليبيون والبيروطيون بإعادة فتح مشتركة لاحتلال فيبي الأثارب انقريفة من حلب وبعد أن حقق هذه النوات هده، أوكل إليها

(١) البحر رجبى كور حلب (دياقوب معجم البلدان ٢ - ٦٦) و بفر الخارطة رقم ٢

(٢) ريدة الحب ٢ - ٢٥٤ Nicholson op. cit. p. 437

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٥٥ - ٢٥٦، الكامن ١١ - ١٦ - ٧ ريدة بحلب ٢ - ٢٦٠ - ٢٦١ Gibb op. cit., 458

(٤) العربي الحروب الصليبية ١ - ٥١٠، Grousset op. cit., 11/65-66

(٥) العقيقي تاريخ، مخطوطة، ورقة ٢١١ ط، ريدة بحلب ٢ - ٢٦٣

حراسة أسرى المسلمين الذين جمعو في هذا الموضع إلا أن مواردنا ليست
أب حرج على رأس قوته، وهاجم الحامية الصليبية البيزنطية، وتمكن من
استخلاص معظم أسرى المسلمين من أيديهم، وعاد بهم إلى حلب التي
عملها لسرور، وسدتها الأبراج بهذا النصر الذي حققه أميرها^(١)

وهي عام ٥٣٣ هـ هاجم سرا عدداً من المواقع الصليبية، وسوى على
بعض العتائم، إلا أن فرسان الصليبيين تمكنوا من انتحاق به وإيران هربه
بقوته أسفرت عن أسر ما يريد عن ألف فارس منهم، وأصبح هو إلى
حلب بمن سلم من جنده^(٢)

استمرت معادشات بين الطرفين طيلة أسبوعين الدية، وأصابها بعض
الفتور خلال عامي ٥٣٤ - ٥٣٥ هـ إثر فشل زنكي في الاستيلاء على دمشق،
وبحسب الصليبيين ودمشقيين صده، إلا أن هذه المعادشات ما لبثت أن
استمرت من جديد في عام ٥٣٦ هـ وانسحب التي تده في الأشهر الأولى
من هذا العام قام الصليبيون بهجوم سريع صد بعض المواقع الإسلامية غربي
حلب، ولدى تفرعهم، أرسل سوار قوة من التركمان بقيادة به علم سدين
أغار على الموقع الصليبي، وتوغل إلى أسوار أنطاكية، ثم عادت تحمل
معهما كثيراً من العتائم والأسلاب^(٣) وبعد فترة قصيرة أعاد ربه اشركي على
بعض المناطق الصلبة في الشمال (مق ومي وقتل، وذكر أن عدد القتلى
بلغ مئمة رجل)^(٤)

وهي رمضان من العام نفسه هاجم سور معكراً صلباً عند جسر الحديد،
إلى لشمار لشركي من أنطاكية، بعد أن اجتار بقوته بهر العاصي صوب

(١) العظمي ورقة ٢١٢ ط ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٥ - ٢٦٦ الكامل ٤ - ٢٣

(٢) ريدة الحب ٢ - ٢٧١ Nicholson op. cit. p. 441

(٣) ريدة الحب ٢ - ٢٧٥ Nicholson op. cit. p. 444

(٤) العظمي ورقة ٢١٥، ريدة الحب ٢ - ٢٧٥ Nicholson op. cit. p. 444

تجمعات العدو، ويمكن من قتل معظم أفراد المعسكر، وأسر سائس^(١) وما لبث أمير أنطاكية أن خرج - في عام ١١٤١ - للإغارة على وادي بردعه، القريب من حلب، فتصدى به سوار وأجبره على الانسحاب وانهز جوسلين انفرسه فقام بهجوم على تجمعات المسلمين عند صفوف القنات، ويمكن من أسر سبعة رجل منهم ثم رأى انظردن عند هدنة سها سم يكن لأمر أنطاكية نصيب فيها^(٢) وهكذا ظل القتال مستمراً بين هذه الإمارة وقوات حلب، وعندما حوشت طائفه كثيره من سحار أنطاكية - في جمادى الأولى من عام ٥٣٨ هـ - تحرسها قوة من الفرسان، في طريقها إلى بعض البلاد نصيبه بمجدور، (ومنها من كثير وأمن ومناج)، بعضها لمسلمون، وأوقعوا بها، وتمكنوا من إبادة كافة أفراد القوة التي خرجت لحديتها وغنموا ما كانت تحمله من بضائع قيمة^(٣) وهي أواخر دي لعمده من انعام بمسه هاجمت مجموعة من فرسان حلب عوا من الفرسان لصليبيين الحارجين من باسوطا وأبادوم، وأسر صاحب باسوطا حيث اعتقله سوار في حلب^(٤)



وقد حان الوقت - قبل الانسحاب إلى البحث عن حياة زنكي وشخصه ونظمه العسكري والإدارية - لتحليل حصينه دور السياسي والعسكري الذي لعبه على مسرح التاريخ الإسلامي

يمكن القول بأن زنكي استطاع أن يحقق قسطاً كبيراً من برنامجيه، وأن يكون لنفسه مكانه خاصه في التاريخ الإسلامي كسياسي بارع وعسكري

(١) ريلة الحب ٢ - ٢٧٦

(٢) المنظمي و ٥ ط ٢ ريله الحب ٣ - ٢٧٧ ١١ / 234 Runciman op. cit.

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٧٨، ريلة الحب ٢ - ٢٧٧ - ٢٧٨

(٤) المنظمي ورقة ٢١٧ وريلة الحب ٢ - ٢٧٨

مممكن، ومستموع أدرك لخطر سدي ألحق بالعلم الإسلامي من قس
الصيديين فقد استطاع أن يوجه (الظروف السارعية بقاءه) لصالح
المسلمين، وذلك بتجميعه القوي الإسلامية، بعد انقضاء على عمل التجرة
والانقسام، وبوحد المدن والإمارات المتفصلة في نطاق دولة واحدة
استطاع بمقدوره أن يتصل أقصى ما يمكن أن تقدمه من مكائات في سبل
تحقيق بزمجه المردوح أي تشكيل الجبهة الإسلامية وحرب نصيبين

وقد نصح س. من خلال استعراض علاقة رنكي بالقوى الإسلامية
كإمارات المدن والإمارات المحلية في الجزيرة والشام، وفتن الكردية
والتركمانية مدى قدرته الأساسية وبواعث خطته العسكرية خلال علاقته
سلبية والحربة مع هذه القوى المتة في المنطقة فهو من الناحية الرسب
كان قد سلم من السلطان السجوقي (محمود بن محمد بن منكشاه) عام
٥٢٢ هـ مشوراً بمر منته الشريعة على بوصول الجزيرة والشام، وقد
أكد هذا المشور خلال الأعوم الدية إلا أنه لم يكن كافاً لشيء سلط
العمية في هذه الفترة سي استطاع فيها عدد كبير من الأمراء أن يرضو
سلطتهم على عدد لا يحصى من المدن والأديم، مستقلين إلى حد كبير عن
لسطة السجوقية، ومستعدين - كما سبق - من مجموعة من المؤمل
شخصية والسياسية والجغرافية والاقتصادية والبشرية

فكان لابد لرنكي إذاً، من إحصاء هذا العدد الكسر من السلطات
بمنزلة في المنطقة، ومن اختيار أسلوب الهجوم، عند البدي، بالرغم
من تحقيق هذا الأسلوب من الخطار، أولها احتمال تشكيل جبه دماهي
مصاد من الأمراء المتعدين، وقد يتحول هذا الجبه من بعد إلى جبه
هجومية، كما حدثت حالة للارافة وثانيه ذلك، الأخطار عدم وجود خط
رجعة في حالة بكساره أو استجابه أمام الأمراء المتحلس الذين كانوا
يحفظون به (حاجة السور بالعموم) إلا أنه لم يأنه بهذه الأخطار، وح

بهاجم الأمراء المحضين منذ بداية، دفعه إلى ذلك طموحه وشجاعته الشخصية، وأطماعه إلى قاعدة شعبية وعسكرية تحبه وتحبب له بموافقه المبدقة تحده انصليبيين، قبل أن تنوى الحكم في الموصل، كما ساعده على ذلك مشور السلطان، ابن الأكر، بتسلم الموصل وأجريه وشام، وما كان يتصوره من اعتراف بحرية زنكي في الاشتراك مع تشكيلات إمام المحليه وكساحها، والتوسل بأبه وسيله يراها مناسبة لتحقيق هذا الهدف

لكن الأهم من ذلك كله ما تمتع به زنكي من مدرة سياسية وعسكرية وما يميز به من نظر بعيد، ذلك أنه عرف منذ البدء أنه إذا ما سلك سبل السياسة والتودد تجاه الأمراء المحليين فربما خصوصهم ومدتهم وإيمانهم سيقطع شكل عوامل خطر ضد إمارته، لقرتها بها ولاستراتيجية مواقعها، إذ يشكل نقاط سيطر مرتفعة، إحداهما باتجاه الموصل، وحطوطها بحضرة، سلاسل حبة وأهوار متشبكة وحصون مبعدة كما أن إمامه الأعراب التي اتبعها أولئك الأمراء تجاه لخطر انصليبي لتتقدم نحو الشرق، وما تبع ذلك من تشييد لإمكانات المسلمين اليسرية والعسكرية والاقتصادية، قد أدت إلى عجز هذه الإمارات عن الوقوف بوجه هذا الخطر بصليبي الرحف، هذا في الوقت الذي كان على زنكي فيه أن يعمل على إزاحة العقبات التي تقف أمام توحيد الإمارات المتفرقة، المبعثرة، في جبهة إسلامية موحدة تستطيع أن توقف الترحف بصليبي، ومن ثم تبدأ بالهجوم المنظم على قواعد لصليبيين، هذه هي العوامل التي دفعت زنكي إلى اتباع سياسة الهجوم، والتي تخلصها أحياناً علاقات سلمية ومعاهدات استبدعيها طمعة القربى الذي كان يهرسه، وهي نفس الوقت، عمل زنكي على تأمين حدود إمارته باتجاه الشرق والشمال الشرقي حيث يشكل الأكراد والتركمان في هذه المناطق عناصر خطر بالغة ضد إمارته، لا سيما عند تأرم علاقاته بالإمارات العربية، أو عند بوعده بعداً عن مقرة في الموصل

ومن ثم يبدو لنا واضحة أهمية الدور الذي لعبه رنكي في التشريح الإسلامي، إذ يعتبر أول فنان قام بتجميع لقوى الإسلاميه وفق برنامج معين ليحجبه بب ترايد الحظر الصليبي الذي سم توفقه المحاولات الجديده التي سقت رنكي، وبخاصة تلك التي تمت على يد كل من (مودود بن اثونشكين (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ) و(إيماري) و(سك) لأرميس (٥١٢ - ٥١٨ هـ) و(أق سمر ليرمقي) (٥١٨ - ٥١٩ هـ)

ومن المرحح أنه لو تمكن رنكي من فتح (دمشق) وبخار معولنه بوحيد الشام، ولو سم يمل - وهو في قمة نصارته ضد الصليبيين - لكان قد استطاع أن يسكمل لأجراء الميضية من برنامججه، ولكانت أمام الباحث الحديث الصورة الواضحة لدور الذي قام به في اناريح الإسلامي، وهو دور فاصل، تنصح خطورته، إنه ما عرفنا أن نور الدين محمود، ومن بعده صلاح الدين، لم تكن جهودهما سوى إتمام بعمل يدي بداه رنكي، وهي نفس الطريق.



الفصل الثامن حياة عماد الدين زنكي وشخصيته

علاقاته العائلية:

سم يحلف أو مسر، لدى ممته عام ٤٨٧ هـ، عمر ولد واحد هو عماد الدين زنكي، وكان عمره آنذاك عشر سنوات^(١) وقد ظل زنكي - طفلة مسي شيا به ومسؤولينه - يحتفظ بوالده الراسل بأعمق المشاعر وأعذب الذكري، وما أن ستوى على حلب عام ٥٢٢ هـ ودخل قلعتها، حتى أحد يبحث عن موضع مناسب لنقل إليه جثمان أبيه الذي كان مدفوناً على مرتفع يقع إلى الشرف من حلب وقد أشار عليه بعض رجاله أن ينقله إلى مدرسه بـرجاجين اشاعيه، فمن إلى هناك، ودفن في لبيت اشعالي من المدرسة، والذي تحد مسر، لال زنكي، وأوقف الأبس ابار إحدى صباع حلب، كي يصرف ريعها على امقرئين على غير والده^(٢) وبدع من حب زنكي وتقديره بوالده أنه هجر إحدى زوجته بكونها حميدة فأنه السلطان تش السجوقي ؛ إذ كان قد قزوج من حاتون بنت رضوان بن تش، وصدد - بعد مرور وقت قصير على ذلك - أن اطلع على تشوب الذي كان يلبسه أبوه حين قبله جده تش، وهو ملوب بادم، فشرب ثأرتة وهجر زوجته، ثم ما لبث أن طلقها في نفس العام^(٣)

(١) الياهر ص ١٥

(٢) ردة الحبيب ٢ ٢٤٢ ٢٤٣، بن شمس لأعلاق (لقسم مشور) ١ ٩٧

(٣) ردة الحبيب ٢ ٢٤٢ ٢٤٥

أما وبنه زنكي فسم بشو المصافير إلى اسمها، ولم تقدم روايات ذات عهد عهد، وتكتفي بالإشارة إلى أنها توفيت بالموصل عام ٥٢٩ هـ^(١)، ويبدو أنها أخت أم مع أبيها هناك منذ انتقاله إلى الموصل بعد مقتل والده عام ٤٨٧ هـ وعلى العكس، نجد أن موضوع روحيات زنكي قد حظي باهتمام عدد من المؤرخين، وأغلب انظر أن سبب ذلك يعود، بالدرجة الأولى، إلى اختلاف الوثيقة بين معظم عقود نرواج التي قام بها وبين أهدافه السياسية والعسكرية

واسمأة الأولى لني تزوجها زنكي هي أمه الأمير السلجوقي (كند عدي) أحد حكام دمشق، وقد تم ذلك خلال دهائه إلى أصفهان عام ٥١٨ هـ بالتحاق بحاشية السلطان محمود، فأراد هذا أن يكافئه على إخلاصه لملاحيه، وما أدركه وأبوه من خدمات جليلة بهم، فوجه هذه الأرملة، وأورثه محلات وجهاً ابراحيل، وجعله وصي على وبنه الصغير (خاضك)^(٢) وخاء روحه الذي بالأميرة خاتون بنت رصوان أمير حلب السابق، بعد مستين من دخونه حلب، لكنه ما لبث أن هجرها - كما رأينا - بسبب حمله على خدما تش هائل أبه، وقد توسطت خاتون لدى قاضي حلب، وشكت إليه حجر زنكي لها، لكن الوفاة لم يجد بعداً، ونهى الأمر بتطبيقها في العام نفسه^(٣) ولعل زنكي قصد من هذا نرواج في البديهة تثبيت مكانه في حلب، إذ أن خاتون هي بنت أمير حلب السابق، وبما تعبر الوثيقة أنه رعيه لحصون أسرة آل تش السلجوقية^(٤)

بعد أربع سنوات تزوج زنكي ابنه صاحب خلاط الذي تسمى إلى آل سكمان اعطى حكام أرمينية، مسنداً من وراء ذلك موثيق علاقه بهذه

(١) الأهر من ٤٨

(٢) الأهر من ٢٧ - ٢٨، البداري تاريخ دولة آل سلجوق من ١٩٢

(٣) رتبة الحرب ٧ - ٢٤٢ - ٢٤٥

(٤) السيد بدر عزيبي الشرق الأوسط وبحروب صليبيه ١ - ٢٩٦

العائلة بحاكمه^(١) ولد حظيت (خانوار السكمانه) بصريد من الوعدية،
وكلت بالإشراف على تربيته الأمير السلجوقي الحفاجي ابن السلطان محمود
المعظم في الموصل^(٢) ثم جاء روح زنكي لربيع بابيه جناح اندول
حسب^(٣) عام ٥٣١ هـ^(٤)، وسمي بمشتر المصاادر إلى ظروف هذا الزواج
واسماه وسمي بمصر عام واحد حتى بروج برمرد خانوار أم إسماعيل بن
نوري حاكم دمشق، وقد أحاطت هذا الزواج كما مر به ظروف سياسيه
وعسكريه بحته إذ كان حراً من سود الانفاقه التي عقدت به وسمي حكام
دمشق^(٥) وقد وجدت برمرد مدينة حلب مفرأ لها، ونهيت مع روحها حتى
مقتله، حيث عادت إلى دمشق وأقامت بها وكانت متدبئة شعوقة مدرسه
الحديث، وحفظ القرآن الكريم، وسماء المدارس، وقد استقرت في أواخر
حياتها - بالمدية المنورة حيث عاشت عيشة بسيطة، وتوفي هناك^(٦)

وفي مطلع عام ٥٣٤ هـ وم زنكي بروج اساني، إثر سنيلاه على
بعثت، من جارية كانت مدينة هناك لمعبر الدين أبر حاكم دمشق وقد
ظلت هذه الروجة الجديدة مع زنكي حتى نفسه، حيث أعادها ابنه نور الدين
محمود إلى أبر الذي كان يحبها حباً شديداً، وقد أدى ذلك إلى توثيق
العلاقات بين الحكام^(٧) ثم جاء آخر روح زنكي عام ٥٣٤ هـ، من
صفية خانوار به حسام الدين تمرناش الأرمني، إثر تفديه الصلح التي

(١) ابن سعد - لاخبار ص ٨٨ - ٨٩، وانظر الفصل الرابع

(٢) تاريخ دولة السلجوقي ص ١٠٦

(٣) كان جناح بدوره أبنك برصوان بن مشر السلجوقي، أمير حلب السابق (دين تاريخ دمشق
ص ١٢٣)

(٤) المعظمي تاريخ، مخطوطة، رقة ١١ ظ

(٥) دين تاريخ دمشق ص ٢٦٦ - ٢٦٧ الكامل ص ٢٣ - وانظر الفصل السادس

(٦) رقة الحب ٢ - ٢٤٢، ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ٢٤٥ - ٢٤٦

(٧) الكامل ١١ - ٢٩، مرجع الكروب - ٨٦

عقدت بين الطرفين في عدم السبق، وغور موحها ترويح أمر موص
بابه حاكم ديار بكر^(١)

وهكذا يبدو واضحاً أن رينكي كان يعتمد ربطة مزاج الحمص بعض
أهدافه السامية وحسكوية، وأنه يمكن عن هذا لطريق من يوثق
علاقته بعدد من حكام ولأمره، الأمر الذي ساعده إلى حد كبير في تمديد
خطته لرمية إلى توحيد القوى الإسلامية نحو جهة الخطر الخصم

أنجب رينكي من روحانه ثلاث أربعة بين وبينه واحد : أما الذين فهم
سيف الدين عاري، ونور الدين محمود، ونصرة الدين أميران، وقطب الدين
مودود^(٢)، وأما الست هم مذكر المصادر منها^(٣)، ويرد ذكرها في أحداث
عام ٥٣٢ هـ حيث تم الاتفاق بين رينكي وحكام دمشق، وكان من سوده أن
يتراجع شهاب الدين محمود ابن أمير الموصل هذه^(٤)

حضر رينكي لتربيته أولاده علياً من منصور السروجي، وكب أدياً شعراً
خطاً^(٥)، وصعد كمر سيف الدين عاري أرسله أبوه بخدمته لسلطان
محمود، فتلقاه بالحنوة والتقدير، ورتب في خدمته عشرة من الحراس^(٦)
وقد بقي سيف الدين هناك حتى قتل مقل أسه بوقت قصير، بسبب حادثه
عام ٥٣٨ هـ، حيث سبي استغل رينكي فيها وجوده في حاشية السلطان
لإبعاد الأخير عن عرو الموصل^(٧)، أما نور الدين محمود فقد شأ نجح

(١) الفاروق تاريخ آمد (مخطوطة)، ورقة ١٢١ ب. ١٢٢ م

(٢) الباهر ص ٧٦، ومن عنه أبو شامة الروضتين ١ - ١٠٨ - ١٠٩

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحات

(٤) ردة الحلب ٢ - ٢٦٨ - ٢٦٩

(٥) سيف ابن الجوزي، برقة الزمان ٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠

(٦) الباهر ص ٩٧

(٧) انظر الفصل الثاني

عبد والده، وبعده انقران الكوبم والفروسيه والبرمي^(١)، ولما جاور هذه لرم حمله أبيه حتى مضى^(٢) وهكذا كان زنكي يعد أولاده سحمن المسؤوليات الإدارية والعسكرية في مستقبل وما يناف عن عدي ومحمود يمكن أن يدل عن أبيه الآخرين أميران ومودود

صفاته:

كان زنكي حسن الصورة، أسمر اللون، ملتح العسس^(٣)، معتدل الطول^(٤)، وخط الشب راسه بي سي حكمه الأخيرة^(٥)، وكان ذا شجب قويه، شديد الهيبه على رعيته وجنده^(٦) جاداً في معظم لأحياء، الجند انصارهم لذي كان يصعبه من الاستسلام للراحة أو ترف، ويسدعه إلى موصلة كفاحه من أجل أهدافه، ويجعل (أصوات السلاح الذي في سمع من عبء انقست)^(٧)!! أما شجاعه وإقدامه (فإليه الهدية بهما، وبه كان يضرب الشل)، وقد ظهرت شجاعه القدة هذه في كثير من الحروب التي اشراك فيها، قبل توليته بموصل وبعدها^(٨)، وكان (لا يهدر أحد على مصواته - أي مضاهاته - في الحرب)^(٩)

كما كان ذا دهاء ومكر وحيلة، وذلك ماذ في مجانبه بمشاكل لحرب وسياسيه، وقد مكه ذلك من اختيار كثير من لصعوبات، وتحقيق مراده من

(١) ابن كثير البداية والنهاية ١٢ - ٢٧٧ - ٢٧٨

(٢) الروضتين ١ - ١١٩

(٣) الكامل ١١ - ٤٥، الباهر ص ٧٦

(٤) الباهر ص ٧٦، الروضتين ١ - ١٠٨

(٥) الكامل ١١ - ٤٥، الباهر ص ٧٦

(٦) بدء الحب ٢ - ٢٩٠ - ٢٩، مخرج الكروب ١ - ١٠٠ - ١١، ونظر الباهر ص ٨١

٨٢، الروضتين ١ - ١١٣ - ١١٤

(٧) الباهر ص ٥٨، ونظر المصنف ص ٤٧، ٨١

(٨) الكامل ١١ - ٤٥ - ٤٦، الباهر ص ٨٠ - ٨١

(٩) الباهر ص ٨١، وعن ابن راضل مخرج الكروب ١ - ٩٣ - ٩٤

الانتصارات، ونحو لا لما يذكر مساورته ابن عه ضد التحالف السمرقاني الصيبي عام ٥٣٢ هـ، عندما أرسل إلى فادته يقول (إنكم قد تحصنتم بهذه الجبال، فأخرجوا عنها إلى انصحرأء حتى يلتقي، وتكون عليه لأحد لطرفين)، فطن الروم والصليبيون أن وراءه قوات ضخمة أنحب له أن يطرح بعده، فنجبوا لقاءه، وهو ما كان رنكي يرجوه ثم ربح - بعد هذا - يرسل إمبراطور الروم ويوهمه أن الصليبيين متفقون مع المسلمين سرّاً، وبالعكس، ويستطع بذلك أن يبدل لأشقي في الجبهة المسيحية مما اضطر مراتها إلى الاستعجاب^(١) كتب لا رب يذكر مساورته ير، معادله لسطان مسعود عزو الموصّل^(٢) هذا إلى أنه فتح الرها، وهو أكبر نصر حققه في حياته، معتمد على الحيلة والذكور، إذ انجده إلى آمد موهماً صليبيين أنه يسعى لحصارها، وما أن رحل أمير الروم عن حاصرته عظمشاً إلى إهماك رنكي بحث كلفه في ديار بكر، حتى بعض لأحرر عنها، يمكن من اجبياحها^(٣) وغير هذه وثقت من الأحداث والوقائع التي تؤكد ما كان رنكي يتمتع به من مقبرة عسكرية وسياسية منه.

عند رنكي، بفضل ما كان يتمتع به من صفات، أتى على حساب منها، وثق بنفسه، معتدّاً بها، معتقداً بإمكانيته على تدليل كل صعوبه، متروفاً عن أداء المهمات الثموية، من لا أعصه معارضة أهدافه - فعندما تقدم بحطة أمة صاحب خلاط - على مسل حث - ثم سمع أن أمير مدلس خطها هو الآخر، بذلك انعصب وانطلق على رأس جيشه صوب خلاط، وأسرف على كتابه لمهر نفسه، ثم حاول انقام من هناك بحملة مأدبة ضد أمير مدلس، نولا معارضة حاجبه الياعسياني وجهوده من أجل الصلح^(٤) وعندما تظاهر جده - مرة - بسب

(١) الكامل ١١ - ٢٣ - ٢٤، الباهر من ٥٥ - ٥٦، ومظن الفصل السابع

(٢) انظر الفصل الثاني

(٣) الكامل ١١ - ٤١ - ٤١، الباهر من ٦٧ - ٦٨

(٤) ابن منذ - الاعتبار من ٨٨ - ٨٩

تأخر صرف رواتبهم، شدد نومه بموظفي الديار لعدم قيامهم بواجبهم، وعظم نفسه عن أن يحاطب في هذا الأمر (الحقير)^(١) وفي عام ٥٣٧ هـ، حينم هدم الأكراد أحد حصونهم، لعجزهم عن حمايته، أعلن (أنه إذا عجز الأكراد عن هذا الحصن، فإن لا أعجز عنه) وأمر سائده (وكرد عزم وبهاد أمر)^(٢)

وكان زنكي يشعر بمسؤوليته كمسلم سواء في سياسته وعلاقاته العامة أم في سلوكه الشخصي فقد كرس حياته وطاقاته في سبيل (الجهاد) ضد الصليبيين^(٣)، والجهاد، كما قال عنه العماد لأصحابه (تصل أركان العبادة)^(٤)، واعتبر نفسه قائد المسلمين الأول فيوقوف بوجه الحضر الصليبي، معتقداً أن مركزه - كأقوى أمير في منطقته - يحتم عليه ذلك ويعلن موقفه من انتحارب الجيراني للصليبي ضد المسلمين عام ٥٣٢ هـ بوصف طسعة نظرتة في هذا المجال فعندما قرر الاستجابة للسلطان السنجوقي، واعترض عليه صفيه بأن ذلك ربما أدى إلى تمهيد الطريق أمام سيطرته على بلادهم، رد قائلاً (إن هذا العدو قد طمع في بلادنا، وإن أحد حبس سم يتقناشام اسلام، وعلى كل حال فامسكوا أروى به من تكفار)^(٥) وكان كلما قرر اتوجه لقتال الصليبيين سثار في المسلمين بحشوتهم للجهاد، ففي عام ٥٢٤ هـ على سبيل المثال اتجه إلى الشام (وصمم اعزم على لجهاد وبعلاء كلمة الله)^(٦)، وفي عام ٥٣٢ هـ سار إلى بعلبك لحاضعة للصليبيين (وجمع عساكره وحشهم على الجهاد)^(٧)

(١) الباهر ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٤

(٣) انظر فصل (زنكي والصليبيون)

(٤) تاريخ دولة السجوق ص ١٨٦

(٥) المصدر السابق ص ٦٢

(٦) المصدر السابق ص ٣٩

(٧) الباهر ص ٥٩

وعندما غزم على فتح له عام ٥٣٩ هـ سعة انصاره عازمين على أن يؤدوا فريضة (جهاد)^(١) وبعد لاقى فتحه نصره سيشار عاماً لدى المسلمين في كل مكان (وامتلات بذكره معان في لائق) واعتبروه مصر حامياً للإسلام ضد الصليبية^(٢) ومن ثم فإن مفهوم جهاد حلق على زنكي صفة إسلامية في نظر المسلمين، إلى الحد الذي دفع لعماد الأصمعي إلى القول (أنه كان فضلاً يدور عليه ذلك الإسلام)^(٣) ، كما ذكر راسيمان أن زنكي اعتبر نفسه (حامي لإسلام) ضد الصليبيين^(٤).

وتتضح بركة زنكي بدمية في سياسته الداخلية وفي سلوكه بشخصي كدث ، وهناك العديد من الأمثلة التي سن إلى أي مدى بلغ لحن الديني لدى هذا الأمير مسؤول، فعند قام عام ٥٣٤ هـ على سبب اسأل - ثوب هه لله بن أبي جواده قصاء حب قار له (هذا الأمر قد برعته من عنقي، وقد نك إياه، فغني أن نقي الله)^(٥) وكان يصدق كل جمعة جمعة ديار جهرا، ويصدق فيما عداها من الأيام سرأ^(٦) كما كان يستقي نفسها، ونقصاء قبل رقدانه على كثير من الأعمى^(٧) ، وقد أدم حدود الشوعية في أسحاء بلاده^(٨) (وكان شديد حرة على إخراجهم، لا سم ساء الأجاد، من لتعرض يسير كان من الدوب اسي لا يعرفه وكان يقول إن جدي لا يهارقوني في أسفاري، وما يقسمون عند أهدسهم ، من نحن سم نضع من التعرض إلى حرمهم هنك ولسن)، حتى إنه أقار - يوماً - أحد عده.

(١) المصدر السابق ص ٦٧ - ٦٨ ، وانظر ديل تاريخ دمشق ص ٢٧٩

(٢) الأهر ص ٦٩ - ٧٠ ، وانظر فصل (زنكي والصليبيون)

(٣) تاريخ دولة المنجوق ص ١٨٥

(٤) Runcman op. cit 11 / 182, Lane pool Mohammadan Dynasties, p. 162

(٥) ردة الحب ٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥

(٦) الأهر ص ٨١

(٧) صرح الكروب ١ - ٤١ - ٤٢

(٨) ردة الحب ٢ - ٢٨٤

وجوده من الأموال، بسبب تعرضه لبعض سوء الحظ الذي يشرف عنه^(١) ولا ريب أن عماد الحسن الديلمي لدى زنكي هو الذي دُفعه إلى أن يكون (فليس الثلوث واستقل، بطيء السمل، وشعير؛ ثم يتعير على أحد من أصحابه، مد ملك إلى أن قتل، لا بدس يوحى لتعير)^(٢) وعندما قبض على ديبس بن صدوق، أمير الحنة، عام ٥٢٦ هـ، أكرمه وأحسن إليه، رغم المحاولات التي كان الأخير قد قدم بها صدقه^(٣).

عمر بن عدياً من المؤرخين يأحدون علي زنكي بحوءه إلى بعد و لظلم إراء أعدائه في بعض الأحيان، ويصفه الأصمعي بأنه كان شديداً جباراً عسيفاً، وأنه كان يبلغ في ذلك حد الظلم^(٤)، ويصفه الديلمي بالظلم وشرعاً^(٥)، ويذكر أسامة بن سعد كيف كان زنكي أحياناً يسكت عن الأساليب القاسية التي تتبعها أحياناً بعض كبار موظفيه أمثال لياعسياسي حاجبه^(٦)، ونصير الدين جفر بالله في حمص^(٧) ويحصل من واصل حلب - لدى استعرصه أحداث الهجوم على حماة عام ٥٢٤ هـ - قابلاً (واركب أمراً قبيحاً أنكره الناس عليه، ولا شيء أفع من بعد، ولم عزم على تلك الصعلة الشقاء)^(٨)، انتهى انقضاء في ذلك، فأثناء من لا دين له، وخور ل ما لا يحل ولا يحسن شرعاً وعرفاً^(٩).

(١) الكامل ١١ - ٤٥، الباهر من ٨٤

(٢) الباهر من ٨٢

(٣) الكامل ١٠ - ٢٥٥، الباهر من ٤٦

(٤) تاريخ دولة السجود من ١٨٦

(٥) المعبر في غير من غير ١ - ١١٢

(٦) الاعتبار من ١٥٧

(٧) انظر الكامل ١١ - ٦

(٨) انظر ما يلي من الفصل

(٩) معراج الكروب ٤١ - ٤٢ ولا بد من أن يلاحظ انطرب الذي يسود أحكام عدد من المؤرخين عن بعض مواقف زنكي فيما يحاور من الأئمة في (الباهر) الذي أله للسنك

ولما بعد هذا ان بعض بعضو موقف ريكبي التي دفعت اولئك المؤرخين إلى إطلاق صفات انظم والعمر عليه، ولا ريب أن هجومه على حماة عام ٥٢٤ يقف على رأسه، وذلك عندما طلب من حكام دمشق مساعدته ضد الصليبيين، فلما أمده صاحبها بابه سموح - أمير حماة - على رأس قوة من لفرسان، قبض عليه واعتقله وعدد كبير من أمرائه وفواده، كي يمهّد الطريق للاستيلاء على حماة، ثم ما لبث أن قص بعد قليل على حصنه خير حان بن قرحا صاحب حمص وهاجم بلدة^(١) وبهرد ابن العديم بالقول بأن ريكبي أحد يمدد خير حان أمام أبيه كي يسجنهم إلى تسليم انقيصه، فيما لا يشير بنية بمصدر إلى ذلك، مما يصع روايته موضع اشك، خاصة وأنه يورده في سياق الحديث عن عذر خير حان سموح (وعقبات الله به ببعض طمعه في الدنيا)^(٢) مما يشبه السرد القصصي

ولعل ما يبرر ريكبي موقفه هذا برء أمراء الشام، محاولته لجادة تكسب الوقت، ونوحيد العدد الأكبر من المدن ذات الحكم الذاتي هناك من أجل الإسراع بتشكيل الجبهة الإسلامية الموحدة لموقوف بوجه الخطر الصليبي بعد أن أدرك عدم إمكان تحقيق نصر حاسم ضدهم في حالة تمزق بلاد الشام إلى إمارات عديدة متطاحة، فكان لا بد من الخدعة سيما وأنها في حالة كهذه توفر على المسلمين كثيرا من الجهود والدماء، لذا نجد ريكبي يستغني الفقهاء قبل أن يقدم على فعلته هذه

وشبه بهد، الحيلة بطريقة التي مكّنه عام ٥٢٩ هـ من الاستيلاء على الرقة^(٣)، دون سكب قطرة دم واحدة، وهن الحرب ضد الأمراء الذين سوا

= انما هو أحد أخطاء ريكبي أن يسك عنها، نجد مؤرخين آخرين كابن وصر ولاصفهاني يدفعهم منهم لأيوبيين ضد أمركه بوصول، إلى وضعها وجسدها موضع من سيالته

(١) انظر العاصم في الفصل السادس

(٢) ريدة الحب ٢ - ٢٤٦

(٣) انظر العاصم في الفصل الثالث

وحده الأمة ومصالحها الحيوية إلا حذاعهم وانكد بهم^{٢١} أما اعدامه بعض
أمرء بعلبك إثر سبيلاته عليها بعد قتال عيف عام ٥٣٤ هـ، فقد جاء سيج
نقصهم بعض اشروط التي تم لاتفاق عليها فيبين معادرتهم بقلعة^{٢٢}، وبعد
هذه الحادثة هي أنرر ما دفع المؤرخين إلى وصف زنكي باقصوه والعدو،
وقد أشار من الأثير - هي كمال - إلى ذلك بصورة (واستصح اس ذلك
من فعله، واستعظموه، وحافه غيرهم)^{٢٣} لكن زنكي مرعوب من سعى إلى
التصويص عن خطئته هذا، وذبت بإصداره الحصوص عن سبب الأكر من
المحكوم عليهم بالاعدام، ونوبة بعلبك لجم الدين أيوب، وهو الذي بدن
جهود مسكورة في اسوسط لهؤلاء الأمراء والدفاع عنهم^{٢٤}

وفي حصار زنكي بقدمه جعبر عام ٥٤١ هـ، حوت معاوصت بين
الطرفين وفق فيها على سبب ملع ثلاثر أنف دبار مقابل فك بحصار عن
انصدة وما أن وصه ارسون حمالاً سمع استفق عليه حتى رده من حيث
جاء، بعد أن وردته أباء تشير إلى أن لصحة قد أوشكت على سبوط^{٢٥}،
وهو موقف يبرره تماماً حرصه على وحدة الجبهة الإسلامية برء أديبات
الأمراء الصغار، وأطباعهم النابتة

ما ما وردة ابن عديم من أن زنكي كان يقول (ما ينق أن يكون
أكثر من ظم واحد قاصداً بقصه)^{٢٦}، فانه لا يعني سوى عزمه على تدع
نظم، لمركزية هي الإدارة، وتركيز السلطة بد المسؤول الأعلى

(١) نظر دبل تاريخ بعض من ٢٦٩ - ٢٧٠، بكامل ١ - ٢٩، ربه بحب ٢ - ٢٧٣

(٢) الكمل ١١ - ٢٩

(٣) الروصتي ١ - ٨٦ - ٨٧

(٤) ربه الحب ٢ - ٢٨٢ - ٢٨٣

(٥) المبصر السابق ٢ - ٢٨٤، وانظر فصل (النظم الإدارية)

هواياته:

كان طبع رنكي اسحاداً، وعمله الموصول من أجل تحقيق أهداف السياسة والعسكرية، يمدد الكثير من وقته، ولا ييحد من صراع لراحة ولا لسمع، لا لفيل لمدين وهي هذه الصراخ بمساعدة، من لبحر من هود العمل والمسؤولية، كان رنكي يسعى لبرهه عن نفسه، وممارسه هواياته المفصلة اسي كان يصد وانظر د أثرها وأقرب إلى طبعته بجده

ويحدثنا ابن مفرد عن الجولات اسي قام بها مع أمير الموصل، وعن أنواع الصيد ووسائله وحيله، ولستمع إليه (شاهدت رنكي يوماً، وكنت به الجوارح الكثرة، وبحر بر على الأنهار فتصدم الباردية^(١) بالرم، ويصفونها على طيور الماء، وتدف الطول كجاري لعدة، فتصدم من طيور الماء ما يصد، ويحطى ما يحطى، ووراءهم الشو هق انحنى على أيدي الباردية، فإذا أخطأت لراة أرسلوا شواهي على الطيور)^(٢) ويستظهر ابن مفرد قائلاً (وشاهدته يوماً ونحن بظاهر الموصل وبين يديه باردار على يده ياشق، فظفر ذكر دراج^(٣)، فأرسله عليه، فاحده ورب فصار هي الأرض - تمكي من الإفلات - فما ارتفع لحيه نار واحده ورب به وقد ثبه)^(٤) ثم ينضي ابن مفرد بقص عيب وحوها أخرى من الصيد، اندي كان يألوه رنكي وبهواه، فيقول (ورأيت رنكي وهو في صيد ابو حش مرارا عديده فإذا ما بصت الحلقة، واجتمعت ابو حش داخلها ثم حاولت الخروج - رموه وكان رنكي من أرمي الناس، فكان إذا دنا منه نعال رماه، فراه كانه قد عثر، فيقع ويدبح وشاهدته وقد أميمت الحلقة،

(١) الباردية هم حيلة البراة بين يدي الأمراء.

(٢) الاعتبار من ١٩٢ - ١٩٣

(٣) النواج طير من فصيلة الدجاج

(٤) الاعتبار من ١٩٢ - ١٩٣

وبحث في أرض بضمسى على نهر ماس^(١) وقد ضربوا الحطم، فوحش الوحش إلى الحياء، فخرج العمدان ببعضي والعمد فضربوا منها شيت كثيراً وشهدته يوماً ونحن بسجبار، وقد جاءه فارس من أصحابه فقل هاهنا صبعة نائمة أو عشار رنكي، ونحن معه، إلى واد هذا، وصبغة نائمة على صخرة في منحنى، فترجل ومشى حتى وقف مقامها وضربها ششامه، فوقعت أسفل الوادي، فملو وحاشوا بها من بدبه وهي ميتة^(٢) وكان الملو والأمرء، إذا أرادوا انضرب إلى رنكي وكب وده، فقدموا هدايا من اصطدوه من طيور وحيوانات شى، وكان يرد عليهم - بدوره - بهدايا مما جنته يداه في جولات الصيد واطراد هوداً وبرة وصغوراً^(٣)

ولم يكن تعشق رنكي لسباق الحيل ومهارات لفروسية بادن من تعشقه لاصيد واطراد، فهذه هويته تصدر هي الأخرى عن مطيع الجاد ورغبة في قضاء أوقات الفراغ بما هو موجد في عصر كاتب الفروسية فيه شرت الأولى وبحدثنا اس مفضل، رائد لفروسية الإسلاميه في عهده، كيف كان رنكي يمنح عليه في أن يسارل له عن فرسه (المرمجي) لأنه كان نسباق دائماً، وكيف اضطر أخيراً إلى إهدئه إليه، وهو العزيز على بدبه، لأثير لبدبه^(٤)

وهي فترات أخرى من فترات الصراع المتاعدة، كان رنكي يروح عن نفسه بانقيام منمرّد، برحلات هادئة في نهر دجيه، متحفظاً من أعباء ومهام يمارسه شامعة لأطراف، يترصد بها الأعداء من كل جانب^(٥) وربما استمع

(١) النهر ماس أحد روافد خابور الفرات

(٢) الاعتبار ص ١٩٢ - ١٩٣

(٣) ريلة الحب ٢ - ٢٦٣

(٤) الاعتبار ص ٤٦

(٥) الباهر ص ٨٢، وثقل عنه أبو شامه الروضين ١ - ١١٤

في جلالة ملكه لى العناء انهادي الحريس الذي كان يحبه ويأمنه أشد الألفة^(١) وقرىب من انعاء لشعر، أو هو العناء بعينه، لما كان يستشير من وجدان زنكي وأحسبته، وكثيراً ما كان الشعراء يقصدونه ليشدوه أشعارهم في المناسبات^(٢) وقد بلغ من تأثيره ناشعر و لعاء أنه سمع ليله، وهو نازل بخماة، شحط يعني على شط العاصي

سأفد في السمع والصرر اعندموا اما دم امركم
أنكم مهاب على خطر ١١ وحفظوا أيام دولتكم
(زنكي، وسدت نته في الظلم، وأحد نفسه من حسنة بالعدس^(٣))
وه كان زنكي يبدوق لشعر والعاء، وب أثر بهما، لو سم يكن قد أنقى
العربية خير إتقان، وأدرك ادبها لعمدة وجمالها المعحر وكان يطببعه
اسحال - يفسر التركية، معه الأصلية، كذلك، ويكنم بها في كثير من
الأحيان، سيما لدى تحدثه إلى بعض حبه أو ممالئكه الذين لم يكونوا قد
أجادوا العربية إجاده مامة ورجا متعل معرفته بالمشين، فتكلم بتركيب
حول بعض الأمور ولمهام برسميه، كيلا يعرف بعض الحاضرين حقيقته في
بدور، وكذلك كان يفعل كبار موظفيه^(٤)

مقتله ٥٤١ هـ:

سحج المصادر على أن زنكي عمل ليلة سحامس من ربيع الآخر عام
٥٤١ هـ حلال حصاره لعمدة جعبر، عندما انقض صيب - وهو دائم - علام (أو
عدة عدما) من ممالئكه المنقرضين انديين كانوا يقومون على حراسته أثناء
نومه، وأنهم هربوا - بعد قتله - إلى املعة، ونادوا أصحابها بحقيقة الأمر

(١) ابن الوردي تاريخ ٤٦٠٢ - ٤٧

(٢) الكامل ١١ - ٢٤ - ٢٥، الباهر ص ٥٦ - ٥٧

(٣) معراج الكروب ١ - ١٠٠ - ١٠١

(٤) ابن مندب الأعيان ص ١٥١

ففتحوا لهم الأبواب، وأنه ف أن انشرب ما لا اعتدال في معسكره حتى اضطرب وتشتت وصادته المفوضى، فلم ير فادته بدأ من فث محصار و لرحيل^(١)

مكن الاختلاف بين المصادر تبدو واضحاً في إبراد ضعفه، وهويه القتال، وسبب الفشل، والاعتماد لأصمهاشي بشير بن زنكي كان، إذا كان، شهر حول سريره عند من حذاه ومما ليكه لحرسته، أولئك الذين كان يحبهم أعظم محب، ويعطف عليهم أشد عطف، لكنه مع ذلك كان يعاملهم أحياناً معاملة صعبة تلج حد ضعف والقوة، فكان إذا يقم على كسر أعداءه وتبقى ولده عنده، بعد أن يأمر بخصائمه، وكان هؤلاء من أبناء رجبهم انقوم وترك و بروم عاسرو انثار في أنفسهم، و رخوا يتظرون لفروضة السامسة، وفي تلك الليلة - لي شهدت الحادث المشؤوم - نام زنكي وف ث أن ت من يومه وهم (قد شرعوا في لعب، وأحدوا في انطرب، فزجرهم وتوعدهم وهم ساكتون، لكن كرههم السمعو (يرفضن) أسر ذلك في نفسه، وراح يتظر الفرصة للأحد بثأره، وما أن عاد سيده إلى اليوم ثانية حتى أسرع إليه، وبرك عليه، ودبحه)، وسطع - إثر ذلك - أن يسأل من المعسكر بن أسوار حصير، دون أن يشك أحده ما عتاده كبير حراس زنكي وهناك آخر أهل الملعه وحراسها بن آدم عليه، وأراهم لأدنة والعلامات، فأسرعوا بإشاعة البأ في أطراف مكن كي يحدثو الاضطرب في صفوف قوات زنكي، وقد أتت مساعدتهم كلها سريعه ورحلت تلك القوات^(٢) ويتفق كل من ابن القلاسي^(٣) ومسيط ابن الجوري^(٤) مع الأصمهاشي في هذه الرواية، مع حذف بعض

(١) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٨، بخامس ١ - ٢٢٠، أواخر من ٢٤، لمؤرخين ١٠٧ - ١٠٨. بدء حبس ٢ - ٢٨١ - ٢٨٣، مرجع الكروب - ٩٩ - ١٠٠، أيدري آل سنجوق من ١٨٩.

١٩٠، القوامي تاريخ ابن، مخطوطه، رقم ٢٧، م، ابن نوردي تاريخ ٢ - ٢٦

(٢) تاريخ دولة السنجوق من ١٨٩ - ١٩٠

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٨٤ - ٢٨٥

(٤) مرآة الزمان ٨ - ١٩٠ - ١٩١

التفاصيل ، أما ابن العديم فإنه يذكر أن زنكي مهدد بوقش خلال سجنه ،
 وحاف الأخير منه وأسرع باخيه ليلاً^(١)

ومشي كل من ابن القلاسي^(٢) وابن واصل^(٣) ورسمان^(٤) إلى ابن المنذر
 كان ذا أصل (فرنجي) أما جمال الدين لشال فقوله (ويبدو أن صاحب
 جعبر هو اندي حرص على قتله ، بدليل أن قننته فرو ، إلى المصحة بعد قتله
 مباشرة)^(٥) ، ويشدركه حسن حبشي هذا ، إن رأي ، ويصيف (ولعل القائل كان
 عاطب)^(٦) وهكذا يتضح أن يرقش قدم باعتباره مدعواً لعامل أو أكثر
 من عوامل ثلاثة شخصي ونهسي وسياسي

أما العامل الشخصي فيمثل بهديد زنكي له ، وحواله عامية هذا ، بهديد
 وسراعه باعتقال سيده دعواً عن نفسه ويشمل انعدام النفسي تأكيداً لمصداق
 على تأثير يرقش من معاملة زنكي به ور جره إياه ، وشعوره العميق بما أصابه
 من ظلم من جراء إحصائه ، وحاول أن يرد على المظلم بمثله ، سيما وأنه كان
 من أقرب مقربي زنكي^(٧) ، وقد بلغ موله حسن إليه معها أنه أصبح يمأى عن
 أن ياله أدى أو يسه إهانة ، علما كانت تلك اللقاة ، وهذه مسد أمام رفاقه ،
 لعب بحساسة بمراد (إهانة دونه ، ومدفع لحماية كرامته ودفع سيده ويصور
 الأصمعي حركات يرقش أثناء الاعتقال بالشكر الذي يبرر اثر الانفعال
 انسي فيها (فأسرع لى زنكي ، وبرك عليه ، ودفعه في بومه)^(٨)

(١) رتبة الحرب ٢ ٢٨١ ٢٨٢

(٢) دبل تاريخ دمشق من ٢٨٤ - ٢٨٥

(٣) مصرع الكروب ١ - ٩٩

(٤) History of the Crusades, 11 / 239

(٥) حاشية مصرع الكروب ١ ٩٩

(٦) نور الدين و نصيبون من ٤٠

(٧) انظر دبل تاريخ دمشق من ٢٨٤ - ٢٨٥

(٨) تاريخ دولة السلجوقي من ١٨٩ - ١٩٠

أما الدافع السياسي للاعتداء فمقوم على وجهين ، أولهما اتفاق يرفقش - سرّاً - مع أصحاب قلعة جعبر لأغنيان عدوهم ورياء أربابهم ، بعد أن كور حصصهم يوشك على الاستسلام ، ويدخل ضمن هذا الاحتمال كور يرفقش دا ميون باطية ، وربما تسدل إلى خدمة زنكي مدد من بعيد ، لتحقيق هذه هد ، كعادة الباطية في السر والافتار الطويل سفيدي عيالاتهم لكبار الشخصيات السياسية (السياسية) التي كنت بشكل خطر على دعوتهم ، خاصة إذا ما عرف لعطف الذي كان يبدية أمر ، جعبر تجاه باطية أما ثاني الاحتمالات السياسية محكور يرفقش د أصل (المرجعي) ، كتب أكد أن فلانسي واس واصل ورسما ، ويعتبر أن يكون قد أقدم على فعلته إما باتفاق سري مع الصليبيين ، أو بدافع شخصي مرتحل يعود إلى حرصه على مصباح قومه التي بدأ زنكي يوجه إليها ضربات حاسمة

ولا يستطيع مجرم بأي من هذه الدوافع ثلاثة لاعتياب زنكي ، ذلك أن مصادر - كتب رأب - لم تعد تقول الفصل في هذا السجال ، ومن السخط لاعتماد بأن (يرفقش) د الأصل المرجعي عدل سيده - وهو في قمة انصاره على الجبهتين الصليبية و الإسلامية - بدافع شخصي أو سياسي محض ، ولا ريب أن وراء هذا الاعباء الخطير ، في هذه المرحلة لصعبة ، دافع سياسية أبعد مدى وأشد خطورة ، ربما تعود إلى الأصل المرجعي لعدائ ، أو إلى ميوله الباطية ، وربما تعود إلى اتفاقه - سرّاً - مع أمراء قلعة جعبر ، لقاء ما موه به ، إذ أتم تحريضهم من زنكي لذي علاقات قوسين أو أدنى من اجنياح حصصهم

تجه العدائ ، بعد أن عتال زنكي ، إلى أسور قلعة جعر ، سكيه الملتصق بالدم ، وصاح في الحرس (شيدومي فقد فلت زنكي !!) ، فلم يصدهوه ، فأرهم لسكين ، وعلامه أخرى كان قد أحدها من سيده ، وهذا ديك أصعدوه إلى سمعة ومحموا صدق ما كان يقول^(١) وعلمد بشر

(١) العارفي عياقارفين ، مخطوطة ، وره ١٢٧ م ١٢٨ ب

صاحب جعر دسأ بم بصدقه أول الأمر (وأي يرفش إلى لقبه، وأكرمته، وعرف حقيقته الأمر، فسر بدت واستبشر بما أتاه من الفرح بعد الشدة الشديدة)^(١) ويشير بن العديم إلى رد لفعل لذي حدثه القاتل في (أهل القعدة)، فعندما ناداهم (إني قتلت زنكي، أجابوه (ادع ابن لعة لله، فقد قتلت المسلمين كلهم بقتله)^(٢) (١)

ولم يقبض الفيل ثماً بحياته إلا مطردة ولخوف ذلك أن حكام جعر قاموا بطرده بعد وقت قصير من لجأه إليهم، ولم يكافئوه على عمله ربما خوفاً من قيام نور الدين محمود بن زنكي، أمير حلب، بالانتقام منهم لأبيه، وخيراً تم إلقاء الفيل على القاتل، وأرسل محمود بن الموصل حيث قتل هناك^(٣)

عند نشر خبر اغتيال زنكي في معسكره، تقسم إلى قسمين اتجه أحدهما إلى حلب بقيادة نور الدين محمود، واتجه القسم الآخر إلى الموصل بقيادة جمال الدين الأصمعي حيث قام هو ووكار الأمراء بتصيب سيف الدين عاري أميراً على الموصل^(٤) وحمل حلب زنكي إلى أرو حيث دعت في مشهد هناك في منطقته عبور شهداء صدين^(٥)، ثم ما لبث نور الدين محمود أن بنى حداراً بمصر عن انقضاء حوى مشهد أبيه^(٦)



(١) ابن الفلاس ص ٢٨٥

(٢) بعية الطب ج ٨، ورقة ٢١٣ و (حاشية ريدة الطب ٢ - ٢٨٢

(٣) ابن الفلاس ص ٢٨٨، ويقع عنه أبو شامة نروستين ١ - ١٠٨

(٤) ابن الفلاس ص ٢٨٥، أبو شامة ١ - ١١٩، الكامل ١١ - ٤٦، الباهر ص ٨٤ - ٨٥

(٥) ابن الفلاس ص ٢٨٥، الكامل ١١ - ٤٥، ريدة الطب ٢ - ٢٨٥ - ٢٨٦، أبو شامة ١ - ١٠٨

(٦) بن خلكان ٢ - ٨٠، ضبط بن الجوزي، ص ٨٠ - ١٩٠ - ٩١

(٦) بعية الطب حاشية ريدة الطب ٢ - ٢٨٥ - ٢٨٦

الفصل التاسع النظم العسكرية

الجيش - الإقطاع - الاتابكية

أ- الجيش،

قامت إمارة رنكي في ظروف سياسية وحربية معقدة، حيث امتدت في منطقة نموذجية، والحريرة والاحمال و شام مجموعة من الإمارات المتحمة المتنافسة فيما بينها، والتي كان بعضها وتوسعت بحمد على إمكياتها العسكرية، فضلاً عن وجود الصليبيين الذين كانوا يهددون هذه المناطق بالاعتداءات المستمرة و بهجمات أشد، وكان هدف رنكي الرئيسي كما أيا هو القضاء على الأمان المحلية في هذه المناطق وتوحيدها في جبهة إسلامية واحدة ليستطيع مجابهة الصليبيين؛ لذلك كان عليه أن يعسفي بأمر قواته العسكرية، وينظم جيشاً قوياً يحقق به أهدافه تلك

لا تقدم المصادر سوى معلومات محدودة عن جيش رنكي وبخاصة (دبوس الجيش)، وسكان تكفي بمجرد الإشارات عن الجوانب الأخرى للموضوع، كعرق الحمد وطوائفهم، وعناصر الجيش ومقرانه، ورواتبهم، ومصادرهم، واستعداد الجيوش وأسايب القتلى، ومعتلات الأسرى وظلمة مملكتهم، مما يحاول أن يلقي عنه ما تيسر من الأصوات

ديوان الجيش،

نظم رنكي (ديوان الجيش) يقوم بالإشراف على أمور الجند وتنظيمهم وتوزيع رواتبهم وأعطياتهم بانتظام^(١)، وجعل على رأس هذا الديوان موظف أعلى يطلق عليه (مير حاجب)^(٢)، سحيف وظفته عن وظيفة الحاجب القدماء، إذ أن عمله هو أن (يصنف بين الأمراء والسجدة تارة نفسه وتارة بمشورته السلاطنة وتارة بمراجعة نائب، وإليه تقدم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند وما سبب دينه)^(٣)، كما كان يظفر في (محاسبة لأحد وخلافهم في أمور الإقطاعات ونحو ذلك)^(٤)

ذكر بن الأثير أنه (كان لرنكي جماعة كثيرة من لحر سابيه في لركاب (أي ما يشبه الحرس الخاص المرافق للأمير)، لهم لجامكيات^(٥) ألوانه، وكان في ديوان من يجمعونها من جهاتها ويقسمونها عليهم كل ثلاثة أشهر مرة، فهي بعض لسيب تاحرب (رواتبهم) تاحراً يسيراً، فجميعهم ووفهم بحيث يرهم (رنكي) مجتمعين، فعلم أنهم بشكوى شيئاً، فدرس إليهم وسألهم عن حاجتهم المذكورة له فقال لهم شكواهم إلى اديوان^(٦) قالوا لا قال عهد ذكرتم حاجكم للأمير حاجب^(٧) قالوا لا قال على شيء أعطي لديوان مئة ألف دينار وأعطي الأمير حاجب أكثر من ذلك، إذا كنت أن أؤتي الأمور صغرها وكبرها^(٨) كان عيبكم أن شكوا حاجكم إلى اديوان، فإن أعملوا أمركم قسم (لأمير حاجب)، فإن أعمل أمركم شكوتكم

(١) الياهر، ص ٨٢

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣

(٣) القفشدي، صبح الأعشى، ٤ - ١٩

(٤) المصري، الخطط، ٢ - ٢١٩

(٥) الجامكيات هي الرواتب بحسب محمد مصطفى ريادة، حاشية السكوك لمصري، ١

٥٢ رمي القفشدي أن يفقد ممالك السلطان كانت عبارة عن (جامكيات وعطف وكسوة

وغير ذلك) (صبح الأعشى ٣ - ١٥٧) مما يشير إلى أن الجامكيات كانت رواتب تقديه

الجميع الي حتى أعاقبهم على همالكم، وأما الآن فالدسب (عليكم) ثم أمر باديهم وقطع (رواتبهم)، حتى شمع فيهم بعض لأمرء فعفا عنهم ثم أحصر موظفي الديوان وأمير حاجب ودل بهم إذا كنتم تهملون أمر جندي الدين تحت ركبتي، ومن هو ملازمي في مصري وإقامتي، ونهم من يحاجه إلى استعانت في أممارهم ما يحتمونه، فكيف يكون خاب من بعد عي* وأنكر عيهم ذلك، فخرجوا من عنده وخرجوا في الأجناد من موالهم إلى حسن وصول (رواتبهم)، فأحدرا عوص ما أخر حوه^(١)، ويعتق اس لأثر على هذه الحادثة قنلاً بأن نكي بهذا الإجراء (أصلح الجند بقاعة الديوان وأصلح الديوان لسطر في مصالح الجند وعظم نصه عن أن يحاطب في هذا الأمر الحقير، وسهل عليه بدل المنع لكثير من يقوم بأمره)^(٢)

ويوضح هذا النص أموراً مهمة تتعلق بديوان الجيش وموظفيه ومشرفي عبه، وكيفية سير الأمور، وتوزيع الرواتب، معارة (ثم أحصر موظفي الديوان) تشير إلى رجود مجموعه من الموظفين الذين كانوا يداره شؤون الديوان، وكانوا يخضعون للإشراف المباشر لأمر حاجب ويسبقون الأوامر منه، وهي حاة عدم قب مهم بوجانهم بشكل امطوب، كان على أهل الشكوى من الجند تقديم شكواهم إلى (أمير حاجب) باعتبار المسؤول الأعلى في ديوان، فإذا لم يتم هذا أيضاً محل مشاكلهم فإن المشكلة اداك سمل إلى ركني، وهذا يشير إلى سلسلة بوسعة التي حوب بها (أمير حاجب) في قضاء الجيش، إذ كان عليه أن يتلقى الأعضاء التي بتورط في موظفو الديوان دون الرجوع إلى ركني

وكذلك على اديون أن يقوم بجمع رواتب من (جهتها) لي لم يحددها ابن الأثير، وتوزيعها على الجند كل ثلاثة أشهر وبشكل منظم، وإلا تعرض

(١) الباهر، ص ٨٣

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣

موظفو الديون للتأنيب أو العقاب، وكنت هذه الروتب مدفع بقدر، وقد تجاوز مقدارها لثماني ألف دينار، يصرف نصفها بحساب أمير حاجب وانصف الآخر بحساب الديون كي يقوم هذان لطرفيها بصرفها على الجند بعد ستقطع محضاتهم التي تم بحددها النص السابق

ولا يوجد ما يوضح أوصاف موظفي ديوان الجيش فيما عدا أمير حاجب ومهنة ماضيهم، وعددهم، والأعمال التي كلف بها كل منهم، واشروط التي اشترطت فيهم ويشير بن الأثير إلى أن ديون زنكي كان ينصف (بكثره التجميل، وهاد الأمر وعظم الحاشية والعرج فكان الإنسان إذا قدم عسكرياً لم يكن عربياً، فإن كان حديقاً شتم عليه لأحناد وأصافوه وقاموا به يحتاج إليه بكثرة أموالهم، وإن كان لئاليم صاحب ديوان، قصد مربيه الديون فمراى من نوعهم عليه ويظنهم في مصاحبه يكون كأنه في أهله ومنبت ذلك أنه كان يحطب وذا ذري أنهم ويومع عندهم في أرض قهم)^(١) وهذا يشير إلى أن ديوان الجيش مع حداً كبيراً من الانشاع في موظفيه، ومحضات المال، وأجهزته، واهتمام زنكي ونفقه لمسؤوليه

وكان أمير حاجب - في الوقت نفسه أحد فواد زنكي الكبار، وريب قائده الأعلى، إذ وصف بكونه (أكبر أمير مع زنكي)^(٢)، وشركاً معه في قيادة الجيش والمعارك الحربية

أمير حاجب زنكي:

تولى صلاح الدين بن أيوب الياسيني، منصب أمير حاجب لدى زنكي، ويرجع سبب ذلك إلى الدور الذي لعبه في توسعة لأحضر على

(١) الباهر، ص ٨٣، ويقال عنه كل مر أبي سامه انروشتين ١١٤ - ١١٥ واصل مرجع الكروب ١ - ١٠٦

(٢) الكامل ١١ - ٢١، ابن خلدون، المعبر ٥ - ٥٨

الموصل، إذ كان أحد عصبين في الوحد الذي توجه إلى بغداد عام ٥٢١ هـ لمفوضه المسؤولين حول قرار الوضع في المنطقة وقد وعده رنكي بوليته منصب أمير حاجب حارسا يستقر في الموصل، فلما دخلها عام ٥٢٢ هـ ولاء هذا المنصب بهم^(١) وقد ظل اساعسائي بلارم رنكي في حقه ومراحله، وعتمد عليه هـ، في مهامه العسكرية، وجمعه أحد قواده انكار، وكلف بقيادة جيشه في عدد من المعارك والمهام العسكرية^(٢)

وقد كان رنكي موظفه الكبير هـ، بناء على خدماته العديدة في الإدارة والحرب فأقطعه حماء عام ٥٢٤ هـ^(٣) وردّها إليه بعد أن استعانه ثانية من حكم دمشق عام ٥٢٩ هـ^(٤)، كما أقطعه حصصا اسخرة عام ٥٣١ هـ^(٥)، وكمر طاب عام ٥٣٢ هـ^(٦) وقد بقي الياغسائي في منصبه كأمير حاجب وقائد، ويقدم لدى رنكي (باصحة وسداد التدبير، وحسن السيرة، وصواب الرأي)^(٧) ولذلك لم يعترضه أو يهينه من منصبه طيلة فترة حكمه

تنظيم الجيش وبنائه:

إن معلوماتنا عن تنظيم جيش رنكي والعناصر التي شكلته مقتضبة؛ وما قوربت بما نعرفه عن تنظيم جيش الأيوبيين والمماليك الهائم على التقسيم العشري حيث ينظم الأمراء المشرفون على التحد شكل مدرج ينصب

(١) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٢٥

٢ دبل تزيح دمشق ص ٢٥٨، ابن سعد، الاعتبار ص ٩٩، ١، الكامل ٢٤٨، ١١

٢١، رقة الحلب ٢ - ٢٦١، ٢ - ٢٦٨

(٣) ابن منذر، الاعتبار ص ٩٧ - ٩٨، مرجع الكروب ١ - ٥٣

(٤) رقة الحلب ٢ - ٢٥٩

(٥) ابن منذر، الاعتبار ص ٧٨

(٦) المصدر السابق ص ٤٥

(٧) دبل تاريخ دمشق ص ٣٤٧، ومقل عنه أبو شامة، بروصنير ١ - ٢٨٦

أكرمهم بمقدم ألف وبنه أمرأ بعين ثم أمرء بعشرات ومجتمعات تدب
يعبرون من أكبر الأجداد، وهو السطيم الذي يهله لسلاجه من أوطانهم
الأولى بعد أن عدوا فيه^(١)، ومن مخرج أن رنكي اتبع هذا السطيم،
بعثار أن يظهري هي استمرار للنظم مسلجوقه من جهة^(٢)، وأساس للنظم
الأبوية والمملوكة من جهة أخرى^(٣)

توجد إشارات متفرقة عن بعض العناصر التي كانت بشكل حش رنكي،
فهناك (الحراسيون) الذين كانوا (يخدمون في الركاب)، أي ما يشبه
الحرس لخاص المواثق للأمر، كما يتضح من قول ابن الأثير بأنه كان
رنكي (جماعة كثيرة حراسه هي الركاب)، وأنه ألب ديوانه لإحصاء أمر
روثيهم وثلاً (إذ كنتم تهمدون أمر جندي يدين تحت ركابي ومن هو
ملارمي لي صفري وإمئي)^(٤) وكان هؤلاء يتقاضون رواتب عالية، إذ
كانوا ساحة إلى صفقات في سفارهم وسركانهم المستمرة^(٥)، كما يقب
لرنكي، يتقلون معه حيثما ذهب

ولم تقتصر مهمة هؤلاء بحر ساريين على حرسه رنكي ومراقبته، بل
اشتركوا في بحروب وفي عمليات الحصار وتخصصوا فيها، وقد ورد
ذكرهم في حصار حصن بصور (في ديار بكر) عام ٥٢٨ هـ، حيث لعبوا
دوراً مهماً، كما كان لهم دور فعال في فتح برها عام ٥٣٩ هـ، حيث يشير
ابن القلاسي إلى أن (البحر ساريس معروف بموضع انقبوا يقبوا عدة

(١) الغنوشي، صبح الأعشى ١: ٢٨٠، ١٠ - ٥١ المبريري الحطط، ٢: ٢١٥

٩ - ٢، بحرين محمد مصطفى ياد، حاشية السلوك للمبريري ٢٣٩ بر شاهين

الغزيري، ردة كشف الممالك من ١١١ - ١٢٠

(٢) المبريري، السلوك، حاشية ١ - ١ ٢٣٩

(٣) الغنوشي، صبح الأعشى ٤ - ٥

(٤) الياهر من ٨٢

(٥) المصدر السابق من ٨٢

موصع عرفوا أمره) ثم أحرقوا فيها الأحشاب فوشت بعض أحرارهم
ودخل المسلمون المدينة^(١)

ولم يشر المصدر إلى مصدر هؤلاء الجواسيس، وفيما إذا كان رنكي
قد جاء بهم من بغداد عند توليته الموصل عام ٥٢١ هـ بعد أن أصرهم
وعماهم، أم كانوا مقيمين في الموصل منذ فترة سابقة؟ وبالرغم من أن
الحراسنة كانوا يشكلون فرقة مستقلة^(٢)، فإن مصدرهم يشار إلى أمرتهم
وطبيعتهم تنظيمهم، ومدى علاقتها بالقوات الأخرى في جيش رنكي

ومن العناصر الأخرى في الجيش، التركمان، وكانوا يشكلون أعداد
كبيرة، إذ يشير ابن الفلاس إلى أن رنكي عندما حاصر بها عام ٥٣٩ هـ
(كتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم لسمعونه عندها (أي على الرها،
وأداء فريضة الجهاد، فوصل إليه منهم اثنان الكثير، بحيث أحاطوا بها من
جميع الجهات وحاولوا يبيت وبين ما يصل إليها من الميرة ولأغوات)^(٣)
وقد استفاد رنكي من لتركمان لجهاد الصليبيين بالمرجة الأوسى، وقد (نقل
حدثه من لتركمان لأبويه مع أميرهم (لياروق) إلى الشام وأسكنهم بولاي
حلب، وأمرهم بجهاد الفرنج، وممنكهم كل ما استفدوه من البلاد التي
لهم فكانوا يعادون الفرنج بالقتال وراؤهم وسمير، جمع ما
فجوه بأيديهم إلى سنة ٦٠٠ هـ)^(٤) وقد استفاد أمير سوز بن أيبك
التركماني، نائب رنكي في حلب، من لتركمان في عارته ضد الصليبيين في
شمال الشام، واستطاع أن يحقق بواسطتهم انتصارات عديدة^(٥)

(١) ص ٢٧٩

(٢) الباهر ص ٨٣

(٣) ص ٢٧٩

(٤) الباهر ص ٨٠، ونقل عنه أبو سامة التروطيس ١١١ - ١١٢، وابن واصل معرج
الكروب ١ - ١١٣

(٥) انظر فضل (رنكي والصليبيون)

وكان التركمان ينتشرون في معظم أنحاء الشام وخاصة مد طوق بصرات (وكانوا طوائف كثيرة وجماعة كبيرة)^(١) ويعدد النعشمدي عشرة طوائف من تركمان الشام، ويصنف بأحد هذه الجماعات كثيرة أخرى لا يمكن استبعادها^(٢) ذلك كان زنكي (بمضي إلى الفرات لجمع التركمان)^(٣) قبل العام بمعركة المهمة، إذ كان هؤلاء، بأعدادهم ضخمة ومراسهم في الحرب، وشجعتهم، بشكوكهم أهم عنصر في جيشه

وأعبأ النظر إلى معظم الدين استخدمهم زنكي في حروبه لم يكتفوا جيوداً بظمايين، بل كانوا يجتمعون بمساعدة أثباء ستمارهم، حيث يتطوعون في جيشه حيناً في جهاد وطني للعسمة، ثم يتصرفون بعد انتهاء المعركة لشيء ساندعوا من أحلها، وربما انحد سوار (بأن زنكي في حلب) من بعض هؤلاء لثوكماد جنود مظاميين كي يستعين بهم كقوة ثانية في جهاد الصليب

وترد إشارات متعددة عن (الحلبيين) كقوة عسكرية اشركت في معارك عديدة ضد الصليبيين في شمالي الشام بقيادة الأمير سور، ودامت بدور أسس في الدفاع عن حلب وبعض المدن الأخرى القريبة، عند هجوم الإمبراطور البيزنطي المنحالف مع صليبيين على هذه المنطقة عام ٥٣٢ هـ^(٤) كما دم (الحلبيون) بدور هام في فتح الرها عام ٥٣٩ هـ، جنباً إلى جنب مع الحراسانيين، إذ كان في (الحلبيين) أيضاً من هو (عارف بمواقع القلوب)، فقبوا عدة مواضع مع الحراسانيين وأشبعوا فيها الدار مما أدى إلى انهيار بعض أجزاء السور ودخول مسلمين إلى الرها^(٥)

(١) نعشمدي، ص ٧ - ١٩٠

(٢) المصدر السابق ٧ - ٢٨٢

(٣) ابن مقدر، الاعتبار من ٣١

(٤) ريلة الحرب ٧ - ٢٦٤ - ٢٦٨، و نظر (مصل زنكي والصليبيون)

(٥) دین تاریخ دمشق ص ٢٧٩

وقد كان هؤلاء (الحلمسون)، من سكان حلب لأصليين، أي من العرب، بدليل ما أورده ابن العديم من أن رنكي كان يجبر فلاحي حلب على الانحياز بجيشه في أوقات لغت^(١)، ويظهر أن هؤلاء كانوا يتركبون الحشش ويعودون إلى أعمالهم الزراعية بعد انتهاء القتال، ولا ريب أنهم كانوا يتفحصون أخوراً على شراكتهم في المعارك، سواء كانت أرواقاً معينة، أم ما يحصلون عليه من الغنائم

وقد ذكر ابن رسل أن رنكي رحل إلى أرض حماة عام ٥٣٣ هـ (و استنصب من أهلها تسعة آلاف راجل يخدمون الركاب)^(٢)، أي للقيام بمهمة الحشش في خدمة الجيش وأمرائه في حلهم وترحالهم فضلاً عن حراسته رنكي الخاصة، مما يشير إلى أن هذا اعتمد على أهالي الشام في كثير من الأمور الحربية

هذه هي العناصر التي شرب المصادر إسها، والتي أسهمت في تشكيل جيش رنكي بمسببه من النظاميين (أو المرتقة) والمطوعيين ولا ريب أن رنكي اعتمد على عناصر أخرى كاسدو والأكراد، وربما كانت قلة أهم هؤلاء نالبة عناصر الجيش الأخرى مما في إحصاء مؤرخين هم

ويظهر مما سبق أن عدد جيش رنكي لم يكن ثبات بل كان عرضة للتزايد والتقصير بما يتصمم إليه من المطوعيين من حين لآخر، وقد حاول رنكي أن يصمم وجود مورد عسكري مشري ثابت، فهو من التجسس الإجباري على بعض مناطق القرية من موطن محظرو، وسدك (كان يلزم أهل حلب بجمع برخان للمصار والحصار، فإن كان ذلك في جهاد الكبار، فقد كان يحطب عندهم ديك وله إلوامهم به)^(٣) ولم يذكر المصادر فيما إذا كان رنكي قد حرص على التجسس

(١) بعبه النظم ج ٨، ورقة ٢١١، وحاشية رتبة الحطب ٢ - ٢٨٤

(٢) ١ - ٨٤

(٣) ابن العديم، بعبه النظم ج ٨، ورقة ٢١، وحاشية رتبة الحطب ٢ - ٢٨٤

الإحتاري على المناطق الأخرى من إمدوته، ولعل أهمه موقع حلب وقرىها من الصليبيين حسب عليه اتحاد هذا الإجراء. ويظهر أنه كان حر التصرف في استخدام من يشاء للأغراض الحربية، ففي عام ٥٣٣ هـ على سبيل المثال، مر بأرض حمص (و ستصحب من أهلها سبعة آلاف رجل يحملون الركاب)^(١) وفي عام ٥٣٩ هـ طلب من قوائمه أن يحضر لحصار (الرها) وهدد من (بآخر عن صحته، وأخبرهم أنه لا يفعل غيراً من أحدهم)^(٢) مما يشير إلى وجود نوع من التجدد الإجاري في أوقات الحاجة

وهناك إشارات محدودة عن معسكرات نجد، ففي شأن إحدى سبيل قدم رنكي إلى حريرة ابن عمر، فبرل بـ (سبعة وعسكر حمص في الحيام خارج المدينة)^(٣)، الأمر الذي يشير إلى وجود معسكرات غير ثابتة في الحالات لطائرة، أم في الحالات الدائمة، فقد كان رنكي يقيم حاميه عسكريه في كل مدينة أو حصن يسمح به أن يقطع رصيده الأمرء الحاميه وجودها^(٤)، وهذا يؤكد وجود معسكرات ثابتة في مختلف المناطق بتابعه سرنكي، ولم نجد لمصادر فيما إذا كانت سكنى نجد داخل انقلاع أم خارجها؟

مستخدمة الحبل على نطاق واسع في حش رنكي، ووردت إشارات عديدة عن اهتمام قومه بها واستخدامها في مختلف الحروب، وهي الهجمات السريعة، وبالرغم من أن فن الفروسية لم يكتمل في عهد رنكي، وحم يؤلف عنه كتب ورسائل كما حدث بعده^(٥)، إلا أن أسامة بن مقدر

(١) ابن واصل مرجع لكروب ١ - ٨٤

(٢) الباهر ص ٦٨

(٣) الكامل ١١ - ٤٥، باهر، ص ٧٦ - ٧٧، ونقل عبد أبو سامة بروصير ١ - ١١٠

(٤) الكامل ١٠ - ٢٤٧ - ٢٤٨، ١١ - ٣٩، الباهر ص ٦٦، ٦٩

(٥) نص في العصر المملوكي في مصر مجموعة من الكتب والرسائل التي حاولت

بقدم في كتابه (لأعداد) بعض الملاحظات عن هذا الفن وعن التحول في عهد
رمكي^(١)، فكان الفارس يلبس الرديّة، أو الكراعد (أي مدرع) والحدوة،
ويقاتل بالسيف أحياناً وبالدوس أحياناً أخرى^(٢) وقد جرى شرفس بين
قوت رمكي لاقتناء الحبوب الخمسة^(٣)، وكان بالأمراء ركائبون واسطبلات
خاصة بحوهم^(٤)، ويشير ابن العديم إلى استخدام السجل في معارك عام
٥٣٢ هـ ضد الروم والصليبيين^(٥)، وقد عتد الأمير سور نائب رمكي في
حلب على التحول في عهده التي شها ضد الصليبيين^(٦) ولا يوجد أية
إشارة عن تنظيم الفرسا في جيش رمكي، وعن روائهم ومعابهم، وعندما
كان بينهم وبين المشاة (الرجاة) من فروق

وهناك إشارات محدودة عن تنظيم السفل في جيش رمكي، إذ يشير ابن
مقعد إلى استخدام رمكي للسهال^(٧) ويظهر أن حروبه لجيشه دعتة إلى
ذلك، كما استخدمت الإبل في مناطق الخربة لمستوية في الظروف التي
تطلبت السرعة^(٨)

= الفروسية وفصحت بها مثل (تهذيب السؤل والأمنه في تعليم الفروسية) تأليف بن لاجين
الحسامي (ت ٧٨ هـ) وكتاب (من بحروب وعدم الفروسية) لمؤلف مجهول وغيرها
منظر علي إبراهيم حسن، تاريخ سمانيك بحرية ص ٢٧٦ - ٢٧٣، ومنظر حسان سعداوي
التاريخ بحري المصري (المقدمة و - ح)

(١) انظر صفحات ٤٦، ٥٩، ٦٠، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٢٤، ١٣٠، ١٥١، ١٥٧ من
كتاب الأخبار

(٢) ابن مند، لأخبار ص ٩٨، ١٤٤ وانظر ص ١١ (نفس المصدر) عن تركيب الكر عند

(٣) المصدر السابق ص ٤٦

(٤) المصدر السابق ص ٤٦، ٥٩ - ٦٠

(٥) ريداء الحب ٢ - ٢٦٤ - ٢٦٧

(٦) انظر فصل (رمكي والصليبيين)

(٧) ابن مقعد، الاعتبار ص ٥٩ - ٦٠

(٨) الباهر ص ٦٨

استدعاء الجيوش وأساليب الحرب،

فيل إعلان الحرب، كان رنكي يستدعي قوالب من المتطوعين لنضم إلى جيشه استعداداً بمجهره^(١) بعدما عوم على فتح الرها عام ٥٣٩ هـ (كانت طوئف التركمان بالاستدعاء لهم سمعونة عندها، وأداء فريضة الجهاد فوصل إليه منهم الحقق الكثير)^(٢)، كما كان يمر - في طريقه إلى الحرب - ببعض مدن إمارته، ويجمع منها الجند لضمهم إلى قوائمه كما فعل مع أهالي حلب^(٣) وحماة^(٤) وكان انجهاذ صد الصديقيين أحد الدوافع المهمة في إشراك المتطوعين في حروب رنكي وخصوصاً التركمان، كما كانت الرغبة في معادتهم، ولخوف من سلطة رنكي^(٥)، من دوافع أخرى لذلك

وهناك إشارات عديدة عن طرق نقب وأساليبه، خاصة فيما يتعلق بحروب الأسور ومنها حمص، ذلك أن معظم المعارك التي خاضها رنكي كانت عبارة عن هجمات ومحاصرة للحصون الكثيرة المنتشرة في منطقة الجزيرة والشام، أما المعارك المفتوحة فيها كانت أقل من حروب الأسور، شكل ملحوظ، وبسبب قلة الإشارات عن الأساليب التي سبب عنها

كما نفجوا سيس أهمية كبيرة في المعارك التي خاضها رنكي، وكانوا ينتشرون في مناطق العدو، ويطنعون أميرهم على تحركاته وإمكاناته لكي يكون على إية من الأمر، وكان رنكي يحدد موقفه الحربي أحياناً بناء على ما يقدمه هؤلاء من معلومات^(٦) ومن ثم يتجه، هو أو أحد قواده، على

(١) انظر موضوع (تنظيم الجيش وعناصره) من هذا الفصل

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٩

(٣) بن النديم، معية الطالب، ج ٨، ر ٢١١، وخاتمة ريد انقلب ٢ - ٢٨٤

(٤) ابن واصل، معراج الكروب ١ - ٨٤

(٥) الباهر ص ٦٨

(٦) انكسار ١ - ٤٠ الباهر ص ٦٨، ونقل عنه أبو سامة، الترويض ص ٩٥ و ابن واصل

معراج الكروب ١ - ٩٣

أس الجيش لفرض الحصار، فإذا ما استدعت الظروف تسرعه في تسير
اتحاد من الوسائل ما يكمل ذلك، ففي عام ٥٢٨ هـ على سبيل المثال، توجه
إني (حلاط)، وأراد لوصول إليها تسرعه فسلط طريقاً، عبر أنجبال، عبر
الطريق المسدود، وكان جسده يستريحون، كل واحد في موضعه، دون
حزام^(١) وعندما توجه لحصار الره عام ٥٣٩ هـ شعان على تسرع
بركوب أنجانب (أي الإبل صغيرة العمر)^(٢)

ومقدم بمصدر بعض التفاصيل عن أسباب حروب الأمور، فهي
حصار الره، تقدم رنكي - أولاً - إلى أهل الحصن بتسليمه له دون أن
يخطر إلى بحريه، فلم يعضو، أمر المسجقات بالصبوب (وقدم الشحجان
لراله) على شكل دحوف مستمرة بعد الحامية، وفي الوقت نفسه، كان
العربون العارفون بسواض (الغروب) يعملون على نفق بعض المناطق الواقعة
تحت الأبراج، وبعد ذلك وضعوا فيها الأحشاب وأحرقوها، سقطت
الأبراج، وخرق سور، وأدفع جد رنكي إني داخل الحصن^(٣)

كما تبع رنكي في هذا النوع من المال أسدوب الاشيباك مع حاميه
الحصن حاسماً يصح نجال بذلك، إذا بدأ المسجقات - أولاً - بصرب
الأسوار، وما أن تحدث بعض الضربات، حتى يقوم عدد من جنده بهجوم
سريع على تلك المناطق والاشيباك مع الحاميه، فإذا ما قصوا على
المدفعين فتحوا الطريق أمام الجيش لدخول إلى الحصن والاستيلاء
عليه^(٤)

(١) ابن مند، لأخبار من ٨٨ - ٨٩

(٢) الباهر من ٦٨

(٣) دبل تاريخ دمشق من ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - الباهر من ٦٨ - ٦٩، ومثل هذه الأمور

الروضين ١ - ٩٤ - ٩٥، وابن واصل مخرج الكروب ١ - ٩٤

(٤) ابن مند، لأخبار من ١٥٥

وكان زنكي يؤكد في حصاره بـحصو، على اساحة التـمويه، فـفرض حصاراً اقتصادياً على الحـص، فضلاً عن الحصار العسكري^(١) كما كان يؤكد على إثارة حماسه بحد أن يشترك هو نفسه في الهجوم على الأسوار كما حدث في معركتي عفر الحـصيه عام ٥٢٨ هـ^(٢)، والرها عام ٥٣٩ هـ^(٣)

أما في الحروب المفتوحة، فقد تبع زنكي الأسلوب السائد في ذلك الوقت، حيث تقسم القوات إلى عدة مجموعات على رأس كل منها أمير ميمه، قلب، عيسرة، مقدمه، مؤخره كما نجد بإشارات عديدة عن براعة زنكي وفروده في استخدام الأساليب المختلفة في العمل كـص لكـائن^(٤) وفي الحالات التي كانوا يرون فيها أن من لـخطورة الدخول بمعارك مفتوحة مع العدو، بما لـقده عددهم، أو لعدم ملاءمه الظروف العسكريه لهذا النوع من القتال، في هذه الحالات، كان زنكي وقواده يـخوون إلى شئ ابعات على معسكرات العدو ولاسـحاب بسرعه وكانوا يـشهدون من ذلك بـلاق تدث للمعسكرات وشـر انـحرف و فـوصى في صفوفها وذلك بما يحدثونه في أطرافها من قتل واحتـطاف وسـب وـحـريـب، مما يـؤدي، أيضاً، إلى اضطراب في نمويـن العدو، وهو عامل هام للإضعافه، وقد جمعت هذه الأساليب انتصـرات عديدة لزنكي ورجاله^(٥) وكان زنكي أحياناً أخرى يمارس صـعته الاقتصادي ضد أعدائه عن طريق إغـام بـمبات السـب

(١) دبل تاريخ دمشق ٢٧٩ الكامل ١١ ٦، بـاهر من ٤٧ ١٢، ونقل عنه أبو سامه الروضـي ١ - ٨٩، ابن واصل مـرج الكروب ١ - ٧٣

(٢) البـاهر من ٨١

(٣) الكامل ١١ - ٤١ - ٤١، واصل عنه ابن واصل مـرج الكروب ١ - ٩٣ - ٩٤

(٤) دبل تاريخ دمشق من ٢٥٩

(٥) البـاهر من ٢٦٤ الكامل ١١ ٢٣ ٢٤ إلى هـ من ٥٥ ٥٦، ونقل عنه أبو

سامه، بروضـي ١ - ٨١ ٨٣، ابن واصل مـرج الكروب ١ - ٧٨ ٧٩، ٨١ ٨٣

واسـط فصل (زنكي والصليبيون)

و التحريب في المناطق التي بمد حصون هؤلاء بالتموين، كما حدث في منطقة حمص في السواب التي سبقت الأسبلاء عليها عام ٥٢٢ هـ^(١)، وفي حصاره دمشق عام ٥٢٤ هـ حيث أحرق عدة قرى من مرج واطحوطه، وشن أعمال على حوران وأعمال دمشق للنهب والتحريب^(٢)

أما عن الأسلحة التي استخدمتها جيوش رنكي، فقد ورد ذكر عدد منها كالدبوس، وهو آلة من حديد ذات أصلاخ، وإرماع، وليسوف، واهوسر وسهم وإشبات ومن أن معظم التحارب التي جاشتها كانت (حروب أسوار)، فإن أهم الأسلحة التي استخدمها كانت ولا ريب المسجيمات، فضلاً عن مجموعة من الآلات الحربية التي تستخدم بهذا الغرض، وبالرغم من عدم تحديد المصدر لهذه الآلات، والإشارة إليها دائماً بلفظ اسمهم (كالآلات المسجبة)^(٣)، وآلات التحارب^(٤)، إلا أنها كانت ولا ريب، كذلك التي استخدمت في بلد المرحمة من ساريخ بصورة عامة، وأهمها الدبابة ونكش وشنقة المحركة، والتي كانت تستخدم جميعاً لمل نجد وحصون الحربية إلى الأسوار لكي يحطم من سهم الأعداء براهم^(٥) كما يستعمل حد رنكي ساريخ الحربية أخرى أرح الأسوار بعد نهبها ومقتل بالحث^(٦) وندعت أسلحة رنكي من انكروه في إحدى المصادك بحث قال عنها الشاهر^(٧) (طن البر بحرأ من سلاح)^(٨) ولم ترد إشارة فيما إذا كان

(١) الكاس ١٦

(٢) ديل تاريخ دمشق من ٢٧٢ - ٢٧٣، الكاس ١١ - ٣٠ - ٣١، ينقل عنه ابن واصل مرج الكروب ١ - ٨٨ - ٨٩

(٣) ديل تاريخ دمشق من ٢٧٩

(٤) المصدر السابق من ٢٨٢

(٥) انظر علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك من ٢٧٦، من ساريخ ساريخ كاشي (الأبي في المعجاني)، مطبعة ورقة ٧٢ - ٨٨

(٦) ديل تاريخ دمشق من ٢٧٩، ينقل عنه الباهر من ٦٩

(٧) الباهر من ٦٨

هناك مجرد حفظ الأسلحة به مشرفه وموظفوه، كما لم ترد إشارة عن مصدر هذه الأسلحة سواء صعب محلي أم استوردت من الخارج، وهل كان لجندي يحير نفسه بها أم تقوم الدولة بتجهيزه؟

هناك إشارة عن وجود (جرائحي) لعلاج مصابي الحرب^(١)، وربما كان ذلك دليلاً على وجود مجموعة، أو (هيك طبيه) توافق جيد رنكي للإسماء الجرحى

من الممكن القول بأن الاعتبارات السياسية والعسكرية كانت تعدد سلوك الجند وأمرهم بجاه سكون وحاميات المدن مفتوحة، ففي عام ٥٢٣ هـ على سبيل المثال، فتح رنكي حصن برعة بالسيف (وقبل كل من فيه من الروم والبرج)^(٢)، كرد انشامي على سلوك الروم والصلبيين تجاه المسلمين لدى استيلائهم على هذا الحصن ومعاقبتهم لأهله بوحشه بالغة^(٣)، كما أن هذا الحصن كان يشكل مركزاً عسكرياً مهماً يفره من حلب، ومن ثم فإن وجود أية جماعة تؤيد الصليبيين فيه يشكل خطراً على المنطقة كلها وكذلك يمكن القول في موقف رنكي عند فتح أرها عام ٥٢٩ هـ، بعد مقاومة شديدة، دفعته إلى إطلاق الحرية بحصنه وأمرائه في الأيام الأولى من الفتح، فعدّوا أيديهم من العنائم والأسلاب والأسرى لكنه لدى طلائعه على البلد (أعجبه منظره فأسف لسله من الحراب، ورأى أن حرابه ورحلاءه غير مستحسن، فأمر بإعادة ما أخذ من عديم والسبي هردوا، وعاد ببلد عامراً، أهلاً بالسكان، بعد أن كان دثراً)^(٤) وهكذا

(١) ابن مقبل، الاعتبار من ٥٩ - ٦٠

(٢) معراج الكروبي ١ - ٨٣

(٣) الكامن ١١ - ٢٣، فياخر من ٥٥، ونقل عنه أبو شامة، الروصتين ١ - ٨١ ومن واحد

معراج الكروبي ١ - ٧٧ - ٧٨

(٤) الكامل ١١ - ٤، بهر من ٦٩، ونقل عنه أبو سامة، الروصتين ١ - ٩٥

نجد أن موقف رنكي ماسماح لجنده بسحب والأسر كان د عشار عسكري بسبب المقاومة العنيفة التي أبدتها الصليبيون، وأن موقفه بعد ذلك في يقف تلك الأعمال كان د عتبر سياسي، إذ كان يرمي من وراء ذلك إلى جعل المستعبيين أو طمس في الأرض كتلة واحدة بقصد منها صد للمستعبيين بدين يخالفونهم في المذهب، ولعله أراد أن يستحق باسمه حسن أو طس، بالإضافة إلى سحبه التركيبة، في المحافظة على الأرض بعد طرد القوات الصليبية منها^(١) وبذلك (جهد في مصالح أهل الأرض . ووعدهم بإخماد أسيرة وسط العدة)^(٢) وعلى هذا الأساس أيضاً كانت معاملة رنكي لأهل نيس و أمراءها بعد أن أعصدهم الأمان، إذ ن ما اتخذه معهم من شدة وقسوة قصد به إثارة خوف المستعبيين له من المسلمين في دمشق^(٣)

أما فيما يتعلق بوزيع الأسرى والعائث ومدى حصوع ذلك لتسليم والإحصاء، فلا توجد ثمة إشارة لتوضيح ذلك، والمخرج أن كل حدي كان يملك د يحصل عليه أثناء انصار من أدث ودواب وأسرى^(٤) فيما عد بعض أنواع الأسلحة التي كانت تعود إلى الحكومة كالمجانيق، بدين استيلاء رنكي على مجموعته المحيطة، لني تركها لروم عند شيرر بعد استعابهم بها عام ٥٣٢ هـ، ورمها إلى قلعة حلب^(٥) كما لا توجد إشارة عن كيفية معاملة الأسرى، وتبادلهم، ومدى الاستدادة منهم في الأعراض العمرانية والاقتصادية

(١) العربي، الحروب الصليبية ١ - ٥٢٧ عر Grousset, Croisades 2/188-191

(٢) ديل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٣) العربي، الحروب الصليبية ١ - ٥٢٧ Grousset, Ibid. 2/188-191

(٤) ديل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ - ٢٨٠، الكامل ١١ - ٤٠ - ٤١، الباهر ص ٦٩ ونقل عنه أبو

تمامة، بروضين ١ - ٩٥

(٥) الكامل ١٠ - ٢٤، الباهر ص ٢٦ ونقل عنه أبو تمامة، بروضين ١ - ٩٢، ريداء النجب ٢

علاقة زنكي بجند:

كان زنكي شديد الهمّة على عسكره^(١)، فقد كان (حاراً عظماً دهب وسطوة)^(٢) وقد أدى ذلك، فضلاً عن إعطائه حده جمعهم من الأراي ولرواب^(٣)، إلى ميّدة لنظام في صفوف قوته وإحصاءهم بطاعته في كل صغيرة وكبيرة، إذ كان عفاه صارماً للمخالص من حده مما إذا كانت مخالفتهم على حساب الرعية^(٤).

وقد بلغ زنكي من السطوة والنهوض لدى جنده أنه إذا ركب مشي العسكر حلمه كأنهم بين حيطتين، مخافة أن يدوس لعسكر شيئاً من الررع، ولا يجسر أحد من هيبته أن يدوس عرفاً منه، ولا يمشي فرسه فيه ولا يجسر أحد من أحاده أن يأخذ من فلاح حقة من اتس إلا شمه، أو يحط من الديوان إلى رئيس القرية^(٥).

وكان زنكي يقدر الدور بهم الذي يؤديه للحد في خدمه الإمارة، بذلك عني بوفر سراحة والاستمرار مجددي في كل ما يتعلق به، وبخاصة عائلته ووروجته (مكث شديد التعبد على تحريم لا ساء الجد فإن اتعرض إلهن كان من بدوب شي لا يعمرها) وقد عمل ذلك بكونه (إن جدي لا يمارقوبي في أسماري، وما يديمون عد أهليهم، فإن نحن لم نسمع من التعرض إلى حرمتهم هلكن ومسد)^(٦) ولذلك كان يعاقب المتعرضين

(١) الكامل ١١ - ٤٥

(٢) رتبة الحلب ٢ - ٢٨٣

(٣) الباهر ص ٨٣

(٤) المستدر الساجين ص ٦٦ - ٧٧، الكامل ١١ - ٤٥، ونقل عن ابن الأثير أبو سامة الروضين ١ - ١١٠

(٥) ربه الحب ٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ ويصيف بن العديم عباده (وإن بعدى أحد صبه)، وبالأمر مما هي ذلك من مبالغة لا أنه يشير إلى مدى صلابه زنكي بجند

(٦) الكامل ١١ - ٤٥ الباهر ص ٨٤ ونقل عنه أبو شامة الروضين ١ - ١٢ - ١٣، وابن واصل مفرج الكروب ١ - ١٠٤

لمساء أشد عقاب، حتى به عول و به على جريبه اس عمر (نقه الدين حسن ابرطي) لمرصه (للتحریم)، ولم يكف بدت بن جرده من كل أموال وعاقبه^(١)

وهكذا قامت علاقة رنكي بحمد على النظم والطاعة والانضباط من جهة، وعلى اللود والتعاطف والرأفة من جهة أخرى، بسبب ما قدمه للحد من روائت حسنة، وما شغل به أهليهم من رعاية وهدام

الاستخبارات:

كست مطروف المحيطية بإماره رنكي، تقضي النقطة والحذر، إذا كان أعداؤه يحيطون بإماره (رحطة السوار بالمعصم)، وكانت انداس بحاك صده، فإذا ما أصيب إلى دت طموح رنكي نحو توسيع إمارته على حساب جيرانه، ومحاو به معرفة أوضاع (الجير ب) قبل أن يبدأ بعملياته، أدركت سبب اهتمامه بقضايا (التحس و لأرصاد مما يمكن أن تطلق عليه اسم (الاستخبارات)

يبدو مما أوردته المصادر أن رنكي أقام جهازاً متخصصاً بخصص ل الموظفين و لرواتب، إذ ورد عنه أنه كان شديد العناية بأخبار الأطراف وما يجري لأصحابها حتى في حدودهم، وكان له في بلاط السلطان سلجوقي من بطائه ويكتب إليه بكل ما يهنيه السلطان في سله ونهاره من حرب وهدم وهر وخذ، وكان (يصرف) على دت الأمور لخدمته) وكان يصل إليه في كل يوم عدة قصيد (أو كسب)^(٢)، كما كان به في كل بلد من بطاليم بالأحار^(٣) وقد نصف رنكي بأسرية لواسعة والحذر في هذا الشأن (فكان لا يمكن رسول مدت يعر في بلاده بعير يده، وإد سأنده رسول في

(١) الباهر ص ٨٤

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ وهو عنه أبو سامه بروحيس ١ - ١١١، ورواصل مخرج

الكروب ١ - ١٠٢

(٣) الباهر ص ٤٦ - ٤٧

العمور إلى بلاده أدب له وأرسل إليه مو يسيره ولا يتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيرهم، فكان رسول يدخل بلاده ويخرج منها ولا يعلم من أحوالها شيئاً البته^(١)، كما كان لا يمكن أحد موظفيه من معادته بلاده، ويعمل ذلك بأن البلاد (كيسان عليه سياح فمس هو خارج السياح يهاب الذخوب، فإذا خرج منها من بدر على عورتها ويضعم أعدو فيها، رالب انبهة ويطرق انحصوم إليها)^(٢) وهناك عدد من الروايات حول هروب بعض موظفيه وفلاحيه إلى الإمارات الأخرى والحاجة بإعادتهم إلى إمارته حتى لا يخطر ذلك إلى استخدام القوة^(٣).

وقد قدم جهاز مجلس هذا، خدمات مهنة لرنكي، في ظروف شتى فقد أطمعه عام ٥٢٥ هـ على اعتزال (دبر من صدقة) من قبل حكام دمشق ولسائح أبي أعجب ذلك^(٤)، ولعب دور هاماً في حصار بخرين عام ٥٣١ هـ^(٥)، وحاصر الزرق عام ٥٣٩ هـ^(٦) كما كان يستخدم لاحتلال على أحوال الحيد لدى حصارهم بعض، مودع وملاحظه ما يصل إليهم من روايات وسلاح^(٧) وكان رنكي مع أشعاده بأمر لدوله بهانه لا يهمل لاطلاع على القضايا الثموية، معبلاً ذلك (بأن الصغير إذا لم يعرف ليمع، صار كبير)^(٨) وقد ساعده جواسيسه في هذا المنحاج أيضاً^(٩).

(١) أبو شامة، الروضتين ١ - ١١١، مرجع الكروب ١ - ١٠٢.

(٢) الباهر ص ٧٩، ونقل عنه وابن واصل مرجع الكروب ١ - ١٠٣.

(٣) الباهر ص ٧٩ - ٨٠، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٢٨٣.

(٤) الباهر ص ٤٦ - ٤٧.

(٥) الكامل ١١ - ٢١.

(٦) الباهر ص ٦٧ - ٦٨، ونقل عنه ابن واصل مرجع الكروب ١ - ٩٣.

(٧) الباهر ص ٧٨.

(٨) انمصدر السديق ص ٧٨، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ١١١، ابن واصل.

مرجع الكروب ١ - ١٠٢.

(٩) الباهر ص ٧٨.

ولم يشر بمصدر إلى سلطه العليا التي كان هؤلاء النجواسيس يسيطرون بها، والمرجح أنهم ربطوا برنكي مباشرة نظراً لأهميته دورهم السياسي والعسكري، ولأنهم كانوا يتسمون أوامرهم انصب شره منه، كما يتضح من مطابقة النصوص في هذا المجال

ويذكر به بنيم انيريد في رسائلها وبطورها في تاريخ الإسلام، نجد ثمة نقاط تشابه بين بعض هذه النظم وبين استحداث رنكي من حيث الاموال والأهداف، فقد كان من حملة أعمال البريد مهم بالتحرس لحساب الخليفة أو الأمير، سواء على موطفي يدونه في الساحل أو لأعداء في الحارح^(١)، مما يدفع إلى القول بأن رنكي لم يدع هذا النظام، وأنه ربما استمد من نظم البريد السابغة

٢. الإقطاع،

كانت الموصل والجزيرة، في العمود لبي سبب تولي رنكي الموصل، خاصته بمساحته وكان هؤلاء يقطعونها لأحد الأمر الذين يعتمد عليهم، بشرط أن يظل حاصداً لهم، فبدأت حدود الاستملاك بقطعها دام السultan بحوله وإقطاع أمير آخر بدله حتى تو أدى ذلك إلى قيام الحرب بين الطرفين

وفي عام ٥٠٢ هـ أرسل السultan محمد، الأمير (مردود بن كوسكين) إلى الموصل وأعطاه راي^(٢)، بعد أن جهزه بالجيوش لئال انصبيين^(٣)، فقام قبل مردود عام ٥٠٧ هـ أقطع نسلطان هذه المدينة للأمير جيوش بك وسير

(١) السعدي مروج الذهب ٣ - ٨٣، ٢٨٤، الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٣ - ٣٠٤، ٣٩٩، ٥٦٠، ٣ - ٢، ٧٦٤، ٧٨٣، ٧٩٣، العمري، تعريفاً بالمصطلح الشريف من

١٨٥ و سطر بطر حسان سعادتي نظام انيريد في الدولة الإسلامية من ٥٧ - ٦٣

(٢) الباهر من ١٧، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٦٨

(٣) الكامل ١٠ - ١٧١

معه ولده الملك مسعود^(١) وعندما قام حيوش بك ثوره ضد السلطان عام ٥١٤ هـ، عثره هده وأقطع البرسنقي في انعام بدالي ما كان تحت يد سيه من البلاد^(٢) وبم قبل البرسنقي عام ٥٢١ هـ قام بالموصل بعده ابنه عمر الدين مسعود (وأرسل إلى السلطان يطلب منه أن يفرر البلاد عنه، فأجاب إلى ذلك وأمره على ما كان لأبيه من الاعمال)^(٣) عندما توفي عمر الدين مسعود عام ٥٢١ هـ ولي بعده اخوه الأصغر وقام بتدبير دولته حاولي (أحد أمره الموصل) الذي أرسل إلى السلطان يطلب أن يفرر البلاد عليهما، وبذل من أجل ذلك أمراً كبيراً^(٤)

وهكذا بعد أن إقطاع الموصل وأطرافه في هذه الفترة عدا شه وراثي، بد كتاب ولاية اسقطع نقل إلى به أو أخيه بمجرد موافقة السلطان، بد أن هؤلاء المقطعين كانوا موزعين بدسسلطان السلجوقي مباشرة، وكانوا (كولاء) يحطون باسمه ويحضرون لأوامره، سواء بالتوجه بقتال لأعداء في المناطق المحيطة بإمارتهم، أم بمساعدة نوابه (شجر) ضد شري بقتل في العراق^(٥) هده إلى أنهم لم يكونوا يتمتعون بدستقلال كامل داخل إمارتهم، وكان السلطان كما أحسن ملاً من أحدهم بلا نصار عه أصدر أمره بتول أمير آخر يوجهه على رأس جيش كبير لبرع الموصل وأعدائهم من انوابي السابق بالقوة^(٦)، وبذلك كان حكام الموصل في هذه الفترة (٥٠٢ - ٥٢١ هـ أقرب إلى (الولاء) مهم إلى (المقطعين)، وبم نشر انصاف إلى الاتومات المالية بين هؤلاء الولاة والسلطان

(١) الباهر ص ١٩، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٦٩

(٢) الكامل ١ - ٢٢٤، الباهر ص ٢٤، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين، ١ - ٢٣

(٣) الكامل ١٠ - ٢٤٢، الباهر ص ٣٢، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٧٥

(٤) الكامل ١ - ٢٤٥، الباهر ص ٣٢، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٧٥

(٥) ابن الجوزي، المستظلم ٩ - ٢٣١، الكامل ١٠ - ١٥٨، ٨٩، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٢، الباهر ص ٢٤

(٦) دبر تاريخ دمشق ص ١٦٠، الكامل ١٠ - ١٥٨، ١٥٩، ١٧١، ١٧٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٤

الباهر ص ٢٢ - ٢٤، ٦٥، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٧٢، ٧٣، ٩٢، ٩٣

وكان لواءى، بدوره، يقوم بقطع أمته ومقرسه، من سمر من الإقطاعيات، داخل إمارته^(١)، وكان رنكي في هذه الفترة ضمن أولئك المقطعين، وأحدث إقطاعاته تسع بأندريج، تحت أوشت لولاه له وتقديرهم لوالده^(٢) وعذب مدينة (تل أهر) القريب من الموصل إحدى إقطاعاته في هذه الفترة^(٣) وكان رنكي كمقطع مرتبط من ناحية اسباسة والعكره بأوشت لولاه، فعند انحه عرسفي وبي بموصل (٥١٥ - ٥٢٠ هـ) إلى بغداد عام ٥١٦ هـ بقضاء على ابنه اسى أثرها دبس من صدر أمير الجند في العراق، سار معه رنكي واشترك في حروبه، وبعد أن عين لولي أمدكور شاحه للعراق عام ٥١٦ هـ، أقطع رنكي مدينة واسط مدع عنها صد بي مريد^(٤)، ولما عرس اسرفي من مصره ذلك عام ٥١٨ هـ وأبعد إلى الموصل، طلب من رنكي، بناء على إرضائه به، أن يعاد مفره ليحقق به، فجمع الأخير أصحابه بسشيره، وبني الحور لذي دار بينهم ينصح مدى ارتباط رنكي بمطعيه، وتطعمه لتخلص من هذا الارتباط، إذ كان لأصحابه (قد ضجروا مما نحن فيه، كل يوم قد يملك البلاد أمير ويؤمر بالصرف على احتجاره وإرادته، ثم تارة - نحن - نلحق ودارة بالموصل ودارة بالخريرة ودارة بالشام، هم تشيرون أن أصبح؟) فأشار عليه أصحابه بالتوجه إلى بلاط السعدي السلجوقي في أصغها^(٥)، فوافى على ذلك واتجه إلى هناك حيث

(١) أبهر ص ٦ ، ١٦ ، ٢٤ - ٢٦ ، ونقل عنه أبو شامة، ترويض ٦٧ - ١ - ٦٨ ، ١ - ٧٣ - ٧٤

(٢) المصادر السابقان، من المصحات

(٣) الفارقي، مبادئ مخطوطة، ورقة ١٠٠ - ١٠١ ب، ولم نجد بمصادر إقطاع رنكي الأخرى

(٤) انظر الفصل الأول (نسب رنكي ونشأته السياسية)

(٥) الكامل ١٠ - ٢٣٧ (بمختصر)، أبهر ص ٢٧ وعن عنه أبو شامة، الترويض ١ - ٧٤

وابن واصل، مخرج الكروب ١ - ٢٠

أكبره السطون وأقطعته المصرة وأعدته لها للقدم بصلد محمات الأعراب، كما طلب منه مراعاة أحوال واسط واندفع عنها^(١)

وهكذا عهد ريكسي مرتبطاً كمنصيح بالسطون منسمة، وصارت بينهما الترمات سياسية وحربية، وعندما حاصر السطون محمود بغداد عام (٥١٩ هـ - ٥٢٠ هـ) طلب منه مساعدته فمعب ريكسي دوراً أساسياً في إنهاء القتال^(٢) مما أهله لتولي منصب شحيكية العرق (رئاسة ربي ما بيده من الإقطاع)^(٣) وسم تشر المصادر إلى الترمات ريكسي تحده السطون طينه هذه صرة، فيما عدا الالتزامات الحربية والسياسية

وفي عام ٥٢١ هـ اتفق ريكسي مع الوفا الذي قدم من الموصل لمطالبة السطون بإقرار اس برسمي هناك^(٤)، على قيام أعضاء الوفا بمطالبة السطون بتوحيته بدلاً من الأمير المذكور، فوافق السطون على ذلك بعد أن قدم إليه مبعث من المان، ووسى ريكسي (ببلاد حميعه) وكتب مشوره إلى بغداد^(٥)، وقد أيد الحلقة هذا الإجراء^(٦)

تخدمت امراحم عدة (الفاظ) لشر ربي عملة إقطاع السطون الموصل وأعماله لريكسي، مه (تولية)^(٧) و(تمويص)^(٨) و(رئيس)^(٩)

(١) انظر الفصل الأول (نسب ريكسي وشأته السياسية)

(٢) انظر الفصل الأول

(٣) الكامل ١٠ - ٢٤٤، الباهر ص ٣١

(٤) انظر الفصل الأول

(٥) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٣٥، ونقل عنه أبو شامة، الروصير ١ - ٧٦

(٦) ابن خلكان، وفيات ٢ - ٧٩

(٧) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٣٥، ونقل عنه أبو شامة، الروصير ١ - ٧٦، ابن

خلكان، وفيات ٢ - ٧٩

(٨) ابن الجوري، المنتظم ١٠ - ٥

(٩) الناقري، حياض ربي، مخطوطة، ورقه ١٠٨ أ - ١٠٨ ب

و(بمليث)^(١)، وهي لا توصلح به عنه إلا أنه مات اثني عشر سنة استوطن على رنكي مقبل إقطاعه هذه المناطق، فبما عدا اشتراطه عنه الدفاع عن البلاد ضد الصليبيين، وتلبية ولديه بكون أبائكم لهما يحكم بهما^(٢) فإن المصدر ثم بشر بعد إذا أنحقت ديت من مرات مائة موبة، كما أن بطور الأحداث في المستمل لم بشر إلى شيء من ديت بعد عدة مرتين، أولاً عام ٥٢٢ هـ حينما حاول السلطان محمود عزل رنكي عن الموصل ونوستره لندس من صدقة، فقام رنكي بتصميم مئة ألف دينار مع هدايا صحبه بالسلطان كي يعبه في منصبه، فوافق هذا على ديت^(٣) وثديتهم عام ٥٣٨ هـ حينما حاول السلطان مسعود عزو المرسل بسب موقف رنكي العدائي معه، فأفاده هذا بالعدول عن ذلك مقابل تقديم مبلغ قدره مئة ألف دينار، دفع منه عشرين ألفاً مواد عسبه، ثم صطر السلطان إلى انتشاره عن انقسم المشقي استمانية به ضد أمره لأطراف ندين حرجو عنه^(٤)، مما يسر إلى عدم وجود التزامات مالية بين الطرفين في الأوقات الاعتيادية، سوى عتمة رنكي على نفسه في تجهيز قوته لقتال الصليبيين دون مساعده السلطان، بينما كان على السلطان قبل توبه رنكي بمداد ولاته على الموصل بالأموال ومعاكر^(٥)، لهذا انعرض، ويجب أن يلاحظ أن شتراط السلطان على رنكي (فتح ابرها) مقابل عدم عزو الموصل، لم يكن سوى محاولة لتأكيد التزامات رنكي الحربية تجاهه.

(١) ريلة الحب ٢ - ٢٤٣

(٢) انظر ما يلي من هذا الفصل

(٣) مسظم ١٠ - ١ - الكامر ١٠ - ٢٤٩ مخرج الكروب ١ - ٤٤، وانظر الفصل الثاني

(٤) علاء الدين رنكي بالخلافة والسلطنة

(٥) ساهر من ٦٥ - ٦٦، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٩٢ - ٩٣، وابن راسل مخرج

الكروب ١ - ٩١ - ٩١

(٥) ابر ص ٦٥، ونقل عنه أبو شامة، الروضتين ١ - ٩٣

وبعد أن استولى ريكي على حلب عام ٥٢٢ هـ، أدد أن يعزز ذلك بموقفه لسلطان ترسيميه، فذهب في العام التالي إلى عاصمة السلطان (قوطي) بسطه وعدد بالتواضع السلطانية بملك العرب كله^(١)، وسانك (استقر ريكي ملك الموصل والجويو والرحمة وحلب، ولتوقع له بجمع البلاد الثمة وغيرها)^(٢)

ومن استعراض علاقة ريكي، بعد توبيخه الموصل، بالسلطان السلجوقي^(٣)، يصبح أنه كان يمنع باستقلال وسع، وان لالرايم الإقطاعية التي كانت تربطه بالسلطان، وهي التبعية الأساسية والحرس، كانت محدودة الأثر، ثم انحوت إلى موقف عدائي وقفه ضد السلطان، وقد أوضح ابن الأثير ذلك بقوله (كان ريكي يدع أصحاب الأطراف يخرج على السلطان، فإذا فعلوا عاد السلطان محتاجاً إلى ريكي وطلب منه أن يجمعهم على طاعته، فيصير كالحاكم على الجميع، وكسهم يديره ويخصم له، ويطلب منه أن يستر المواعد على يده)^(٤) (وكان - السلطان - كتب أعتق عنه فو بسبه إلى ريكي وكن طه صادقاً فون ريكي كان يفعل ذلك لئلا يحدو وجه السلطان من شاعر، لتتمكن هو من فتح البلاد واسكن في السك)^(٥)

أدرك ريكي ضرورة توزيع لإقطاعات على أمراءه وحده، نظراً لطبيعته الظروف الحربية وسياسية التي حدهتها إمارته، حيث نشرت مجموعته من الإمارات المتحدة متنافسة في آخريرة الشام وحبس وشوقي الموصل.

(١) ريلة الحب ٢ - ٢٤٣

(٢) المصدر السابق ٢ - ٢٤٤

(٣) انظر الفصل الثاني (علاقات ريكي بالخلافة والسلطنة)

(٤) الياهر من ٨١

(٥) المصدر السابق من ٦٥

فصلاً عن إماتات الصليبيين، فكان ذلك بحتم اتساع الأسباب التي تضييق له تشكيل قوة عسكرية ممكنة، يخصص أفرادها لأميرهم ومصنعه إمارتهم، بناء على وجود مصالح مشتركة، وليس ثمة هي تلك الفترة ما هو أحسن من الأسلوب الإقطاعي لضمان تكوين السجدي المخصص والجيش القوي المعظم

نذكر أن أول عمل قام به رنكي عند دخوله الموصل عام ٥٢١ هـ هو (تقرير قواعد السجون وإقطاع العسكر)^(١)، كما جعل من مهاجرة قل الصطدام مع نصيبين، لاستيلاء (على ما بقي من بلاد شامية والجزيرة وإصلاح شأنها وإعراغ من إقطاع بلادها لجند يحبرهم ويعرف بصحهم وشجاعتهم)^(٢)، وفي سبيل تحقيق ذلك عهد هدنة مؤقتة مع صليبي أرمها^(٣)

ثم سكن معظم مدن الموصل وحريره وشماله شام حاصعة برنكي، عند نوب هذه المناطق رسمياً من قل السلطان السجوقي، بدأ عدت معظم عمديات التوزيع الإقطاعي موزعة إلى حد كبير على فتوحاته ومرتبة رسمياً مع أوقاف هذه الفتوحات، فكان كلما أسولى على بلد (رتب أموره وأقطع أعماله الأحاد و، لأمره)^(٤)، وفصلاً عن قيام المقطع بالدفع عن المنطقة، وإمداد جيوش رنكي بمقرب من عنده في حالات اتصال^(٥)، فقد استخدم الأخير لإقطاع لأعراض أخرى أهمها تعرض لإدري، وهو أيام المقطع بمدايرة أمور ولايته كوال من قل رنكي على تلك المنطقة^(٦)، أو لإبعاد

(١) المصدر السابق ص ٣٦

(٢) المصدر السابق ص ٣٧

(٣) الكامل ١٠ - ٢٤٧، الباهر ص ٣٧، معراج الكروب ١ - ٣٦

(٤) الكامل ١٠ - ٢٤٨

(٥) الباهر ص ٨، ونقل عنه بومدة، بروصين ١ - ١١ - ١٢، واسي وصر معراج

الكروب ١ - ١٠٣

(٦) انظر جدول المنطعين فيما يلي

الشخص الذي يرك في وجوده خطرٌ بإقطاعه منطقة معينة^(١)، أو لإكرام بعض أمرته اسمقربين اعترافاً بفضلهم^(٢)، أو لإعزاز بعض أعدائه بتسليم حصونهم مقابل إقطاعهم بعض المناطق^(٣)، كما أنه تناول عن بعض الحصون التي فتحها في دير بكر بحمام لدين بمرطش أمر بني أرتق، وذلك لأعراض مائة ستهدف بقوة خبثه مع حمام بدين ضد أعدائه في المنطقة^(٤).

ونقدم بمصدر عدداً ضئيلاً من أسماء منطقي رنكي من الأمراء، نكتفي بالقول بأنه (أقطع فلاناً الحصن لفلاني، و لمديته انقلابية) دون إشارة إلى ظروف ذلك أو شروطه، ودون تحديد مكاني لكن مقطعه، وبما يلي أسماء الأمراء والقبائل الذين أقطعهم رنكي بعض المدن والحصون

لأمر حاولي الذي كان وصياً على ابن عمر البدين مسعود، والي الموصل، المتوفى عام ٥٢١ هـ، أقطع ابرحة بخلصاً من خطره^(٥)

بهاء البدين بن القاسم الشهير وري، فقصي قصده الموصل وبه رنكي (أملأه وإقطاعاً)^(٦) لم تحددها المصادر

أبو بكر البيكجي، أحد كبار أمراء رنكي، أقطع بصيين^(٧) وتم تحدد المصادر تاريخ ذلك

(١) ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٣٥

(٢) الباهر ص ١٦، نقل عنه أبو شامة، التوحش ١ ٦٧ - ٦٨، وعن ابن أبي عمير، ١٠ - ٨٦ - ٨٧، ١ - ٥٣٨

(٣) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠، الكامل ١١ - ٢٠، الباهر ص ٧٤ ريدة الحب ٢ - ٢٧٣

(٤) الباهر، ميزان غير مخطوطة، ورقه ١٢ ب - ١٢٢ أ، ريدة الحب ٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

(٥) الكامل ١٠ - ٢٤٦، الباهر ص ٣٥، نقل عنه أبو شامة، التوحش ١ - ٧٦

(٦) الكامل ١١ - ٢٤٦

(٧) الباهر ص ٧٩

سنة نكس الكوحي، أقطع حرب عام ٥٢٢ هـ أو ٥٢٣ هـ، وفي عام ٥٢٧ هـ أعلى نصيباً، وقد استطاع رنكي إقصاء عليه عام ٥٣٣ هـ وعين بواب هبال^(١)

صلاح الدين السعدي (أمير حارب)، أقطع حماد عام ٥٢٣ هـ^(٢)
و حصن الحربة عام ٥٣١ هـ^(٣) وكبر طاب عام ٥٣٢ هـ^(٤)

رين الدين علي كحك من ككتكين، حد ك. قواد رنكي، أقطع إربل عام ٥٢٦ هـ^(٥) وعقر الحميدية وأعمالها عام ٥٢٨ هـ^(٦) وشهرور^(٧) (٥)

شهاب الدين أميرك الجادار، أقطع لرفة عام ٥٢٩ هـ^(٨)

محم الدين أبوب وسد الدين شيركوه (أقطعهما رنكي في بلد شهرور
إقصاء سناً، وقتل به أقطع أسد الدين بالمؤر)^(٩)، وذلك بعد التجائهما
إليه في آخر عام ٥٣٢ هـ^(١٠)

(١) بن شداد، لأعلاى، قسم الجريه، مخطوطه ١٧ - ١٨، مخرج الكروب ٨٤ -

(٢) ديل تاريخ دمشق ص ٢٥٨، ابن مقصد، الاعتبار ص ٩٧ - ٩٨

(٣) ابن مقصد، الاعتبار ص ٧٨

(٤) المصدر السابق ص ٤٥

(٥) مخرج الكروب ١، ٩٧، ١٠١، ١٥٤

(٦) الباهر ص ١٣٥

(٧) المصدر السابق ص ٨ - ١٠٩، ١٣٥، مخرج الكروب ١ - ١٥٤ ويذكر الصارفي أن

شهرور كاتب إقطاعي سيف الدين عاري بن رنكي (مبارزين، مخطوطه ورد ١٢٧ أ -

١٢٨ ب)، وبواقفه في ذلك بن حنكان، ويصير بان السندان مسعود) هو مصدر هذا

الإقطاع (ويام ٣ - ١٧٦) وهذه برواية لا نسجم وما جئت عليه المصادر من سيلا،

رنكي على شهرور

(٨) ابن سباد، لأعلاى قسم الجريه، مخطوطه، رقه ٢٤ - ٢٤ ب

(٩) أبو شامة، الروضتين ١ - ٥٣٨

(١٠) ابن حنكان، ويات ٦ - ١٤٢ - ١٤٤

عمر اسير الدسوقي، من كبار مرء رنكي، كانت ذقوة (من حمة بصدعه)^(١)
 ناصر الدين كوري من حكمش (والي الموصل ٤٩٥ - ٥١١ هـ) أقطع
 رنكي بصدع كثيراً، عتراًفاً بفصل والده^(٢)، ولم تحدد المصادر هذا الإقطاع
 وهباتك وأبان ثم يقطع مدينه بأكملها، بل أجرء منها. وهذا
 لأمير سوار بن بيتكين شتركامي، وسي حلب عام ٥٢٤ هـ (وأجرى عبد
 رنكي لإقطاعات الكثيرة، واعتمد عليه في حال نمرج)^(٣)، ولم تحدد
 المصادر هذه الإقطاعات، والرجح أنها كانت قريبة من حلب
 ومجم الدين أيوب الذي ولاه رنكي بعلبك عام ٥٣٤ هـ، بعد أن أقطع
 نفسه، وقبل مصعها^(٤)

وكان رنكي يملك بعض الإقطاعات، خارج حدود إمارته، حصل عليها
 في ظروف استثنائية، كملك أبي وهبه الحليفه المقتضي بها، من أملاي
 الحاصه بي بغداد، رعية في استماتته^(٥) وقد متحدثاً عن ذلك (هذه قاعدة
 لم يسمح بها لأحد من رعماء الأطراف، وهي أن يكون له في العراق
 إقطاع)^(٦) ومن ثم اعتبر هذا النوع من الإقطاع شاداً

هذه هي الأسماء التي قدمها المصدر عن منطعي رنكي من كبار
 الأمرء والمود، ولراحح أن عدداً كماً من المقطعين لم يشر إليهم
 المصدر، بل إعتلاً منها، أو بعدم أهميه الأمكن التي أقطعت لهم من
 اسواحي عسكرية والحجراحة، وربما لقلة اشتهار المقطعين أنفسهم

(١) الكامل ١١ - ٤٥

(٢) الباهر ص ١٦، ومن عند أبو شامة، الروضتين ١ - ٦٧ - ٦٨

(٣) ردة الحلب ٢ - ٢٤٥

(٤) أبو شامة، الروضتين ١ - ٨٦ - ٨٧

(٥) انظر الفصل الثاني (علامات رنكي بالحلاية والسطة)

(٦) الكامل ١١ - ١٨ - ١٩، الباهر ص ٥٤

وفد ورعت الإقطاعات على السجد فضلاً عن الأمر، وتشير المصوص الواردة في ذلك إلى أن ريكى كان يقوم بنفسه أحياناً (بشقيير فوعد الحد، وقطاعهم)، مما يشير إلى أن توزيع الإقطاعات على هؤلاء كان يتم أحياناً تحت إشراف ريكى المباشر، دون تدخل كبار الأمراء المقتطعين، ومن المرحح فيما عدا ذلك، أن كبار هؤلاء الأمراء كانوا يقومون بدورهم بتوزيع الإقطاعات على جندهم، ويظهر أن كلاً من السجد والأمراء والمقتطعين لم يكونوا يقومون بأنفسهم باستعلاء أراضيهم، بل يرسلون بعض الملاحين الأصديير، على أن يدفعوا مقابل ذلك حربيه سنوية^(٢١) وهذا عدد من المصوص يؤكد ذلك، منها ما ورد في العديد من عدم السماح ريكى لحداء بالاعضاء على مرزوعات الملاحين خلال تحركاتهم، وأن لا يأخذوا (حربيه من لئس إلا ثمنها، أو تأمر بحريير من ديوان الحد إلى رئيس الموية^(٢٢)، مما يرجح القول بأن ملكية الأراضي كانت للملاحين مباشرة، أو لدوي الممتلكات الصغيرة، ومنها ما ورد في ريكى عام ٥٢٩ هـ عندما استولى على معرة سيمان، حيث أعدد إلى أهاليها أملاكهم في كان الصليبيون قد استولوا عليها أثناء استيلائهم على المعرة، بالرغم من أن مذهب الحنفي بقضي بعودة الأملاك إلى الحكومه بعد اسرجاعها من بكهار^(٢٣)

وبورد أن الأثر في الأمر الإجراء الذي سجد ريكى بشأن أمراء المقتطعين، إذ نهى هؤلاء (من أمراء الأملاك) معداً ذلك بقوله (ما دامت البلاد في أي حاجة بكم إلى الأملاك؟ فإن الإقطاعات تعني عنها، وإن خرجت البلاد عن أيدي في الأملاك يذهب معها، ومتى صارت الأملاك لأصحاب اسلطان ظلموا اربعه، وتعدوا عليهم، وعصوهم أملاكهم)^(٢٤)،

(١) الأبرص ٣٥ - ٣٦ - ٣٧

(٢) الأبرص ٧٩، ريد الحط ٢ - ٢٨٠

(٣) ريد الحط ٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤

(٤) الكامل ١١ - ٢٢، مخرج الكروب ١ - ٧٤

(٥) ص ٧٧

وهذا ليس بؤكده بوصف عدم وجود ملكية مباشرة بالأرض من قبل المقطعين بل كانت هذه الملكية بيد الملاحين^(١) ولأهالي^(٢)، مقبل دفع صربيته سنوية للحكومة والمقطعين^(٣) وقد كان لهذا الإجراء الذي تحمله رنكي منع المقطعين من (امتلاك) نتائج إيجابية ولا شك، إذ أن إقصاء الأملاك من قبل هؤلاء يؤدي إلى أضرار عديدة قد تلحق بالأهالي وبمصلحة الإمارة على حد سواء، أولها ما يجر إليه المقطعين من ظلم لدوعية واعتداء عليهم وخصاص لأملاتهم، ذلك أن الأمير في حاله كهده سيسخدم ما يمتلكه من مورد ويملكه للصحة على أصحاب الملك بيمينه ملكهم بأمر شمس، وربما دفعهم إلى إرسال عنه بالقوة وقد أدرك ابن الأثير مدى عدالة رنكي في هذه الخطوة فعلى عليها وثلاً (وما أحسن هذا الحل - أي حل رنكي - وأحسن هذا النظر برعايا، وأكثر هذه نشقة عليهم، وأرحمه بهم، لا خلاف، في أن عهده أسلاف من ثمرات العدل، وكف الأيدي المتظفوة بي أهلها)^(٤) وفصلاً عن ذلك، فإن من نتائج إقصاء المقطعين للأملاك، تجمع الثروة بأيدي طغمة محدودة من الأمراء، وحتمية هذه انطقة بموارد ترقق، سيما بقى كثرية يسكن في قصر مدفع، هذا إلى أن إقصاء الأمراء للأملاك والعباية بها قد يؤدي بهم إلى عدم توجيه جهودهم بكن ما يتعلق بالجدد والدفاع، وهي الأمور التي أقطعوها الأراضي والأعمال من أجلها

ويستدل من بعض الروايات أنهم بكن يشترط في المقطع انبقاء في إقطاعه خاصة إذا كان من أصحاب الوظائف لعالب سي تمضي ملازمه لرنكي، وكان المقطع في هذه الحالة يبيت عنه من يقوم بإدارة إقطاعه، كما حدث بالنسبة لجمال الدين محمد بن أيوب البغسياني، مير صاحب

(١) ريلة الحب ٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤، الباهر ص ٧٩

(٢) الكامل ١١ - ٢٢، مرجع الكروب ١ - ٧٤ - ٧٥، ريلة الحب ٢ - ٢٥٩

(٣) الباهر ص ٧٩، ريلة الحب ٢ - ٢٨٠

(٤) الباهر ص ٧٧

رمكي، الذي أقطع عدة مدن، فأرب في كل منها من يعتمد عنه في إدارة شؤونها، كحماة التي أرب فيها ابنه شهاب الدين أحمد^(١)، وحصن الحرب الذي أرب فيه عيسى الحاجب^(٢)، وكذلك بالنسبة لبرين الدين عني كحك ابن بككيس قائد رمكي في الموصل، الذي أقطع إربل وعفر الحميد وأعمالها، ومن المرجح أنه أرب عنه فيهما من يدير شؤونهما، بدليل عدم معادته الموصل إلى قطعه في إربل إلا عام ٥٦٣ هـ^(٣)

وكان ديوان الجيش يقوم بإدارة شؤون الإقطاع وحل المشاكل التي تنجم عنها، بدليل نص الذي ورد من تعديل عن عدم السماح لجد رمكي بأحد شيء من مسجوب الملاحين، حتى لو كان حصة من الين، إلا بشيء أو بأمر تحريري من ديوان جد إلى رئيس انقرة^(٤)، ولم تحدد المصادر لطريقه التي كان ديوان الجيش يشرف بموجبها على الإقطاعات، وكيفية جنابه الضرب هذا إلى أن كثير من مشاكل الإقطاع وتنظيماته في عهد رمكي، أعطت من قبل المؤرخين، ومن ثم بقيت هذه الجوانب دون حل وخاصة فيما يتعلق بالمقادير التي كان الإقطاعي يستحصلها من الضرائب، وصحة علاقته بالأمراء وجمد المقطوع من جهة، وبين الأمراء والملاحين من جهة أخرى، ومدى أحقية المركز في الإشراف على شؤون الإقطاع، وأحقية المقطوع في مع إقطاعه أو التدرج عنه لآخر أو تبادل معه

ومشبه الروايات إلى أن نور الدين محمود بن رمكي أدخل نظام التوريث في الإقطاع، إذ كان (من آرائه السخنة ما كان يعتمد في أمر أحاده من كان إذا توفي أحدهم، وحلف ولدًا ذكرًا، أقر لإقطاع عليه فكان الأجاء

(١) دين تاريخ دمشق ص ٢٥٨، ابن مقصد الاعتبار ص ٩٧ - ٩٨

(٢) ابن مقصد، الاعتبار ص ٧٨

(٣) الكامل ١١ - ١٣٤، الباهر ص ١٤٥

(٤) ردة الحبيب ٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤، ونظر المبروري، خطط ٢ - ٢١٩

بقوون هذه أملاكنا يرثها ابونا عن والده، فمن مغانر عسيها، وكان ذلك من أعظم الأسباب عصير الجندي في الحروب بين يديه^(١) ومن المرحح أن رنكي سبق إليه في إدخال هذا النظام، إذ هناك سابقه من عهده تشير إلى هذا الاتجاه الجديد في نظام الإقطاع، وذلك عندما قام سقل مدثمة من اشركمار مع أميرهم الباروق الس الثم وأمسكهم بولاية حلب، وأمرهم بجهاد «فروج» وملكهم كر ما استنفدوه من اسلاد التي بلعرج وجعله ملكا لهم، فكانوا يعادون لفروج باعتان وبراء حوبهم وأحدوا كثيراً من السواد^(٢) ومدوا ذلك لشعر اعظم، ومن يزل جمع ما فتحوه في يديهم إلى نحو سنة ٦١٠ هـ^(٣)، وقد أدى ذلك أيضاً، إلى قيام عمائر كثيرة بظاهر حلب، على ضفة نهر قويق، غرب بالرونة، وهي مشهورة هناك^(٤) ولا ريب في أن رنكي أدرك، كما أدرك وبنه من بعده، مدى الناح الإيجابية التي يمكن أن يؤدي إليها نظام التوريث هذا وأمسها إحصاء جده له، واسمائهم في المصاء على ما يهتد إمارته من أخطار، لما في ذلك من مصلحة لهم ولأولادهم، الذين سيثون إقطاعهم، من بعدهم

٢. الأتابكية:

عرف رنكي بنقب (الأسك)^(٥) مددعه حاكماً على الموصل عام ٥٢١ هـ واشتهر لإمارته التي أسماها باسم (أسكة الموصل)، والالاة التي

(١) مخرج الكروب ١ - ٢٨٠

(٢) المنظرة الزراعية المحيطة بحلب

(٣) ابن جرير ص ١٨٠ نقل عنه أبو مائة، بروصين ١ - ١١٢، وابن واصل، مخرج

الكروب ١ - ١٠٣

(٤) أبو الفداء المختصر ٥ - ٦٦

(٥) تأنف كسبه (أنات) من تعطير تركيين هما (أ) بمعنى أب و (ب) بمعنى أمير (أي الأمير السواد) (بن خنكاز وقيام ١ - ٣١٦) وأول من لقب بذلك هو نظام بخت ووبر عكشه، حين فوجر إليه هذا المدير سممته عام ٤٦٥ هـ وتلقب بأتاب منها (أنات)، وربما

أعفته في الحكم باسم الأتابكة ، وقد سأت تسميه رنكي بهذا القالب في شعبان عام ٥٢١ هـ عندما ولّاه السلطان محمود الموصل وسلمه ولديه أب أرسلان، وفروخ شاه (المعروف بالحدادي)، وجعله تاتكاً لهما^(١)

وقد ترتب على (أتاكيه رنكي) نتائج عديدة، فقد كان عليه من الناحية الرسمية، أن يحكم باسم أب أرسلان، أكبر الأميرين، وأن يحطب به، وبذلك أظهر لخدماء والسلاطين وأصحاب الأطراف أن البلاد التي يحكمها (ربما هي للملك أب أرسلان) وأنه نائب عنها (فكان إذا أرسل رسولا أو أجاب على رسالة فبما يقول قال الملك كذا وكذا)^(٢) وكان هذا الإجراء من قبل رنكي لا يعدو أن يكون شكلياً، إذ أن السلطة الفعلية كانت متركزة في يده، ولم يكن لأحد من بني السلطان محمود أية سلطة عملية، بل كما شبه بالحدادين، إذ فرق رنكي بينهما فجعل أحدهما في أحد معانٍ سخراء، والآخر تحت إشراف زوجته في الموصل^(٣) وربما استهدف من الحطبة لأب أرسلان، إلقاء الصفة الرسمية (الشرعية) على سياست وأعماله مستعلاً اسم الملك السلجوقي

= مصدقه أبو الأمير، أي أكبر الأمراء بدمية (وليس بالأتابك) وظيفه ترجع إلى حكم دائم وبني وعينه رفعة المخلوق وعلو المقام، وكان لأتابك يكلف من قبل سلطان الحاكم بالتوصية على واحد أو أكثر من سائر الذين هم يعرفون برصد (المهشيني صبيح لأغش

Gibb. Demauee Chronicle, pp. 23-24 E. I. Z. S. V. Atabak, (by d. cahan) ٨٠٤

(١) ابن خلكان، دعيات ١، ٣٦٥، ٣٦٠، ٢٠٧٩، ٨٠ ويشير بيداري، إلى أن الحدادي لم يسلم إلى رنكي من قبل سلطان محمود، وإنما كان معيف لدى الأمير بييس بن صدق الميرسي، فأسرعه منه في إحدى المحروب (السلجوقي ١٠٨٧)، وأنهم هربوا كلا الأمرين غداً تحت إشراف رنكي ويشير ابن العباد إلى الحدادي فقط (شهراب ٤، ١٦٢٨)، أما ابن واصل (١٠، ٢٢٣) فيحذف بالمرح بين أب أرسلان والحدادي بقوله إن رنكي ستم أسب أرسلان المحروب بالحدادي والفرق بينهما من العسل

(٢) الياهر ص ٧١

(٣) البنداري، آل سلجوقي ص ١٨٧

كما عهد رنكي على استعلاء وجود هدين الملكيو السلجوقيين ، فقام بمحاولات ثلاث (٥٢٥ - ٥٢٩ هـ) لتصيب ألب أرسلان على عرش سلاجقة العراق بالاتفاق مع الحليفة العباسي ضد لسطون السلجوقي في أصبهان وقد سهدف من وراء ذلك جعل السلطة الفعلية لسلاجقة العراق بيده ، باسم لسطون لشرعي المنصب ، لكن هذه المحاولات انتهت جميعاً بالفشل^(١)

إلا أن أهم ما ترتب على تذبذبة رنكي هي تلك المؤامرة التي قام بها الملك الجعاجي عام ٥٣٩ هـ أثناء عذاب رنكي عن الموصل^(٢) ، إذ اتفق الجعاجي وأنصاره على اعتقال نصير هدين جمر نائب رنكي في الموصل ومن ثم استطره على المدينة وإعلان العصيان ضد رنكي ، وفي صباح ثامن (أو التاسع) من ذي القعدة عام ٥٣٩ هـ ركب حقر في موكنه ، كعادته ، وحترق شوارع مدينته متجهاً إلى الدار التي يقيم فيها لملك الجعاجي لتسليم عليه ، وهناك في الدهليز بمقصي إلى انحصار هاجمه المأمرون وحرموه بالسيف والسكاكين فمروا جسده^(٣) ، وبادوا بشعار الملك الجعاجي ، فاضطربت المدينة وعمها عوصى ، وحاف الأهالي عاقبة الأمور من عصاة رنكي وعقابه^(٤) ولكن أنصار الملك لم يأبهوا لذلك ، مما اضطر عدد من الحراس بالأهالي إلى قتلهم^(٥) ، وصدع انصافي نوح الدين

(١) انظر الفصل الثاني

(٢) ابن أبي السجوق ص ٨٧ ، ويحمد ابن الأثير بين الجعاجي وأخيه ألب أرسلان يشير إلى أن كل المؤامرة من الملك ألب أرسلان بمروم بالجعاجي (الكامل ١١ ، الباهر ص ٧١) ، ويصحح أبو شامة ذلك بقوله (وهم لم لاثير هي نوح الجعاجي غير ألب أرسلان على ما ذكره البغدادي (مروصير ١ - ١١٥) رأي بيداري هو يؤكد لأن الجعاجي هو الذي كان مقيماً في الموصل (السجوق ص ١٨٧)

(٣) الكامل ١ - ٤ ، الباهر ص ٧ - ٧٢ ، السندري - مسجوق ص ٨٧ - ١٨٨ ، بن خلكان ، وفيات ، ١ - ٢١٦ ، معراج الكروب ١ - ٩٥

(٤) البغدادي - السجوق ص ١٨٧ - ١٨٨

(٥) الكامل ١ - ٤١ - ٤٢ ، الباهر ص ٧٢ ، ويقل عنه أبو شامة - مروصير ١ - ١٠٤ ، وابن واصل ١ - ٩٥ - ٩٦

بحبي شهروري، أحد جال رنكي، أب بحدع الميث بحدجي، بأن أظهر أنه معه، وطلب منه توجه إلى القلعة واتحادها مقرر^(١) به، لكي يقوم من هناك بتجميع الأمور والسلاح، ولحد كي يسهل عنه سيطرة التامة على البلاد (إدريس دون الموصل مانع)، فوقع الميث على ذلك واتجه هو وأبصاره مع الفصلي إلى نصعة، وعندما دخلوها فصل عنهم خلد رنكي^(٢)، وبعد أيام قليلة قتل بحدجي^(٣) وأبصاره داخل القلعة^(٤)

وهكذا أحبطت هذه المحاولة التي كذب أن تطيح بحكم رنكي، وقد ساعدت على القيام بها عوامل عديدة، منها أن رنكي كان بعيداً عن الموصل مشغولاً بحصار قلعة أسيرة بصلته، ومنها أن نصير بدين جعفر، نائبه في الموصل، كان ضاماً^(٥)، وكنت علاقته بملك الحفاحي غير ودية إذ كان كثيراً ما يعارضه في آرائه ووجهته^(٦) ونظمت المشيكة عديتها عندما راح (حقر) يسطر لسانه في الحفاحي ويتهدهده، بعد أن أحد يحسن بطموح هذا الميث وسعيه لمرض كتمته في الموصل، كما كان شجاع أيضاً الحفاحي له على المصفي في الطريق عاملاً هاماً على القيام بالمهمة^(٧)، هذا فضلاً عن مساوره اشكوك بلحفاحي ومخوفه من تهديدات حقر المستمرة مما دفعه إلى الاجتماع بأبصاره والقيام معهم برسم خطة الاغتيال^(٨)

(١) البهارات المستعملة في تصحيح البداري، السجوق ص ١٨٧ - ٨٨

(٢) البداري، السجوق ص ١٨٨

(٣) الباهر ص ٧٣، ونقل عنه أبو غانم، الروضتين ١ - ٤

ويطرد من البغداد (ربما الخديج ٢ - ٢٨ - ٢٨١) في يقول أن رنكي هو الذي قام بقتله بقتل الحفاحي، ندى هودنه إلى الموصل، وهي رواية ضعيفة

٤. البداري، السجوق ص ١٨٧ - ١٨٨، ابن خلكان، وفيات ١ - ٣١٦

٥. ابن خلكان، وفيات ١ - ٣١٦

(٦) الكامل ١١ - ٤١، الباهر ص ٧١

(٧) البداري، السجوق ص ١٨٧ - ١٨٨، ابن خلكان، وفيات ١ - ٣١٦

صطر رنكي إلى فث لحصار عن السوء، ومعاديرها، خوف من حدوث
سائح خطيرة في موصل قد تهدد حكمه^(١)، وكنفي في بديه الأمر برسالة
فائدة رين لدين علي كحث ليحل محل جقر^(٢)، ثم ذهب هو بنفسه بعد
ذلك لإقرار الأوضاع هناك

أدى رنكي، بعد مقتل الجصاحي، عظمه على الملك لأحر (ألب
أرسلا)، فأبى الجصاره في أحد معاقب سجار، ومنحه حرية أكثر، وعين
له حراساً وموظفين لخدمته، وهبهم بمراسيم جنوسه وركوبه، وطالب رجاءه
بالاهتمام بأمره واحترامه وتلبية مقاصده، وقد سهدف من هذه الإجراءات
تعطيه مفضل الملك الجصاحي^(٣)، كي لا يشير السلاحفة صده، ومحاوئه منه
لاستغلال ألب أرسلا لتحقيق أمله في المستقبل، وذلك بالمطالبة بنوبته
سطة الحراق، بعد وفاة عمه سلطان مسعود، ليصبح رنكي المتحكم
المعني باسم السلطان الجديد^(٤)



(١) دير تاريخ دمشق ص ٢٨١، الكامل ١١ - ٤٢، البهر ص ٧٠ - ٧١
البندري، السجوق، ص ١٨٦، ابن شد، الأملق (قسم تجرید) مخطوطة، ورقه ٣٦
ب ٣٦

(٢) دير تاريخ دمشق ص ٢٨١، الكامل ١١ - ٤٢، ابن خنکار وعبات ١ - ٣١٦ البندري
السجوق ص ١٨٨

(٣) البندري السجوق ص ١٨٨

(٤) الكامل ١٠ - ٤١، البهر ص ٧١، وفقه أبو شامة، برصين ١ - ٤٤، وین واصل
مصرج الکروب ١ - ٩٥

الفصل العاشر النظم الإدارية

بعد البحث عن النظم الإدارية لأيه دويد و إمارة إسلاميه، يجب التأكيد دائماً على نقطتين، أولاًهما أن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات و الأمور الإدارية في بعض العهود لا يعني عدم وجودها، بل من المحتمل في أغلب لظن أن مصدره، تركيزها على القضايا السياسية و الحربية، قد أهملت الأمور الإدارية، وثانيهما أن حدوث أي تحول سياسي أو حربي، و الانتقال من عهد إلى عهد آخر، وسقوط أمراء وقيام آخرين بعدهم، لا يعني سقوط التنظيمات الإدارية فاعلمه وقيام أخرى حديده لا علاقه به بالتنظيمات السابقة، إذ أن ذلك يناقض استمرارية استماسك (البيروقراطي) و الاجتماعي بعد حدوث هذه التحولات، مما يحسم القول بأن هذه التنظيمات لا بفسها تعبر حواري خلال تلك الانقلابات

وهكذا فإن تحول الموصل من عهد ولاة السلاجقه (٤٨٩ - ٥٢١ هـ) إلى عهد الأتابكة، لم يؤد إلى ظهور مؤسسات إداريه جديدة بحدود على المنطقه، بل ب معظم هذه المؤسسات ظل موجوداً في العهد الجديد مع إجراء بعض تعديلات، و أحداث عدد قليل من التعديلات التي اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية الجديدة

أقام ركني تنظيماته الإدارية على أكتاف مجموعة من الموظفين منحهم نوعاً من الاستقلال الذاتي في ممارسة شؤونهم الإدارية، ولكن تحت إشراف

الثام ومراقبته الدفقة، وكان هؤلاء الموظفون يعملون في أربعة محالات رئيسية هي

١- محافظة قلعة الموصل وسائر قلاع الإمارة، وكانت تسمى في كثير من الأحيان البناية، ويدعى متولها (النائب)

٢- ولاية المدن والأعمال

٣- الوزارة

٤- الدواوين

نبذة الموصل أو محافظة القلعة:

أنشأ رنكي هذا المنصب حال دخوله لموصل في رمضان عام ٥٢١ هـ وقد أطلقت المصادر عنه لقب لسانه أحياناً^(١)، ودردريه قلاع الإمارة، أحياناً أخرى^(٢) ولما كانت كمنه تردد، لأعجمية تعني حافظ القلعة، فمن الممكن تسمية هذا المنصب بالمحافظة، أيضاً، وإذا كان رنكي مشغولاً معظم أوقاته في حروبه وسفلاته، كان مكوثه في الموصل قليلاً، مما يرجح أن يعدوا نائبه فيها المسؤول الأرا، وأد يجمع بسنطت عمية واسعة

وسم شر المصادر بى مهم هذا الموظف بانتصل، ولأعداد نتي كلف بقيام بها، ونكتفي بالإشارة بى أنه كان على السب أن يدير شؤون الموصل وبقية أجزاء الإمارة ببابه عن رنكي، وأن يكاتب السلطان السلجوقي والعلية العباسي من أحوال الإمارة خلال تعيب الأمير^(٣)

(١) ابن العباسي: دبل تاريخ دمشق ص ٢٦٣ - ٢٦٤، ب: حلكاب وفيات لأعيان ١ - ٢١٥

(٢) ابن الأمير الياض ص ٣٥ - ٣٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦

(٣) ابن وصر: مخرج الكروب في أخبار سي أيوب ١ - ٢٤، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦، ب: حلكاب ١٠ - ٢٤٦

(٣) دبل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

وبخصوص أخرى تشير إلى بعض المهام تفصله التي كان يمارسها النائب، كجمع الضرائب وجباية الأموال^(١)، والإشراف المستمر على أحكام تحصينات الموصل وعميق حادقها^(٢) فضلاً عن لأعمال العسكريين المحصنة كالدفع عن المدينة^(٣)، والقدم بحملات بوسعه بناء على أوامر رنكي^(٤)

وهذه إشارات جملةً بوضح كيف أن نائب رنكي كان يمارس سلطات واسعة في شتى المجالات الإدارية والمالية وعبءاته والعسكرية، ذلك أن كان محمداً لأول في ماريته، ينطبق عليه ما ذكره العميشدي عن هذا المنصب في تعهدين الأيوبي والمموكي، من أن النائب هو المصمم مقام السلطان في عامة أموره، أو عاليها^(٥)

إن الأعباء التي أُلقيت على النائب تفرداً ثبته في مشكته صلاحيات وطبيعة اختصاصه، فهو من جهة (خودار) سلطة الموصل وباتر قلاع الإمارة، ومن جهة أخرى (نائب رنكي)، إذ ما قارن هدير بمصيرين بسطيمات العصريين الأيوبي والمموكي، نجد أنهم منفصلان عن بعضهما، فالنائب هناك كان يشترط مع السلطان في منح لقب الإمارة وتوزيع الإقطاعات وتعيين الموظفين، ويعرض عليه كشف بأسماء الأشخاص الذين يرى وجوب ترشيحهم لمناصب المحتمل فيقرها السلطان دون أن يرفض تعيين أحد المرشحين إلا نادراً^(٦) وكان من أعمال النائب كذلك توقيع المراسم

(١) ابن خلكان وجباة ١ - ٢١٥ - ٣١٦

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحات

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحات

(٤) ابن الأثير الكامل ١١ - ٦٠٥ - الباهر ص ٦٤

(٥) صحيح لأعشى ٥ - ٤٥٣

(٦) المفريي الحفظ ٢ - ٢١٥، البكي عيد النعم ص ٣٤

ونمشورت، وسند النقواسب^(١)، و يركوب على رأس فرق الجيش في المواكب الرسمية^(٢)، وترؤس جماعات ديوان الجيش^(٣)، وتلقي مكاتبات بواب المدب بسند الأمور المتعلقة بسياساتهم^(٤) وهكذا كان النائب هو المتصرف المطلق في شتى لمجالات العسكرية والمالية والإدارية^(٥) وقد أكد (٥٠ برسم) على أن نائب السطة كان على رأس موطن، وله كل الاختصاصات التي بواب السطة في الأقاليم الأخرى^(٦)

أما (نائب القلعة) فهو عبر نائب السطة، إذ أن اختصاصات لأول تنصب على الإشراف على فتح وإغلاق باب القلعة المحصن بدخول بحد وحروجهم^(٧)، وتعهد أسوار قلعة ومادها، والعمل على إصلاحها وصانتها، ثم ما لبث أن أصبح من اختصاصه كذلك - الفصل فيما يقع بين العامة من حصون^(٨) وكان يتمتع باستقلال كبير عن نائب^(٩)

وإضافة إلى هذين المنصبين - في العاصمة - كان هناك منصب ثالث هو منصب الوصي، وكانت مهمة هذا الموظف هي الاستعلام عن مجندات ولأية من قبل أو حريق كبير أو نحو ذلك من بوابه، ثم تكون مطلة جامعة بذلك تحمل إلى سلطان صبح كل يوم بمقتضى عيها^(١٠) وكان هذا الموظف يوصى - كذلك - بتعليم الأحكام، وإقامة حدود، وتخصيص المعسدين ومثري المص

(١) المصدر السابق المخطوط ٢ ٢١٤، الحمري التعريف بالمصطلح لسرييف من ٦٥ ٦٦

(٢) القلقشندي صبح الأعشى ٤ ١٧

(٣) المصدر السابق ٤ ١٦، المقريري المخطوط من ٢١٤

(٤) المقريري ٢ - ٢٠٥

(٥) المصدر السابق ٢ - ٢٠٥

(٦) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك البحرية من ٢١٥

(٧) القلقشندي صبح الأعشى ٤ - ٢٢ ٢٣

(٨) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك من ٢٢١ من القلقشندي بمقتضى من ٧

(٩) المصدر السابق، نفس الصفحة من ٢١١-210 Van Berchem Corpus, Egypte.

(١٠) القلقشندي صبح الأعشى ٤ - ٦٠

ومدمي لحبوس، ومعاقبه كل منهم حسب جرميته، فضلاً عن مراقبة أبواب العاصمة، وانطوف في إحياء التجارة واسان^(١) وهكذا يبدو أن مهمة هذا الموظيف كانت أشبه بمهمة البلدي في نوبت الحاضر، أما مهمة نائب القدي فأشبه بمهمة لحماية عسكرية، وأما النائب فأشبه برئيس الوزراء.

يصح مما سبق أن نائب رنكي كان يجمع بين هذه السلطات الثلاث، مما يشير إلى مدى اتساع صلاحاته، كما نتضح لنا تفصيل هذه عن المهم التي كان يقوم بها بمحرد مقارنته بنظم لعصرين الأيوبي والمملوكي التي هي استمرار لنظم الإدارية للفترة السابقة، لا سيما الفترة التركية - النورية، كما يؤكد العقشدي بقوله (إن الدولة الأيوبية بما طرأ على الدولة العاطمية وحلفتها في بدار المصرية، خاضتها في كثير من تريب المملكة، وعبرت على معامها، وجرب على ما كانت عليه، الدولة الأتابكية بالموصل - ومن عماد لدين رنكي - ثم وده الملك العادل نور الدين محمود بالشام)^(٢) ومن ثم فبالإمكان تتبع الخطوط لعرضة لنظم رنكي الإدارية على ضوء المعلومات الكثيرة لتيسرة من نظم المهديين الأيوبي والمملوكي

ورغم ذلك فإن هناك أسئلة عديدة عن هذا المصب لا يحصى بحواب، أسئلة عن علاقه نائب ببقية الموظفين، تقف وراءها صعوبات شتى أهمها سكوب المصادر عن تحديد الاختصاصات بين المؤسسات لإدريه، وإعطاء تفصيل : صحة عن مدى نشاط كل منها، ولأخطر من هذا أن بعض المصادر تجعل العمل الإداري بواحد مشتركاً بين عدة مؤسسات أو موظفين، مما يريد في صعوبة التوصل إلى اختصاص كل موظف

ولا ريب أن هذه الصعوبات تكمن أساساً في طبيعة النظم لإدريه تلك الفترة، فهي رغم بسورها إلى حد ما هي تعهدين الأيدي و مملوكي، كانت

(١) علي إبراهيم حسن تاريخ مملوك ص ٢٣٠

(٢) صبح الأعشى ٤ - ٥

تُعاني مشكلته التداخل بين المؤسسات الإدارية، وعدم وجود خطوط واضحة لمخصص، ويظهر أن بعض الموظفين كانت اختصاصاتهم مشتركة في عدد من الأمور، كما هو الحال بين وادي لقاقره والاحتساب مثلاً، وليساً بدري ماداً كان يحدث في مثل هذه الحالات، ولكن الباحث يصل إلى أن سلطات الوظائف كانت تتوقف إلى حد كبير على شخصيه شاعبيها وإن أخذهم كان يهوي بقوده ويرر مواهبه فطمي على اختصاص غيره. ومثل هذا لا يصطوب هي وظائف واختصاصها أمر غير مستغرب في بيئة لم تكن نظم الإدارية فيها قد وصلت إلى أسس ومبادئ لا تقبل التفسيرات المختلفة^(١)

وأعيب النص أن السلطات الإدارية الواسعة التي كانت نائب زنكي يمارسها كانت تنصب جهراً وإدارياً واسعاً لعدد الأوامر والقرارات، رغم أن المصادر اكتفت بالإشارة إلى أن النائب كان يساعد في الحكم وإن يعينه هو وله الحق في عزله إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك^(٢) ورغم ذلك يشير النص الذي أوردته الإداري^(٣) عن عهد زنكي لأصحاب دته حمر بموله (وأجل سوابه مودته، وسددهم انموه ونعوت) إلى احتمال وجود نوع ثانوي يعتمد عليهم نائب زنكي في مهامه

نواب زنكي في الموصل:

١ نصير الدين جقر بن يعقوب ٥٢١ - ٥٣٩ هـ

هو أبو محمد حمر بن يعقوب، الهمداني، المنصب نصير الدين^(٤) وحمر اسم أصحمي ويرجح أنه كان مملوكاً^(٥) وكان حمر أعظم أصحاب زنكي مزية، وقد لعب دوراً هاماً في توليه على الموصل عام ٥٢١ هـ^(٦)

(١) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك ص ٢٦٠

(٢) ابن خلكان وفیات الأعيان ١ - ٣١٦، بن عماد سواب الذهب ٤ - ٢١ - ١٢٢

(٣) تاريخ السلجوقي ص ١٨٨

(٤) ابن خلكان ١ - ٣١٥

(٥) النصير السابق ١ - ٣١٦

(٦) الباهر ص ٣٤ - ٣٥

مع جعفر سياسة إدارية بصارت مصدر في تحديد سماتها، بل إن المصدر الواحد لم يستطيع تجنب هذا السافس، وبين حين وآخر يصفه بأن عرف بالعدل والإنصاف وتجنب الحور والظلم، ثم يشير إلى أن انعدام لسياسة وما اشتهر عنه هو الظلم وأنه كان (جبراً عسوقاً سماك مسجلاً بالأموال)^(١) ويشير بتاريخه إلى ما بقي أسس منه من (شدة الحور و لظلم و لقتل و المصدورات و لأهساط)^(٢) ويرد في رويته بن الفلاسي أن جعفر كان يسعى لجمع المال بمختلف طرق الحلال والحرام، وأنه كان يحاول تعطيه سياسته لسياسة الظلم هذه بالحيلة والرمي بالقول، وكان ليقا في ذلك حتى وصفت سياسته بأنها (القصد السديد في سياسة جمهوره والعاية في مرضي السياسة، وتهيئة في قوانين الرئاسة)^(٣)

كان ظلم جعفر - كما يشير ابن خلكان - أحد أسباب المؤامرة التي دبرها أحد الأمراء ضده^(٤) وكان رنكي يقول عنه (أنه يحكي وما يحذف الله)^(٥) ويمكن توضيح هذه التفاصيل بأن جعفر اتبع سياسة شديدة قاسية ممنووجه بالسوء من الرقي والرفقة أصفى على سياسته سمات عدل، ودفع بعض المورحين إلى عدم التأكيد على أي من الجانبين، ويظهر أنه كان قد اهتم إلى حد كبير بجميع الأمور لخدمته وحب أهله وأهله، حتى إن رنكي متى عودته إلى الموصل بعد مقتل جعفر استخرج دحاثره، وصادر معصم ما لأولئك لأقارب^(٦)

رب أهم الأعمال التي أبحرها جعفر خلال فترة نيته هي أحكامه لأسوار الموصل، وحفره لحمايتها، ودفعها عن يد حصار استلصه مسترشد

(١) وفيات الأعيان ١ - ٣١٥ - ٣١٦

(٢) تاريخ آمد و ميافارقير عن حاشية نيل تاريخ دمشق لأبي الفلاسي ص ٢٨٦

(٣) ديل تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٤) وفيات الأعيان ١ - ٣١٦

(٥) ابن مقفد - الأعيان ص ١٥٧

(٦) ابن خلكان ١ - ٣١٦

العماسي عام ٥٢٦ هـ. الذي صطوّر أحداً إلى الانسحاب بسبب صمود جفر^(١) كما دم جفر بقيادة جيوش رنكي لدى مهاجمة حصون الأكراد في الجهات الجببية شمالي الموصل، حيث تمكن من الاستيلاء على معظمها^(٢).

كان بعد جفر في حكم الموصل ول يعينه هو، وقد روى أولاً رحلا يدعى (نفروسي) صدر سيرة قبيحة وظلم اساس، فكثرت شكواهم منه مما اضطّر جفر إلى عزله وتوليّه (عمر بن شكه) مكين، وقد أساء عمر لسيرة أكثر من سبقه^(٣)، وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسية في وصف المؤرخين لجفر نفسه بالظلم وسوء السيرة

٢- زين الدين علي كحك بن نكتكي ٥٢٩ - ٥٤١ هـ

تعرف رنكي على زين الدين منذ أيام طفولته عندما توفي والده وهو في العاشرة، فعني به منايكه وأصحابه، وكان زين الدين من بينهم، ولم يكن هو الآخر قد تجاوز مرحلة الطفولة^(٤) ومنذ ذلك الوقت ظل زين الدين ملازماً لرنكي وعندما تولى هذا أمره الموصل كان زين الدين قد عدا من أسر رجائه، وانصرفت قاعدته في مجال عسكري، لذا جعله رنكي أحد قادته الكبار^(٥)، حيث أشركه معه في معظم حروبه في بغداد والشام ومناطق الأكراد وبشده حب رنكي به واعتماده عليه أعطاه عدداً من إحدى مهمته

(١) المصدر السابق ١ - ٣١٥ - ٣١٦

(٢) الكامل ١٦ - ٥ - ٦، الياهر ص ٦٤

(٣) بن حنك وحيات ١ - ٣١٦، بن عمار شذرات الذهب ٤ - ٢١ - ١٢٢

(٤) الياهر ص ١٥

(٥) ابن النديم - بدء الحلب ٢ - ٢٦٤ - ٢٦٥ حيث يشير إلى زين الدين كان من وراء رنكي لأصفهلاويه وهو لقب لارسي بمعنى رئيس الجيش (خاصة نجد الدين بن الأثير رسائل ص ١٢١)، أو مقدم المعسكر (العلقندي صبح الأعشى ٦ - ٨)

التي استولى عليها كارمل وعقر انحصديه شرقي الموصل، وشهرو والها، وبما كان ريس الدين مهماً في مهمته كقائد عسكري، لم يستطع أن يشرف بنفسه على إقطاعاته مما اضطره أن يعين فيها نواباً يديرونها باسمه^(١)

كان ريس الدين رجلاً صاحباً^(٢)، ذو أصل تركماني^(٣)، يحب كجك أي المصير اللطيف، وكان معروفًا باسمه وشجاعة والاقدم^(٤)، رؤوف بالعمراء، مواسي بمرضى^(٥)، اشتهر بالاحتفاظه على حسن العهد وأداء الأمانة، ولم يمارس عملاً قط^(٦)، وبلغ من نقواء أن قال عنه رنكي (إن يحاف الله ولا يحافي)^(٧) هذه الصفات جميعاً جعلته موضع ثقة سيده، ورشحته لأن يكون نائبه في الموصل، ولأن يقطع عدداً من المدن المهمة، فضلاً عن بقائه قائداً عسكرياً متباراً

وما أن تولى ريس الدين منصبه الجديد عام ٥٣٩، حتى صعد الدلاس (عبر الطريق التي سلكها حمص)^(٨)، فتحب ظلم لاهابي وأشاع بهم المدن (مراراً من كل خير)^(٩)، وبالرغم من أنه لم يسمع مكانة حمص الإدارية أو (يضاهي كفاءته ومضاءه) إلا أنه - بسيدسته التي تنهجها - تمكن من سكين نفوس أهل الموصل، وشدة لاطمئنان في قلوبهم، وبدن جهده في حمايتهم

(١) الباهر ص ١٠٩، ١٣٥، ابن وصل مفرج تكروب ١ - ١٥٤، ويحدهما لما في في أن شهر ررر كانت انطاع لسيف الدين عادي بن رنكي (تاريخ اندك) مخطوطة ورقه ٢٧، أ ١٢٨ ب) وإلى ذلك يذهب ابن خلكان وفيات ٢ - ١٧٦

(٢) وفيات الأعيان ١ - ٣١٦

(٣) النجدي دول الإسلام ٢ - ٥٥، ابن العماد شذرات ٤ - ٢٠٩

(٤) سيد بن الجوزي راء الزمان ١ - ٢٧٢ - ٢٧٣، النجدي دول الإسلام ٢ - ٥٥

(٥) ابن مقفد الاعتبار ص ١٧٧ - ٧٨

(٦) الباهر ص ١٣٥

(٧) ابن مقفد الاعتبار ص ١٥٧

(٨) الباهر ص ٧٢ - ٧٣

(٩) النجدي تاريخ آمد (مخطوطة ورقه ١٢٣ ب - ١٢٤ أ)، وفيات الأعيان ١ - ٣١٦

الطرق ونشاء حوائج المحتاجين، والانتصاف للمظلومين (فاستقدم له الأمر، وحسب بتدبيره الأحرار)^(١) وكان من نتائج ذلك أن نشر الأمن في المنطقة، وردد أعمار البلاد^(٢)، وتحققت بهذا أعمال السكّان^(٣)

٣- نائب زنكي في حلب

أدرك زنكي أهمية حلب بالنسبة لأعمامه عسكرية وسياسية في اسام فتجدها قاعدة له في المنطقة وأصيرها عاصمة الإدارية هناك، وأقام فيها جهازاً إدارياً يشابه إلى حد ما ذلك الذي أوجده في الموصل، وجعل على رأس هذا الجهاز نائبه في حلب، يقوم في منطقة الشام بما يقوم به نائبه في الموصل في الجهات الشرقية من إمارته^(٤)

ولم تقدم المصادر بوصيلاً كافياً عن عناصر النظام الإداري الذي اعتمده زنكي في حلب، ونكتفي بالإشارة إلى وظيفتين أولاهما رئاسة حلب والأخرى البنية، ون زنكي كفى في البداية بتعيين رئيس لحلب عام ٥٢٢ هـ لإدارة شؤونها^(٥) ثم عين نائباً فيها بعد ذلك بسنتين^(٦)

كانت حلب قد بلغت درجة متقدمة في نظمها الإدارية، في الفترة التي سبقت سيطرة زنكي عليها، حيث أسهم عدد من كبار الموظفين في إدارة شؤونها بتدبيره، فكان هناك منصب النياية عن الأمير الذي تخضع حلب لمباشرة^(٧) وأعلى الظن أن هذا كان يمثل السلطة العليا في حلب، إذ

(١) ديب تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٢) الياهر ص ٧٣، أبرشامة الروضتين ١ - ١٠٤

(٣) ديب تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٤) الياهر ص ٨٤

(٥) الكامل ١٠ - ٢٤٧ - ٢٤٨، ابن العديم (نبذة حلب ٢ - ٢٤٧)

(٦) المصدر السابق ٢ - ٢١٦

(٧) المصدر السابق ٢ - ٢٢١

أنه كان بموجب عن الأمر في إدارة المنطقة والإشراف على سائر ممتلكاتها، كما كان هناك منصب لورورة، وقد تعاقب على هذا المنصب ثلاثة ورراء في الفترة بين ٥١٦ هـ و ٥٢١ هـ، إذ كان هؤلاء عرضة للإقالة واستعير بغير لقب سياسي الأمر في تلك الفترة^(١) كما كانت هناك ولاية القلعة^(٢)، وشحنة بلد^(٣) أي (محافظة) وقد تعرض هؤلاء أيضاً لسرول وتعبير، ويظهر أنه كان لكل من هذين المسؤولين سلطة غير محدودة نتيجة لاضطراب الأمور في حلب إثر بهجمات انصالية المستمرة عليها، فقد قام بظلم الأهالي ومصادرة أموالهم وتسلط أبجد عليهم، وانصبوا بذلك أموال جماعة من كبار رجالات حلب وأعيانها^(٤)، وقد أوكب إلى هذين الموظفين مهمات دعاية^(٥) وكان هناك، فضلاً عن هؤلاء، موظف يدعى رئيس حلب^(٦)، لم تشر المصادر إلى دوره أو علاقته بعية كبار المسؤولين، ويظهر أن الرئيس كان يتمتع بسلطة عسكرية إضافية إلى مهامه الإدارية^(٧)

وأعلت الظن أن ركني أقر معظم هذه الوظائف واكتفى بمجرد تعيين الأشخاص، جاعلاً نائبه في حلب المسؤولين الأعلى عن أجهزة الإداري هناك ويمكن تحديد مهام هذا النائب بفتح معام منصبه في العهد بين الأيوبي و المماليكي حيث نكث التفاصيل، وذلك بالاعتماد على ما قرره الفيلسوفي من أن الحدود الحضارية لهاتين الفترتين تعود إلى عهد أتابكة الموصل واشام^(٨)

(١) المصدر السابق ٢ - ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) المصدر السابق ٢ - ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق ٢ - ٢٣٢، ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٤) المصدر السابق ٢ - ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٧.

(٥) المصدر السابق ٢ - ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٦) المصدر السابق ٢ - ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٧.

(٧) المصدر السابق ٢ - ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٨) ص ٤ - ٥.

ففي عهد الأيوبيين والمماليك كانت تتبع السلطة المركزية مجموعته من الولايات في بلاد الشام، على رأس كل منها نائب للسلطان، وكان يوزع السلطة في الأقاليم يختارون من أصحاب المصائب الحربية الذين كانت لهم الكفيلة العليا في الدولة، وكان السبب بعمل على السيطرة على كل أصحاب الوظائف في هذا الإقليم، وكان بعض يراقب ذلك بعض ماهرة، ويشعر انائب بوجود السلطة المركزية عن طريق تدخل أحياناً بملء وظائف شاعره لتست من اختصاص سلطات، أو يصدر الأوامر مباشرة من مسؤولي انائب^(١) وكان نظام الحكم في كل من هذه الولايات يتأثر بنظام الحكم في مصر فكان ساهبها عباره عن مملكة مستقلة منتظم الدواوين بحكومة الموظفين الذين يتولونها، ولكن بصورة مضطربة^(٢)

ويوضح القلقشندي أهم اختصاصات نائب الإقليم، والتي تلخص بشر العدل، ويوظف لملك، ومحاسبة الأعداء، والقضاء على الفساد، وحماية الشعوب وتنظيم الأمور المالية^(٣)

وهذه الصورة عن اختصاصات نائب الإقليم في العهد الأيوبي والمملوكي توضح، إلى حد ما، اختصاصات نائب رنكي في حلب، فقد احتار الأخير ذاته من كبار القادة العسكريين، وكان يطلق عليه أحياناً اسم (مقدم رنكي في حلب)^(٤)، مما يشير إلى أن هذا فوضه قياده قواته في المنطقة إضافة إلى مهامه الإدارية، مما عن مدى تدخل رنكي في سيطرة

(١) علي إبراهيم حسن تاريخ سلاطين مصر ٢١٩ عن H.Wiet E. Mosques du Caire. p. 56

(٢) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك من ٢١٨ - ٢١٩ عن

H. La Voix Catalogues des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale. Egypte et Syrie. pp. 323-336

(٣) صبح لأعشى ١٢ - ٨ - ١٢

(٤) الكامل ١١ - ٣

على أساسه نائيه فتصبح في قول سبط ابن الجوزي في أن نائب رنكي قد وقع من أمير (بالاسم لا غير)^(١)، مما يؤكد عدم تجمع هذا نائب باستقلال يذكر في تسيير الشؤون الإدارية، كما جرى الأمر في العهدين الأيوبي و المملوكي، ولكن يبدو أن استقلال نائب نصب على العصبات الحرسه التي كان يقوم بها هذا الصليبي سب طاعة مركزه العسكري الذي يقتضي بدل مجهود حربي مستمر لإشغال سبط الصليبيين، وتقديمهم في منطقته

٤. نائب رنكي في حلب سوار بن إينكين ٥٢٤ - ٥٤١ هـ

قدم إلى حلب في عام ٥٢٤ هـ الأمير سوار بن إينكين الملقب بمسعود، هارباً من دمشق إثر بدهور علاقاته بأميرها، وتقدم بعرض خدماته على رنكي (وأكرمه هذا وشرفه وحلج عليه وأخرى له الإقطاعات الكثيرة وأعطاه ولاية حلب وأعمالها، واعتمد عليه في قتال الصليبيين، وكان له بصيرة بالحرب وتسيير الأمور)^(٢)

كان يثق على سوار أحداً لقب (مقدم عسكري رنكي بحلب)^(٣)، وذلك لأن سبط فوضه قيادة قواته في منطقة صاعدة إلى مهامه الإدارية، بل إن أعمامه العسكرية هي التي أكرسه شهره واستنفدت معظم أوقاته وجهوده^(٤)، سب قوته من الموقع لفلسفة، وهكذا كان الأمر سوار يشي هجمات سريعة خاطفة على قوات الصليبيين وقواتهم، وكان - أحياناً - جرى - يمد قوات رنكي بجند من عنده يعودهم بنفسه إن دعت الضرورة، كما كان يقوم بالمدافع عن مدينة حلب وأعمالها ضد هجمات الصليبيين، وفصلاً عن الحدود النظاميين الذين عمدتهم، كان يضم إليه - أحياناً كثيرة - تركمان

(١) ديب تاريخ دمشق من ٢٥٥

(٢) رتبة الحبيب ٢ - ٢٤٥

(٣) الكامل ١١ - ٣

(٤) رتبة الحلب ٢ - ٢٤٥

المصطفى^٣ ، طمعاً في العسمة أو حياً للجهاد، وقد استمر حواري في منصبه حتى مقتل رنكي عام ٥٤١ هـ.

ولاية (نواب رنكي) على المدن والقلاع،

يتضح مما سبق أنه كان لرنكي ثلاث مركزين هما : بانه في الموصل، ابدي يشرف على الجهات الشرقية من الإمارة، وبانه في حلب لذي يشرف على جهات الغربيه (أي القسم شامي) وفصلاً عن هذين عين رنكي على المدن والأقاليم التي فتحها مجموعة من الولاة يطلق عليهم اسم النواب أو العمال.

ونكتفي المصدر في هذا المجال بذكر أسماء ولاية رنكي وسبب تعيينهم أو إقالتهم، ونعرض - أحياناً - لهذه مختصره عن سياستهم الإدارية، ولكننا لا تشير إلى سيطر أي من هؤلاء وحده اختصاصه، ومدى الحرية التي يمارسها، وفي أي المجالات^٤ ومدى صلاحياته تحده رنكي وطبيعته ارتباطه به، وأجهزة الإقليمي الذي يعينه في شؤون الإدارة، ومن يدي يقوم بنفس أعصاء هذا جهاز رنكي أم انوالي؟ وما هي علاقة انوالي بالحدود والسياسة، والمؤسسات القائمة؟ كما أن هذه المصادر لا تشير حتى إلى انفراد في السلطات بين هؤلاء ومن يدي رنكي في الموصل وحلب، وإن كان المرجح أن يدي يوصل بها هو خطورة المصعب التي كان يتمتع بها نائباً الموصل وحسب كعصميين للإمارة، بينما كانت مراكز ولاية لأمانيم ثانوية.

ولا بدري شيئاً عن التنظيم الإداري ابدي اتبعه رنكي في إداره أجزء إمارته لشاسعه، ومن قسمها إلى أقاليم عين على كل منها وال من فيه، ثم أعطى بذلك نوابي الحرية في تعيين الموظفين داخل نطاق ولايته؟ أم أنه

(١) دین تاریخ دمشق ص ٢٤٠ - ٢٤١، الكامل ١٠ - ٢٦٦

أكد على الاتجاه المركزي في الإدارة حيث حصر ولايته في تنظيم به لا يقومون بإصدار أمر أو تعيين أحد إلا باستشارته؟ وهل من الممكن اعتبار النظام الإداري الذي سار عليه الأيوبيون والمماليك هو ذات النظام الذي سار عليه زنكي؟

فقد قسم الأيوبيون - و المماليك من بعدهم - دولتهم إلى أقاليم أو بلاد تنقسم كل منها مجموعة من المدن والحصون، حيث يعبر النائب المسؤول الأعلى في بلدته، وممثل السلطان لشخصي الذي يربطه ويتلقى لأوامر منه وإلى جانب هذا النائب كان السلطان يعين نواباً آخرين على الصلاحيات وكان يصدر بتعيينهم مرسوم سلطاني يكتب بديوان الإنشاء

كان نائب المدينة أو القلعة مستقلاً في معظم الأحيان عن نائب المنطقة في الإقليم، وتابعة للحكومة المركزية مباشرة، وكان من واجبه أن يتحسس على السائب ويصومه إذا حدثت فيه مخرجات على السلطان^(١) وكانت أهم واجبات نائب القلعة هذه، فضلاً عما سبق، هي أن يتولى حفظ القلعة وصونها، ولا يسمح مفتحتها لأحد إلا لمن يتولاها مكنه، أو بمن يأمره السلطان بتسليمه له^(٢)

كان هذا التقسيم الإداري يشمل مناطق الشام ومصر، أما في مصر فقد كانت الإدارة المحلية متمثلة في لوالي، حيث كان يشرف على كل من الأعمال فئة من الموظفين على رأسهم والي الإقليم الذي كانت مهمته العمل على إسياس الأمن والنظام، وبيت العثمانيه في سنوس، والمحافظة على أموال الناس وأرواحهم^(٣)

(١) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك من ٢٣٦ من

V.Berchem, Corpus Egypte, 1/210-211 Wiet Les Mosquées du Caire, p. 56.

(٢) القمصندي صبح الأعشى ٤ - ١٨٥

(٣) علي إبراهيم حسن تاريخ المماليك من ٢٣٢

لا أن هذه التقسيمات لا توضح ما كان عليه الوضع في عهد رنكي، وربما كان من أهم أسباب ذلك أنه لم يأت إلى الحكم في إمارة واسعة مستقرة حصل من سبقه على ترسيخها، وانقضاء على مشاكلها الأساسية، وتوجيه المجهود لإجراء الإصلاحات الإدارية فيها وهو تنظيم معين ولكنه - أي رنكي - تسمم الحكم في الموصل ولم يكن حاصفاً له آنذاك سوى هذه المدينة وبعض المواقع المجاورة، وأما معظم المدن التي شملتها إمارة فيما بعد، فقد جاءت إثر عمليات الفتح والاستيلاء وليس ألقى معظم جهوده في مجاليهما، ولذلك لم ينجح له انتظام تنظيم إداري كالذي شهدته عهود الأيوبيين والسلاجقة، وإنما كان يكتفي بتعيين من يثق به على كل مدينة أو موقع يتمكن من الاستيلاء عليه، وهي أحيان أخرى كان يقطع ما يصبى من مدن وقلاع لبعض فؤاده ومقربيه، وهكذا كان تنظيمه الإداري للأقاليم قائماً على أساس شبه مرتجع

وإذا كانت معظم المدن التي تتكلم عنها ذات قلاع وحصون، فإن المرجح أن أهم أعمال ولاتها كانت - حسب ما ذكره الفيلسوفي - حفظ تلك القلاع، وعماره ما دعت الحاجة إلى عمارته منها، ولأحد ثقلوب من أهلها وجمعهم على الطاعة، وإدخال آلات الحرب ومهماتهما، والأغذية بخلق أبواب نفذه وفتحها، ونفق أحوالها في كل صباح ومساء، وإقامه بحرس، وإدخاله العسس، وعرف أحوال المجاورين لها من الأعداء وإقامه موب بحمام بها، واستطاعه بكل ما يتجدد لديه من الأخبار هذا بالإضافة إلى مهمات الوالي لثباته والعسكرية الأخرى، كمساعدة سيده في عملياته البحرية، سواء بإمداده بالبحر والنصر، أو بتوسيع مناطق الولاية ودفاع عنها ضد هجمات الأعداء.

وهنا يلي جدول بأسماء لولاه الذين عيّنهم رنكي على مدن التي فتحها، وسيكون تنظيم هذا الجدول قائماً على أساس التسلسل الرسمي لتوزيع الاستيلاء على تلك المواقع وسوف نلاحظ أن المصادر استعملت كلمات مختلفة بالنسبة لبعض الولاة على المدن، ففندكم عماره، وأقطع رنكي (

وباره أخرى (ولي) وقدره ثلاثة (وهب) وهكذا، وهكذا يشير - بطبيعته الحال - إلى نوعيه سلطة والاحتصاصات التي كان لوالي يمارسها، حيث نجد المقطع يتمتع بصلاحيات أوسع، في مجاز إقطاعه، من ووالي يدي يمارس عملاً إذ رباً فحسب، وسوف يرد في السجلات عدد من المدن والقلاع التي لم يذكر ولاتها سبب إعمال المصادر لهم، ربما عدم أهمية المكان، أو لتطرفه في البعد عن مركز الإمارة إلا أن المصادر بعض أحيان ولاية بعض المدن المهمة، ويرجح في هذه سحابة أن بعض هذه المدن كانت تابعة لأشراف أحد ولاية رنكي في مدينة أخرى مجاورة أو بعدة

سم الموقع	سنة فتحه	الولاية وفترات حكمهم
ليواريج	٥٢١	لم يحس عديها أحد، ربما لصغرها وعدم أهميتها
حمزة ابن عمر	٥٢١	معي لليس حسن البربري (٥٢١ - ٥٢٢)، ثم عزل لسوء سيرته ^(١) وصرح أن حمزة بن محمد البربري العقبه أعقبه في الولاية واستمر فيها حتى قتل رنكي ^(٢)
مسيح ريد	٥٢٢	كانا تابعين لحسب لقربهما منها، وقد ولي علي مسيح الأسير حسان اليميني
نصيب	٥٢٣	جمال لليس محمد الأصمعي (٥٢٣ - ٥٢٤)، وبعد تسدده الوزارة ^(٣) أعطيت لأحد أمراء رنكي الكبار ويدعى أبا بكر ^(٤) ، وبقيت تحت حكمه حتى قتل رنكي ^(٥)

(١) الأهر ص ٨٤

(٢) ياقوت معجم البلدان ٢ - ٧٩

(٣) الأهر ص ١١٨ - ١١٩

(٤) المصدر السابق ص ٨٩ - ٨٠

(٥) ابن شداد لأغلاي الخطيبة (مخطوطة) ورقة ٢٩ ب

سندھ	٥٢٣	نیمائک (٥٢٣ - ٥٤١ هـ) ^(١)
لجانبور	٥٢٣	لم یعیں علیہا أحد، ربما لتبعیتہ لسنجار
حران	٥٢٣	موتکین الکرجی (٥٢٣ - ٥٢٧ هـ)، حیث أعین العصفیان و ستمر خارجاً علی حکم رینکی حتی عام ٥٢٣ هـ حیث توفی، فاستولی رینکی ثابۃ علی حران ^(٢) وانغام نایبہا إلی حیث مفتہ ^(٣) والمرجح أنه عین فیہا جمال الندیس أبو المعالی فضل اللہ بن مامان رئیس حران السابق ^(٤)
لسی	٥٢٣	لم نشر المصادر إلی ولیہ
جمنا	٥٢٣	احتضنت البیاضیانی بأواب دیوبند شہاب الندیس حمد (٥٢٣ - ٥٤١ هـ) ^(٥) ، عیما حمد، فترة اشتدادہا من بن حاکم دمشق (٥٢٧ - ٥٢٩ هـ)
مرجہ	٥٢٤	لم نشر المصادر إلی ولیہ
دارا		لم نشر المصادر إلی والیہ، وقد علم إلی أمیر مارہین عام ٥٣٣ هـ ^(٦)
حصن الأناط	٥٢٤	قام رینکی بتحریرہ کیلا یستعبد العصفیون ^(٧)
ایس	٥٢٦	احتضنت فریس الندیس علی کجک (٥٢٦ - ٥٤١ هـ) ^(٨) وقد عین هذا نائباً عنه فیہ

(١) المصدر السابق، ورقه ٤٧ أ - ٤٧ ب

(٢) المصدر السابق، ورقه ١٧ أ - ١٨ أ، ابن واصل - مرجع الکروب ١ - ٨٤

(٣) ابن شداد، المصدر السابق، ورقه ١٧ أ - ١٨ أ

(٤) ريلۃ الحلب ٢ - ٢٧٩ - ٢٨٠

(٥) دین تاریخ دمشق من ٢٥٨، ابن مقد - الإخبار من ٩٧ - ٩٨

(٦) الفارقي تاریخ آمد (مخطوطة)، ورقه ١٢١ ب - ١٢٢ أ

(٧) الباهر من ٣٩ - ٤٢

(٨) ابن واصل - مرجع بکروب ١ - ٩٧، ١ - ١٥٤

فلعه بصور عمر الحميدية وأعمالها	٥٢٨	وهيها رمكي لأمير ماردزين لأرغون ^(١) أعطعت لرئيس سديس عملي كجك (٥٢٨) - (٥٤١) ^(٢)
	٥٢٨	
سوس و عماد	٥٢٨	فريه من الحميدية، وأعجب انطق أنها تحف به وأعطعت لرئيس الدين ^(٣)
لرقة	٥٢٩	شهاب الدين أميوك المجاندار ^(٤)
حسن حور	٥٣٠	وهو رمكي لأمر ماردزين ^(٥) ، ثم استرده عام ٥٣٩ هـ
سيو ب	٥٣٠	وهو رمكي لأمير ماردزين ^(٦) ثم مسرده عام ٥٣٩ هـ
بيار عيه	٥٣٠	وهو رمكي لأمير ماردزين ^(٧)
دعوى	٥٣١	لم تشر المصادر إلى ربيها، وربما الحققت بإرسل آر شهر دور
حصن الحربة	٥٣١	انقطع بيع عيني وادب فيه عيسى لحاجب (٥٣١ - ٥٤١ هـ) ^(٨)
ميريس	٥٣١	لم تشر المصادر إلى وليها
حصن عزه	٥٣٢	قام رمكي بتخريبه كيلا يهد منه الصليبيون ^(٩)
معروا انحصار	٥٣٢	لم تشر المصادر إلى وليها
حصن المنجد		لم تشر المصادر إلى وليها

(١) ابن منذر، الاعتبار من ١٥٥ - ١٥٦

(٢) ديل تاريخ دمشق من ١٥١

(٣) الباهر من ١٣٥

(٤) ابن شداد، الأعلام الخطيرة (مخطوطة) ورقة ١٢٤ - ١٢٢ أ

(٥) الفارقي، المصدر السابق، ورقة ١٢١ ب - ١٢٢ أ

(٦) المصدر السابق، نفس الورقة

(٧) رتبة الحلب ٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

(٨) ابن منذر، الاعتبار من ٧٨ - ٧٩

(٩) الباهر من ٥٧

بانياس	٥٣٢	أعلن صاحبه إبراهيم بن طرخت طاعته لرينكي فأقره على منصبه حتى عام ٥٣٤ هـ ^(١) ، حيث استولى الصليبيون عليه
كبر طاب	٥٣٢	أعطت لياغياني (٥٣٢ - ٥٤١ هـ)، ب عدد، انصروه الي سيطر فيها الروم عليها سنة ٥٣٢ هـ ^(٢)
حصص	٥٣٢	أعطت لبغياني (٥٣٢ - ٥٤١ هـ) ^(٣)
بعلبك	٥٣٤	وفي عليه نجم الدين أيوب (٥٣٤ - ٥٤١ هـ) وأقطع رينكي ثلثها ^(٤)
شهرزور	٥٣٤	أعطت لرين علي كجك لقرىها من إقطاعه في إدبل، فأجاب عنه في حكمها لأمر بوران (٥٣٤ - ٥٤١ هـ) ^(٥)
قلعة بهمره	٥٣٥	لم يشر المصادر إلى وليها
سجديث	٥٣٦	تكنى المصادر بانقرل بأن رينكي عين بوايه فيها ^(٦)

(١) رتبة الحلب ٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤

(٢) ابن منذر، الاعتبار من ٤٥

(٣) زين تاريخ دمشق من ٣٤٧

(٤) أبو شامة الروضتين ١ - ٨٦ - ٨٧، ١٢٤ - ١٢٥

(٥) الأباخر من ١٠٩ - ١٢٥، ابن واصل، مرجع بكروب ١ - ٥٤

(٦) ابن الجوزي، المستظم ١٠ - ١٠٢، الكاس ١١ - ٣٦ - ٣٧

قلاع الأمراء الهكارية

أشب	٥٣٧	كتاب سجل إشراف ريس الدين علي كحك (٥٣٩ - ٥٤١ هـ) ^(١)
جبل البهجة	٥٣٧	
قلعة اسجلاص	٥٣٧	
بوشى	٥٣٧	

قلاع الأكراد المهرنية

لشعاني	٥٣٧	لم نشر لمصادر إلى ولايتها، والمرجع أنها بمجموعها كانت تحت إشراف نائب رنكي في الموصل
مروح	٥٣٧	
كواشى	٥٣٧	
كوشر	٥٣٧	
نهي	٥٣٧	
سرور	٥٣٧	
لرعماني	٥٣٧	
بريه	٥٣٧	

في نهار بكنر

طيرة	٥٣٨	لم نشر المصادر إلى ولايتها، والمرجع أنها بمجموعها كانت تحت إشراف نائب رنكي في الموصل
أمعرد	٥٣٨	
لمعدن	٥٣٨	
خيران	٥٣٨	

بروق	٥٣٨	
نطيس	٥٣٨	
باتسا	٥٣٨	
در لقرمين	٥٣٨	
انبرون	٥٣٨	
اروق	٥٣٨	
ابردون	٥٣٩	
عه	٥٣٨	لم تشر المصادر إلى وليها
حاني		لم تشر لمصادر إلى ولاتها، والمرجح أنها بمجموعها كانت تحت إشراف نائب رنكي في الموصل
ارقمين	٥٣٩	
حبوموك	٥٣٩	
بالمرقين	٥٣٩	
لره	٥٣٩	وبت قطب الدين يار من حساب صاحب سبج (٥٣٩ - ٥٤١) ^(١)
سروج	٥٣٩	

فلاح الأكراد البشتوية

لهشم		لم تشر لمصادر إلى ولاتها، والمرجح أنها بمجموعها كانت تحت إشراف نائب رنكي في الموصل (وجميعها لم يحتفظ رسم سج)
حديده بفسس		
شاروا		

(١) ابن شداد - الأعلام (مخطوطة) ورقة ٢٩ أ

الوزارة:

شئ مشكلة الوزارة هي عهد رنكي كثيراً من استعبدات بسبب غموص بعض النصوص وثمة على طريقه التعميم كما أن أحد من المؤرخين سم بشرى مهام الوزير هي عهد رنكي، واكتسب بمصادر غموص أسماء ورائه وسى نعيمهم وعمرهم، مع بد عن تراجعهم لشخصية سى لا يلقى ضوءاً على الموضوع وتزداد لمشكلة تعقيداً عندما يذكر مهام نائب رنكي الذي كان يتمتع سلطات وسعة و (مقويض) على شؤون اديوان والموظفين فما هي مهام الوزير إذاً؟

إن مع الوزارة هي تاريخ الإسلامى، مد شوتها وحتى العصرى الأيوبى والمملوكى في مصر والشام، يوضح بعض شئء مشكلة الوزارة هي عهد رنكي، وحدود اختصاصات الوزير وطبيعة علاقته ببقية الموظفين ومؤسسات الإدارية، خاصة إذا ما يذكر النص الذي أورده الممشندي و يدي أكد فيه على أن حدود نظم الأيوبية - المملوكية تعود إلى العصر الأتابكى في غموص وحب^(١)، فضلاً عن أن الوزارة هي عهد رنكي بسبب سوى جزءاً من التطور العام بهذا المنصب طيبة غموص. إننا يح الإسلامى

سور منصب الوزير مد العصر العباسى لأول، وكان غموص هي لداية يعصر على تعدد أوامر الخليفة العباسى، لدا سمي هذا النوع من الاستمرار بـ (وزارة انتصاف) وبعد مرور فترة قصيرة ظهر نوع آخر، عندما غموص الخليفة وريته لإدارة شؤون مسكته، أطلق عليه (وزارة استعويض)^(٢) و سمر هذا المنصب يدرج بين اسميد و لتعويض حسب مركز الخليفة أو السلطان لحاكم، حتى جاء الأيوبيون فأدخلو نظام بيانه لسلطه، وحوو

(١) صبح الأعشى ٤ - ٥

(٢) انظر موضوع الوزارة في الماوردي الأحكام السلطانية

معظم اختصاصات لوزير وسلطانه بمعينه لى نائب السلطان، وهكذا عدا منصب الوزير أقل أهمية من ذي قبل

ومع ذلك من بوزارة في هذا العهد، وبعد التبتوكي في أعقبه لم يفقد مكانها نهائياً، بل ما ورد في المورخون معاصرون قبل الفترة عن هذا المنصب في ظاهري فهو (ومن انتصب لهذه الوظيفة - أي الوزير - برمه السهوي من مهمات دولة وأمر بصرفه، بأن يحمل أثقالها، ويربح احتلالها، ويصبح أحوالها، ويحفظ رعاياها، ويسمي أموالها، ويتخدم الكفاة ويؤتيهم أعمالهم فمن أحسن رفعة، ومن عذر عربة، ويعتني بحبات لأموال وخرصة أسانها وصفت حسابها، ويعمل في حديثها ويصوم بسورج لمطاع^(١) كما يذكر لشمشدي بأن سورره (من أجل الوظائف، وأرفعها رتبة هي الحقيقة)^(٢)

لا أن أنادي حد من مفرد الوزير في هذا العهد، بل فقط نائب السلطان، وإنما إيجاد مجموعة من الوظائف على رأس كل منها شخص يدعى الناظر، كناظر بجيش، وناظر الحاص (أموال السلطان)، وناظر الدوة (الذي يشارك لوزير في الأمور العامة وعصيا المانية)، وهكذا^(٣)

عباد لأيوبيون واسمائيث اتحاد وزيرين، أحدهما من أرباب الأقاليم ويدعى وزير نصحيه، لأنه يرافق السلطان في أسفاره، وتنقلاته، ولاخر من أرباب السيوف، ويسمى ميماً في العاصمة، وسلطانه العمية أكر أهمية من وزير نصحيه^(٤) فضلاً عن ذلك، كان لكل بيانه من بيانات ششم وزير

(١) زيادة كشف الممالك ص ٩٣ - ٩٥

(٢) صحيح الأعشى ٤ - ٢٨

(٣) المصدر السابق ٥ / ٤٦٥ - ٤٦٦

(٤) عمي إبراهيم حسن تاريخ بيمارستك ص ٢٢٥ عن النجاشي المقصد ص ٢٦ و

يتمتع بها يتمتع به الوزير في مصر، ولم يكن يطبق عليه اسم الوزير وإنما ناظر المملكة اشريفه، و ناظر البطار^(١) أما مصدر تعيين الوزير فهو السultan مباشرة حيث يصدر ملك تقليد سبطي^(٢)

ولا بد من الإشارة إلى أن القلمشدي عرص نموذجين من الوزير في هذا العهد، أولهما يشبه وزير التصير حيث يكون مهمه (الإيصاء بالعدل وريادة الأموال وتسييرها، والإقبال على تحصيلها واحبار لأحكام إسح)^(٣)، وثانيهما يشبه وزير التسييد (أم الوزارة في زمانها فقد قدصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها إلا الاسم دون الرسم)^(٤)

هذا هو المحط الأساسي بتطور نظام الأمر، وسخاصة في العهدين الأيوبي والمملوكي، وسلاحظ أن في سحراض هذا التطور ما يوضح - إلى حد ما - مشكلة الوزارة في عهد رنكي

فقد ستحدث رنكي في إمارته منصب اسائب، وكان هذا نائب - كما رأيت - يتمتع بسلطات داريه واسعه في المجالاتات اسائيه والإدارية، ولأس، وما يسمى يوم بالمدع اسدي، فصلاً عن مهمه العسكرية، وهو بهذا يشبه إلى حد كبير ما كان يتمتع به النائب من صلاحيات في العهدين الأيوبي والمملوكي، مما أثر إلى حد كبير على اختصاصات الوزير، وأفقده الكثير من سلطاته العمدة وحمله - كما يعون القلمشدي - لا يثبت إلا الاسم دون الرسم وربما كان هذا هو السبب الأساسي في إفعال المصادر لذكر مهم واختصاصات وزير رنكي، وفتصارها على مراحمتهم الشحص وسي تعيينهم حسب

(١) القلمشدي صبح الأعشى ٤: ١٨٨، ١٨٩، ٣٠٩

(٢) المصدر السابق ١٢ - ٣٣

(٣) المصدر السابق ١٠ - ٩٢، ١١ - ٣٢١ - ٣٢٥

(٤) المصدر السابق ٥ - ٤٩٩

[لا أن المشكلة الأساسية في موضوع الور، ه في عهد رنكي سرر لدى تحليل منصب وزيره لمشهور جمال الدين الأصهباني فامصادر بجمع على أن منصب الورره في عهد رنكي مستمر مشعولاً طيله الفترة بين ٥٢٨ هـ و ٥٤١ هـ من قبل الكهر بوئي (٥٣٨ - ٥٤١) فما هو إداً دور جمال الدين الذي بطلق عليه بعض المصادر لقب (وزير صاحب الموصل) ^(١) وكف سمح هذا مع وجود وزراء آخرين لدى رنكي في هذه الفترة ^(٢)

بذكر المصادر من جهة أخرى - أن رنكي جعل جمال الدين (مشراف مملكته كنه، وحكمه تحكيمياً لا مريداً عليه) ^(٣)، فما هي طبيعة منصبه إداً ^(٤) لمن المعلومات المستحصرة، التي قدمت المصادر عن هذا الرجل، بقى صوءاً على الموضوع، فعبارة جعله رنكي مشرف مملكته كلها، تعني أن أعطي سلطة عامة وشاملة تتج لصالحها المهمة على كل الأمور لإدارة في الإمارة، وهذا يعني أن يكون منصبه أعلى في مستواه - من حيث الإشراف - من مستوى الوزير، وربما اسائب أيضاً، ويؤكد هذا ما أورده ابن خلكان من أن رنكي، بما أعطى جمال الدين ذلك المنصب، كان الوزير يومئذ الكهر بوئي، فبف توفي هذا عام ٥٣٦ وموسى الوزارة بعده أبو الرغف من صدق (بقى جمال الدين على وظائفه) ^(٥) وهذا يشير إصاً إلى أن منصب جمال الدين كان ثابتاً لا يتأثر بانتقبات الوزارة ويذكر ابن الأثير كف أن أحد الولاة توسط لدى الوزير الكهر بوئي لدى سماعه بن جمال الدين يسعى لعرله، وكف أن هذا الوزير أحده ما سمعت من جمال الدين شيئاً من هذا عهد رنكي، ومع هذا فامر حل يدخل قضي ويخرج بعدي فما أعسم ما يكون مع، ومن يرى كذلك إلى أن قتل رنكي ^(٦) ويظهر من هذه الرواية أن

(١) الباهر ص ٨ - ٩ ، البداري أن سنجوي ص ١٩٢ ، ابن سعد شرباب مذهب ٤ - ١٨٥

(٢) الباهر ص ١١٨ - ١١٩ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ٤ - ٢٢٨

(٣) وفيات الأعيان ٤ - ٢٢٨

(٤) الباهر ص ١١٨ - ١١٩

ارسل الكهون في جمال الدين لم يدفعه إلى الاصطدام معه، إذ أدرك ما في ذلك من خطورة، حيث كان جمال الدين يسند إلى قوة ريكى وحبه له وثيقته به. تدبث الثقة التي دفعه إلى (تحكيمه في إمارته تحكيمياً لا مريداً عنده) وبعل هذا يوضح - بدوره - طبيعة العلاقة بين جمال الدين ووريث ريكى، حيث يظهر أنه كان يتمتع بمركز أقوى من مركز لوريث

ولكن ما هي السلطات الفعلية التي كان جمال الدين يمارسها من خلال إشرافه العام؟ يقول ابن الأثير (قال وائدي كنت أرى من جمال الدين أموراً في أيام ريكى من كفاية واضطر في صعب الأمور وكبرها، والمحاكمة أي التحقيق - فهنا ما يدل على تمكنه من الكفاية^(١)، وتشير المصادر إلى أن ريكى هو على جمال الدين، هي الصلة الأخيرة من حكمه، في الإشراف على ديوانه، ورد رايه^(٢)، ومكة في مصبه^(٣)

ثم يحاول جمال الدين أن يسهل منصبه لجمع المال بحسبه الخاص بل كان بأحد ما يكفي لمعيشته (ويرفع جميع ما يحصل له إلى حراة ريكى)^(٤)، مما رد من اعتماد الأخير عليه وثيقته به، (فمكة من أصحاب ديوانه)^(٥)، وهكذا كان جمال الدين يتمتع بسلطات عمليه وسعه، وخاصة في مسائل الإشراف على الديوان والمسائل المالية

يتضح مما سبق أن جمال الدين كان يشغل مصاً خطراً، إلا أن لا يستطيع تحديد اسم هذا المنصب، خاصة وأن معظم المصادر تطلق على جمال الدين لقب (وريث) كما لا يمكن عتد جمال الدين وريثاً ثانياً في الموصل، واعتبار الآخر وريثاً صحة ينص مع ريكى أيضاً ما، ذلك أن

(١) المصدر السابق ص ٨٢

(٢) ابن الأثير آل سلجوق ص ٩٢ - ١٩٢، ب. حكي، ٤ - ٢٢٨ - ٢٢٩

(٣) البندري ص ١٩٢ - ١٩٣

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة

الوزير الثالث لدى الأيوبيين وانتمالكه كان من أرباب السوء سيما كان
جسداً ليس رجلاً مديناً - كما سري من ترجمته -، هـ فضلاً عن عدم
وجود ما يؤكد تنقل وزير الأحرار مع زنكي كوزير صحيه، لأن الكهنة
- مثلاً - يقولون عن نفسه (كان جمال الدين يدخل قبلي ويخرج بعدي، فما
أعلم ما يكون منه ومن يرل كذلك إلى أن قتل زنكي)^(١)، مما يؤكد أنه كان
مقيماً في الموصل، أو ملاًزماً لجمال الدين على الأهل ثم إن جمال الدين
نفسه كان يسفل أحياناً مع زنكي، كما حدث عام (٥٤٩) وهي السنة التي
قتل فيها زنكي حيث كان جمال الدين يصحبه

من الممكن - إذاً - عبور وظيفة جمال الدين مشابهة - إلى حد كبير - لمص
(نظر أبو ريس) أو (ناظر الدولة) في العهدين الأيوبي والمملوكي، وهو الذي
يعبر عنه في مصطلح (دواوين) باسم صاحب (الصحة الشريفة)، أي أنه يتحدث
مع وزير مي كل ما يتعلق بأعماله، ويشاركه في كتابة والتقارير على المصايف
المعروضة عليه وإذا صادف أن كان الوزير صاحب سيف، تولى الناظر
الإشراف على شؤون الدولة خاصة، واقتصرت مهام الوزير على تنفيذ^(٢)
وهذا الرأي يسلم تماماً مع كون جمال الدين (مشرافاً على ديوان،

وزراء زنكي:

الكهنة ٥٢٨ - ٥٣٦ هـ

تجمع المصنفون على أن أول من استورره زنكي هو صبياء دين أبو سعد
بهرام بن الحضر الكهنة^(٣) عام (٥٢٨) ويتضح من هذا أن السنوات

(١) الباهر ص ١١٨ - ١٩

(٢) الننفندي ص ٥ - ١٦٥

(٣) قبل تاريخ دمشق ص ٢١٣، الكمال ص ٥ - ٦ وميقات الأعيان ص ٢٢٨، ريد ص ٢

٢٥٤ - الكهنة نسبة إلى كفر برك وهي قرية من أعمال الجزيرة بين داس عين ودر

ياقوت معجم البلدان ص ٢٢٢

السبع لأوس من حكم رنكي لم يكن قد تعهد جلالها وريراً، وربما كان نائبه في الموصل هو الذي يقوم بمهام الوريث، مما جعل رنكي يسعى عن هذا المنصب طيلة تلك المدة

سم بشر المصاهر إلى الظروف التي دفعت رنكي إلى سحبها هذا المنصب في هذه السنة بالذات، كما نتج عن اتهام بني كلف الكهرتوني المقيم بها، وتكفي بالعول بأنه كان (مسهوراً، حسب الطريق والكفاية وحب الحشر والمذهب المصدا)^(١) وقد قدم مع رنكي إلى حلب^(٢)، مما يشير إلى أنه لم يكن مستقر في الموصل بشكل دائم

أبو الرضا بن صدقة ٥٣٦ - ٥٣٨ هـ،

بقي لكهرتوني في منصبه كوزير طيلة اثني عشر عاماً، ونوفي في شعبان عام ٥٣٦ هـ^(٣) دستور رنكي بحده جلال الدين أبو الرضا محمد بن صدقه^(٤)، الذي ترجع معرفته به إلى عام ٥٣١ هـ، وذلك عندما ثار أخيه العباسي الراشد ضد السلطان السجوق مسعود، وانضم إليه رنكي وعدد من الأمراء، وكان أبو الرضا بدلاً وريراً لراشد، وحدث أن تدهورت العلاقة بين أخيه ووريثه وسعى إلى انضمام إليه، فالتجأ أبو الرضا إلى رنكي الذي استطاع أن يفتح الحلقة بوعده إني أوردته^(٥) بعد هزيمة الرشيد ورنكي عام ٥٣٠ هـ توجه إلى الموصل، وكان أبو الرضا صاحبهما، وقد ألقاه رنكي بأشياء ناموصل إثر خروج الراشد منها^(٦)

(١) دبر تاريخ دمشق ص ٤٣ - ٢، ٢٧٥، الكامل ١ - ٥، ٣٧، ريد الحب ٢ - ٢٥٤

(٢) ريد الحب ٢ - ٢٥٤

(٣) دبر تاريخ دمشق ص ٢٧٥، الكامل ١١ - ٣٧، ريد الحب ٢ - ٢٧٦

(٤) دبر تاريخ دمشق ص ٢٧٧، بشاري تاريخ ابن الخطوط ورقه ١٦ ب (١١٧)

النداري آل ملجون ص ١٦٥، ريد الحب ٢ - ٢٧٦

(٥) الباهر ص ٥١ - ٥٣، الكامل ١١ - ١٥

(٦) ابن الجوزي المتظم ١١ - ٦٧ - ٦٨، البكري نعيم ٤ - ٨٤

و بما كان من أهم أسباب ترشيحه لنور، ه أنه مارس مهام هذا المنصب فترة من الزمن، بحيث أصبح له ذرية كافية فيه ولكنه لم يستمر في منصبه الجديد طويلاً، إذ عرته رنكي عام ٥٣٨ (لأسباب أوجبت ذلك ودعت إليه)^(١)، ويظهر أن أبو انرصم لم يقم بدور يذكر كوزير، وبشتر اس طماظ إلى أنه (لم يكن له من اسيرة ما يذكر)^(٢) أو حقيقة لأصاب انني دعت إلى عرته قريباً كما تبين تعود إلى عدم كفاءته، أو إلى موقف معين اتخذه مما دفع رنكي إلى إقننته، وقد عُد أبو انرصم بعد عرته إلى بغداد^(٣)

أبو العنائم حبشي ٥٣٨ - ٥٤١ هـ

متو . رنكي بعد رقالة أبي الرصم حبشي بن محمد الحبشي^(٤)، وينفرد ابن العديم بإشارة إلى هذا الوزير، دون أن يوضح دوره أو المهام التي أجزها

أبو المحاسن العجمي

يذكر بن العنلاسي أن رنكي ألقى النص عام ٥٣ هـ على وزيره أبي المحاسن علي بن أبي طالب العجمي، واعتمده في دفعه حلب حيث بقي هناك، سب مصادره للأموال (و مكارر المعاملات التي عجز عن القيام بها) وتأدية ما عليه من سرامات مالية^(٥) ويبدو من هذا النص أن رنكي كان يعتمد على وزيرين اثنين - أحداً - أحدهما مقره الموصل والآخر حلب، كما حدث في العهدين الأيوبي و المملوكي حيث عيّن عدة وزراء، في نياباتهم، وهم تشر بمصدر إلى نور و الذين سبقوا (لعجمي) وأعقبوه

(١) دبل سريخ دمشق ص ٢٧٧، القدرقي ب ١١٧ (مخطوطة رقم ٦ ص ١١٧)، دبل الحلب ٢ - ٢٧٦، ٢٧٨

(٢) الفهرقي في الأداب السلطانية ص ٢٤٧

(٣) القدرقي ورقة ١١٦ ب - ١١٧ أ

(٤) رتبة الحساب ٢ - ٢٧٨

(٥) دبل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

في منصب لواراه في حلب، ولكن الراجح أن رنكي رأى نفسه مضطراً إلى اعتماد وزيره هناك بالإشراف على الأمور الإدارية والمالية، لا سيما وأن نائبه في حلب (الأمير سوار) كان يصرف معظم وقته وجهوده في جهاده بالصليبيين، ولم يقدم المصادر عن ترجمة العجمي شيئاً يستحق الذكر.

جمال الدين الأصفهاني:

أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الحلقب بجمال الدين، والمعروف بالحواد الأصفهاني، تولى أبوه مناصب مهمة في بلاط لسطار السلجوقي ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) فلما ولد جمال الدين عني بآديبه، وعين كرس في خدمة ديوان السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، فظهرت كفايته، فلما ولي رنكي الموصل أصبح معه جمال الدين وفريته^(١)، وعينه أسولى على نصيبين في العام ١٠٠١ لهي ولاء عهده، فأبى عن براهه ومقدرة وكفايته فدعت رنكي إلى أن يصيب أترحيه إلى ولايته، وسرعان ما عاد جمال الدين من حواري رنكي وأكبر دعاته، فاستدعاه إلى الموصل وجعله (مشرف مملكته كلها)^(٢) - كما مر بنا -

وطالب المصادر في وصف أخلاق جمال الدين، مكره الأصواء عني كرمه العجيب، تلك الأخلاق التي عرته من رنكي، وجعلته محبوباً ومشهوراً في أنحاء واسعة من العالم الإسلامي، ومنحته لقب سحواد بكثرة حوزة، كما دعت أساء رنكي. فلما دعا إلى الاعتماد عليه في إدارة مدينتهم^(٣)

(١) البغدادي: آل سلجوقي ص ١٩٢ - ١٩٣، الباهر ص ١١٨ - ١٩.

(٢) الباهر ص ١١٨ - ١١٩، وفیات الأعيان ٤ - ٢٢٨.

(٣) يراجع بيان ترجمة جمال الدين بإسهاب، المصدر الثاني: بن تغلاسي: نيل ناريج دمشق ص ٣٥٦، البغدادي: آل سلجوقي ص ١٩٢ - ٩٣، ١٠١، ٢٠١، أس لائير: باهر ص ١١٨.

١١٩، ١٢٩، ١٣٠، الفكار ١١ - ٢٥ - ١٢٦، بن خنكار: وفیات الأعيان ٤ - ٢٢٨.

٢٢٩، بن كثير: أسياف وسيفه ١٢ - ٢٤٨ - ٢٤٩، بن الحماد: شرب ٤ - ١٨٥.

ينصح من استعراض مراحله هؤلاء الوزراء جميعاً أن معظمهم ليسوا من الموصل، بل ليسوا من إمارة زنكي، على سبيلها، فأبو ثرخيا من بغداد وبعثمي والأصهباني من بلاد فارس، وأبو العباس من حلب، ووزير الموصل من سكان الإمارة هو الكروموني، وأعلى انظر أن أهم العوامل التي دفعت زنكي إلى ذلك هي رغبة في عماد ودرء يشيرون بالانكسار والذوبان الإدارية اللامتناهية لتسيير شؤون إمارة تنسج أطرها يوماً بعد يوم وهذا عوامل أخرى كإخلاص والأمانة، فضلاً عن رباط الصداقة والتمسك بالبيعة، وربما كان منافع زنكي عن استقرار أهالي الموصل خوفاً من قيام الوزير (الموصلي) باستغلال منصبه وتغريب جماعته وأبصاره في وظائف الإمارة ومرافقتها المختلفة، وتجنباً لحدوث تكتلات داخل جبهة الإداري وإن لم يسمع هذا من قيام بعض وزراء به ممارسة هذه الأخطاء

وينصح من هذا الاستعراض - كذلك - أن زنكي سمور أشخاص مدنيين، وبحسبي لقائه والأمراء والعسكريين، وربما قدر أن منصب الوزير نظمته منصب مدني يسد إلى أرباب الأفلام لا السوف، ومن ثم لا نجد في عهد زنكي ما حدث في العهدين الأيوبي والممركي مثلاً - من اتحاد وزيرين أحدهما من أرباب السوف والآخر من أرباب الأفلام، ثم إن هذا الاستعراض ليس لنا أن نحل ونعبر الوزراء كان بد زنكي مباشرة، ولا علاقة لكبار الموظفين - كإساليب مثلاً - بهذا الأمر.

الموظفون ونظام التوظيف والدواوين

هتم زنكي بأمر الموظفين اهتماماً كبيراً كي يستطيع أن يسير أمور دولته بشكل منظم، وكي يحسن جهده الإداري بهرب أبي كثيراً ما تعرقل سير الأمور، وقد طبق زنكي مبدأ تكافؤ الفرص في المجال الإداري كي يحقق هدفه انه ان يصرح يديه على الموظفين لأكفاء، فكان (يتعهد

أصحابه وبمحتاجهم، فلا يرفع أحداً فوق قدره الذي يستحقه ولا يصعب
دونه^(١)، كما كان يجعل كفاءة شخص أساساً لتقدير راتبه^(٢)

وكان رنكي من جهة أخرى يولي موظفيه ثقة (على قدر ما يحسن
منهم) كي يشعرهم بالأمن والاستقرار، وهو أمر ضروري لتقديم خدماتهم
الإدارية على أحسن وجه فكان (قبل النوب والسن بطيء الملل والتعب
شديد عزم، لم يعبر على أحد من أصحابه مد ملت يسي أن فعل إلا بدت
يوجب اتعيب، والأمراء والمقدمون يدين كانوا معه أولاً، هم يدين مص
أخيراً، فلهذا كانوا يصحونه ويسحبون مرسهم له)^(٣) وهذا هو الذي دعا
جمال الدين انوير إلى وصف رنكي بأنه كان (ممكن قوي العزم لا يجاسر
أحد على الاعتراض عيه ولا يثبون بأقوال أصحابه) مما دفع صحابه إلى
(حفظه)^(٤)

كان رنكي يسمي موظفيه من (الرجال ذوي المهم رعاية، والآراء
الصائفة، والأفكار الأنيقة)^(٥)، فإذا ما أوصف إلى ذلك بوسيعه في روائب
موظفيه^(٦)، أدركنا مدى إخلاص هؤلاء به ولعملهم، ومدى سر الأمور
الإدارية في ولايته مبرططياً، وخير من على ذلك موظفه الكبير جمال
الدين الأصهباني الذي أظهر في أيامه (من الكفاية واسطر في صغير الأمور
وكبرها، و (لتحقيق) فيها ما يدل على تمكنه من الكتابة)، فلم يورر - جمال
الدين نفسه - لفظ الدين مودرد بن رنكي، قبل كفايته وصار يهمل بعض

(١) الباهر ص ٧٩، الروضتين ١ - ١١١

(٢) الباهر ص ٦٣

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة

(٤) المصدر السابق ص ٨٢ - ٨٣

(٥) المصدر السابق ص ٨٢، الروضتين ١ - ١١٤

(٦) المصدران السابقان، نفس الصفحات

الأمر، وعندما سأله أحد الموظفين عن اسبب في ذلك أجاب (لست الكفاية عبارة عن فعل واحد في كل زمان، إنما هي أب يسلك الإنسان في كل زمان وما يناسبه)^(١)!

كان رنكي يؤمن بما يسمى اليوم (الدكتاتور العادل)! ويسمى إلى تطبيق هذا المبدأ في مجال الإدارة، فكان يقول (ما ينص أن يكون أكثر من ظالم واحد - يعني نفسه -)^(٢)، وواضح من هذا أن كلمة ظالم لا تعني - هنا - مفهومها للعوي بقدر ما تعني سيطرة فردية لمركزية في الحكم، وعدم السماح للموظفين الآخرين بالارتفع إلى مستوى مسؤوليته في الإدارة، ومشاركته في الحكم، ولهذا اسبب نفسه لم يكن رنكي يسمح بموظف وعماله يظلم أحد من أفراد الرعية، أو اسعرض بهم بأي أدى، وقد عذب عن يدين اديبيسي - وهو من اكابر امرائه - لأنه سلب أحد يهود جريرة بر عمر بيته^(٣)، وعاقب أحد ولاته بسمل عه شعرضه لامرأة^(٤)، (مخاف الولاة ورجرو)^(٥)، و (عجبر العوي عن ظلم الصعيه)^(٦)

ولذلك أيضا كان يهوى أصحابه وموظفيه عن فناء لأملاك، فائلاً لهم (ما دام البلاد بأيدينا فأى حاجة بكم إلى الأملاك؟ فإن الإقطاعات تعي عنها، فإن حرجت بلاد من أيدي، فإن الأملاك تذهب معها!) ومنى صارت الأملاك لأصحاب لسلطان ظلموا الرعية، وتعذبوا عندهم، وعصبوهم أملاكهم^(٧) وقد لخص رنكي بهذا التصريح سياسته العادلة إزاء

(١) الباهر ص ٨٢ - ٨٣

(٢) ريدة الحب ٢ - ٢٨٤

(٣) الباهر ص ٧٦ - ٧٧، الكامل ١١ - ٤٥، الروضتين ١ - ١٠٩ - ١١٠

(٤) الباهر ص ٨٤، الكامل ١١ - ٤٥، سبط ابن الجوري - مرآة الزمان ٨ - ١٩٠

(٥) سبط ابن الجوري - مرآة ٨ - ١٩٠

(٦) الباهر ص ٧٦ - ٧٧، ريدة الحب ٢ - ٢٨٤

(٧) الباهر ص ٧٧، روضتين ١ - ١١٠، ابن واصل - مرجع الكروب ١ - ١٠١

الوعه، وموقفه من موظفيه، كما أوضح مفهومه عن الحكم لمشتد العادل، وهذا هو الذي دفع عدداً من المؤرخين إلى التأكيد على سياسته العادلة لدى استعراضهم لسيرته^(١)، وإليه - على سبيل المثال - كتب بتفصيل إراءه ابرعبي وبتعدادهم، ويروي اس واصل أن رنكي كان يمارس لظلم في بدء أمره، فسمع في إحدى ابالي شخصاً يعني سبر من الشر عن عدل، فكنى وتندت بيه في الظلم، وألزم نفسه بالعدل منذ ذلك اليوم^(٢) كما يشير ابن العديم إلى أن أهل حران امتدحوا سياسة رنكي انعادته معهم ثم يقول (ويُدعى أنه لا يحضر أحد من رعبته، كائناً من كان، أن يظلم أحداً من خلق الله)^(٣)

ولكن الذي يؤخذ على رنكي - في هذا المجال - سماحه بعض كبار موظفيه - كاباغسبي وجفر - بظلم برعية، وتعاصيه عن هذا الظلم، ويشير هؤلاء لاس منقذ، في تعليقه به عن كبار موظفيه، إلى مدى هذا الساهل إراء هؤلاء، إراء قار (ثلاثة عداد أحدهم يخاف الله تعالى وما يخافني يعني رين اندين ولاخر يخافني وما يخاف الله تعالى يعني جفر، ولاخر ما يخاف الله ولا يخافني ويعني ابياعسياني)^(٤) وعلى به حران هؤلاء عدماً كهده لا يمكن بحال أن يسم سياسة رنكي بالظلم، ويعني كل التأكيد السابعة

في الكلام عن الوصف ونظام التوظيف يجربنا إلى موضوع تدوين وتنظيمها وعددها وخصائصها كل منها، وهل كان هناك عدد من تدوينها يسمع كل منها باستقلاله عن الآخر؟ أم أنها ركزت - جميعاً - في ديوان واحد

(١) ابرعبي ٧٦ - ٧٧، تكامل ١١ - ٤٥، مخرج الكروب ١ - ١٠ - ١١ ابرعبي، البداية ونهاية ١٢ - ٢٢١

(٢) مخرج الكروب ١ - ١٠ - ١١

(٣) رنده ابحيب ٢ - ١٨٤ معه العقب بمحطوطة ٨ - ٢١١ (و) خامسة انريه ٢ - ٢٨٤

(٤) الاعتبار ص ١٥٧

يمتدّ كثر الاختصاصات بشكل محتضّر^(١) من نحو واحد عدد كثر^(٢) من الدواوين المسبقة شهدها بغيران الأيوبي وسمملوكي، كديوان المساجرات و لعميات الشريعة، وديوان لأحبس (ما يحبس به من الأراذل)، وديوان الإشراف (عن أسباب الإشراف، وديوان العمائر (يتعلق بالمهندسين وأرباب العمائر)، وديوان المدخيرة (تجميع به أموال المدخيرة من جهات متعددة)، وديوان الاستيفاء، وديوان البركة، وعدد كبير آخر من الدواوين التي كان لكل منها ناظر ومشور^(٣) فهل كان في إماره رنكي مثل هذا التخصص في الدواوين؟

لدي ملاحظ أنه - فيما عدا ديوان الجند^(٤) - لم ترد سوى ثلث من عن الديوان بصفة عامة، إحداهم نقول إن رنكي حصل جمال الدين مشرف ديوانه، وهي لا نعلم صورة عن اختصاصات ديوان وأقامه لماب، ولإدوية المحلقة رغم أن هذا الديوان كان - على ما يظهر - ذا أهمية كبرى بحيث حصل لأصغها في مشرف عنه، وهو الذي عرفا عنه أنه كان يتمتع بمصب أكثر أهمية من منصب الوزارة، مما يشير إلى أن وظيفته الإشراف على الديوان كانت على درجه كبيرة من لأهميه

أما الإشارة الثابتة إلى ديوان فهي تلك التي أوردها ابن الأثير وتمون إن ديوان رنكي كان (يقاس بدواوين السلاطين السلجوقيه لكثرة الحجم، وبماد الأمر، وعظم نحاشيه وجرح)^(٥) وهذا يؤكد أهمية ذلك الديوان وبموقعه مريحة مقدمة من لاتساع والسو وكثرة الموظفين وصاحب المصروفات؛ بحيث إن أي مراجع كان يقصده كان يجد من (توفر موظفي عيه ونظرهم في مصالحه ما يجعله كأنه في أهله)^(٦)

(١) الطاهري رتبة كشف المبالك ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) انظر فصل (النظم العسكرية الجيوش)

(٣) الباهر ص ٨٣

(٤) انظر السابق، نفس الصفحة

الأمن الداخلي والإعمار

مستطع رنكي، بإدارته الحارمة (وسطه للأمور)^(١)، وعدته، ومساعدته، أجهزة لجيش وسيد، أن يحضر نتائج هامة في إمارته في مجال إقرار الأمر. ولعمد على المفسدين وبشر العمران في البلاد، حيث يشير ابن العديم إلى أن البلاد عمرت في أيام رنكي (بعد خرابها، وساد الأمن بعد بحوف، وكان رنكي لا يفتي على ممد)^(٢) وقد كان الأمر مضطرباً في الموصل نفسها خلال الفترة التي سبقت حكم رنكي ويور، من الأثر بصاً يفتي صوء على الموضوع، رغم ما فيه من ماضيه، يمول فيه (كان أساس لا يمدرون على انمشي إلى لجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة)^(٣) وكانت معظم مناطق الموصل البعيدة عن المركز حرة لا عمران فيها ولا أمن، وسرعان ما عاد العمران هذه المناطق بدي مجيء رنكي^(٤)، بفضل حمايته لبلاد، ومعه المفسدين، وكعه أيدي الأتوياء^(٥).

كان لأثر الأمن في المنطقة أثر واضح في زيادة عدد السكان في إمارته، رنكي^(٦)، كما عدت الموصل ملجأ للمهاجرين من بغداد بسبب فقدان الأمن هناك وشتداد بصوئق لاقتصادية^(٧) وبالإمكان معرفة الدور الذي لعبه رنكي في محو الأمن بسج ذلك في الأيام التي أعقب عبه حيث اضطرب الأعقاب، واحتلت الممات، وانطبقت أيدي الحرامنة في إعمار الأطراف والعت في سائر الواحي^(٨).

(١) المصدر السابق ص ٧٧

(٢) ردة الحلب ٢ - ٢٨٤

(٣) الباهر ص ٧٧، بكر ص ١٠١ - ١٠٥ والبز ابن العربي مختصر تاريخ البز ص ٢٠٦ - ٢٠٧

(٤) الباهر ص ٧٧، الكامل ١١ - ١٥

(٥) الباهر ص ٧٧ - ٧٨

(٦) الكامل ١١ - ١٥

(٧) المصدر السابق ١١ - ٢٥، ابن خلدون البز ص ١٣ - ٥

(٨) أبو شامة الروضين ١ - ١١٥ - ١١٨

وعنده كان زنكي يسطر على ممد، ثم يكن يترك حبه به بتحكمه
بمقدرته ويسيتوب إلى أهاليها ويشرون امرعب وافوصى في ربوعها، بل
كان سرعان ما يعين عليها ولياً من قبله كي تكون انكسمة والسلطة بأيدي
رجل مدس، من أجل إحلال الأمن في المدينة وإعمارها

وكذا لا يسمح أبداً لجنده خلال التحركات والعمليات الحربية
أن يعتبروا على الإطلاق نهب أو تحريب مر دعهم (فكان لعسكر يمشي
جده كأنهم بين حيطين، محاذ أن يدوس العسكر شيئاً من الترع ولا
بجسر أحد من أحاده أن بأحد ولو مقدراً شيئاً من أشن - من فلاح إلا
شبه، أو يحط من الديوان إلى رأس انقريه، وإن بعدى أحد صبه)^(١)

ومرراً عسده، وفي مناطق محله، أثبت زنكي حبه لنظام، ولا استقرار
وكراهيته لتحريب وإهدم وسسط عسكري فهي عام ٥٢٨ مثلاً قام
بإقضاء على أعمال النهب والفوضى التي كان يقوم بها بعض أفراد شرمي
الموصل ضد الأهالي^(٢) وفي عام ٥٣٣ استولى على منطقة شهرزور
التركمانية (فأصبح أحوال أهلها وخفف عنهم ما كانوا يلحونه من
التركمات)^(٣)، وفي عام ٥٣٧ استطاع أن يستولي على عدد من حصون
الأكراد شمالي الموصل وأن يقضي على أعمال الفساد في المنطقة^(٤) وفي
عام ٥٣٩ هـ قام عكره - إثر استرجاع برها من الصليبيين - باستباحة
المدينة خلال الأيام الأولى من الفتح (فما دخل زنكي أبداً أعجبه منظره،
فأسف مثله من حرب، ورأى أن تحريبه وإحلاؤه من أهله غير مستحسن
من مثله، فأمر بإعادته ما أخذ من سبي وموال، فردى عن آخرهم وعاد

(١) ابن النديم ربه، مطلب ٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤، الباهر ص ٩١، الكامل ١ - ٥١

(٢) الباهر ص ٨٠، الكامل ١١ - ٥٠، صرح بكروب ١ - ٥٥

(٣) الباهر ص ٥٧ - ٥٨

(٤) المصدر السابق ص ٦٤، ضبط ابن الجوزي، مرة الزمان ٨ - ١٩١

السند عسراً أهلاً أمناً^(١) ثم أصدر أوامره بإعادة عمار أبرها^(٢) ولا أدب على حب رنكي بالإعمار ورفقه بأهلي المداوى المصوحه من تعيينه بحكم الدين أبوب ولياً على مملكت عام ٥٣٤ هـ، وهو الذي توسط لدى رنكي في العفو عن أمراء مملكت الذين حكم عليهم بالإعدام، فأحياه رنكي إلى طله وولاه على مملكت وأقطعه ثلثها^(٣)

وقد تبع رنكي ما يمكن تسميته بـ (سياسة الترحيل)، أي نقل جماعة من مكان إلى مكان، حر تحقيق غرضين أولهما استمكين لحكمه في بعض المناطق لي سوس عليها، وثانيهما اتحاد بعض هذه الجماعات كغروب حاجرة بين ممتلكاته وبين مناطق لأعداء، ففي عام ٥٣٦ هـ استوس على مدينه الجديدة الواقعة على لفرات، ونقل من كان بها من المهرش إلى الموصل، ورب أصحابه فيها^(٤)، وأعلب الظن أن المهرش هم حكام (الجديشه) الذين كانوا يهددون سيطرة رنكي على المدينه مما اضطره إلى إبعادهم. وفي عام ٥٤٠ هـ عندما أعلن أرمس أبرها العصيان ضد رنكي ومنتطاع ذاته رين الدين كحك اب يقضي على المحارلة، أمره رنكي بإعدام قادة المرامرة، ثم دم ترحيل بعض لأرمس من مدينه، وأحل محلهم ثلاثه عائلة يهوديه، بخلصاً من خطر وجودهم^(٥)

وخلال فترة مبكرة من حكم رنكي دم ينقل طائفه من الشركمات تدعى (الإيوانية) مع أميرهم ياروي أرسلان إلى شام، وأسكنهم في ولاية حلب، وأمرهم بجهاد الصليبيين، ومنحهم لحق في قملك كل ما سوجو، عليه من

(١) الأبرص ص ٦٩، الكامل ١١ - ٤٠ - ٤١

(٢) ربه الحب ٢ - ٢٧٩ - ٢٨٠

(٣) بوشمه التروغيتين ١ - ٨٦ - ٨٧

(٤) ابن الجوزي المتظم ١٠ - ١٠٢، لكاس ١١ - ٣٦ - ٣٧

(٥) Runciman. A History of the Crusades 11/230. 39

الملاذ العائده لهذه الأمان، وقد استطاعت هذه الطائفة - فعلاً - أن تسترد من الصليبيين الكثير من الأراضي المحيطة بحلب حيث بقيت بأيديهم إلى سنة ٦١٠ هـ^(١) وكان يروق مقدماً كبيراً، ولديه سببت الطائفة البازوقية من التركمان، وقد حققت هذه الطائفة فضلاً عن اعتمادها الحربية نتائج عملاقة، إذ سى ياروق وأبناؤه، على شاطئ نهر قويق نمار حلب، عداً كثيرة عرفت بالبازوقية، واشتهرت هناك^(٢)

ثم تطرق المصادر بحرف إلى جهاز الذي نظمته زنكي لسطح الأمن الداخلي كاشطرة مثلاً، ولا توجد هناك شارة واحدة إلى وجود شرطية في عهد زنكي، إلا أن هذا لا يجعله بجرم بعدم وجود رئيس لشرطته أو مسؤول أعلى بالأمن وأعرب لظن أن زنكي اعتمد - في هذا المجال - على حد كبير - على جهاز استخبارته دقيق^(٣)، وعلى البريد، للمساعدة في تحقيق الأمن الداخلي، إضافة إلى مهمات هذين الجهازين في الأمن الخارجي أو السياسي، ويمكن القول بأن جهاز زنكي وحرصه وحمايات المدن ونوا - كذلك - بدور تنفيذي هام في هذا المجال

وقد طرأ على نظام البريد تقدم واضح في عهد زنكي، لا سيما بعدما أصابه من اضطراب إثر الحروب التي نشبت بين السلجوقيين، وقد ذكر العلامشي أن هؤلاء اقتصروا في بريدهم على حمل وبعث، وأن بدون البرقية أدخلت بحسن سرعة الحركة في الخدمات البريدية^(٤) كما استعملت الحمام في نقل رسائل التي تتطلب سرعة أكثر، كما يهمهم من أورده المؤرخ المذكور من أن الحمام، الذي عرف استخدامه في مصر

(١) الباهر ص ٨٠، الروميين ١١١ - ١١٢

(٢) أبو الفداء المختصر ٥ - ٦٦

(٣) سبق الحديث عنه في الكلام عن (جيش زنكي)

(٤) صبح الأعشى ١٤ - ٢٦٩ - ٢٧٠

و شام، كان قد نقل عن الموصل (وأس أول من عثى بها من الملوك ونقله من الموصل، هو نور الدين محمود بن زنكي عام ٥٦٥ هـ)^(١) ولا ريب أن استخدام الحمام في البريد - فضلاً عن الحمل السريعه - قد حقق تقدماً كبيراً في مجال الخدمات البريدية، وهدم تركي معلومات ذات قيمة في صبط أمور مملكته



مصادر البحث

١- المصادر القديمة:

- بن الأشهر: أبو الحسن عمر بن عبد الله بن عبد الكريم الشيباني الحريري (٢٣٠ هـ) تاريخ الباهر في الدولة الأسكنة (باصوصل) بحقيق عبد القادر أحمد طيمات، دار الكتب بحديث القاهرة - ١٩٦٣ م الكامل في التاريخ، ١٢ جزءاً، دار لطابعه، القاهرة - ١٢٩٠ هـ
- لاريلى: عبد الرحمن مسط بن مسبو (ب ٧١٧ هـ) خلاصة الذهب بحسبك (مختصر من سير النبوك)، مطبعة جازر جروس اندرس ١٨٨٥ م
- بن ايامن: محمد بن أحمد بن عباس الحمفي المصري (ب ٩٣٠ هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور، جزءان، ط ١، المطبعة الكبرى لأمنية، مصر ١٨٩٤ م
- البدليسي: شرف حان (أنف في أو خو ١٠٠٥ هـ) شرمه، جزءان، ترجمة محمد عني عوني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٥٨ م
- بن بطوطه: محمد بن عبد الله بن هبم لمرني الطنجي (ب ٧٧٩ هـ) حجه بنظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر بيروت - ١٩٦٠
- البنداري: النصح بن علي بن محمد لأصفهاني (ب ٦٤٣ هـ) تاريخ دولة آل سنجوق، من رساء عماد بندير محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني (ب ٥٩٧ هـ) واحتصار (البنداري)، مطبعة الموسوعات، مصر - ١٩٠٠ م
- بن تهرى بوي: جمال بندين أبو محمد بن تهرى بردي الأسكني (ب ٨٧٤ هـ) نجوم القاهرة في أحبار مصر والقاهرة، ١٣ جزءاً، ط ١، مطبعة دار انكسب المصرية، القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م

بن الساعدي: أبو طالب عمي بن سجد تاج الدين (ب ٦٧٤ هـ) جامع مختصر في علوم سواريج وعبود نسبو، عمي مشرد مصطفى حراد، مطبعة السريانية كاثوليكية، بغداد ١٣٥٣ هـ. مختصر أخبار خلفاء (مختصر من قبل مؤرخ مجهول من أهل القرن السابع للهجرة في أوخر منه ٦٦٦ هـ، ولأصل لابن الساعدي)، ط ١، مطبعة الأميرية ببولاق، مصر ١٣٠٩ هـ.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غراو عمي لمركي (ب ٦٥٤ هـ) مرآة العرب في تاريخ الأعيان، جزء ١، ط ١، مطبعة مجلس دار، لعماري العثمانة حيدر آباد لكهن، الهند ١٣٧٠ هـ.

نسيكي: أبو نصر عبد الوهاب بن نفي الدين (٧٧١ هـ) طبقات الشافعية الكبرى ١ آخر ١، ط ١، مطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٤ هـ. معبد لحم ومسد ايتقم، طبعه David W Myhrman لندن ١٩٠٨ م.

السيوطي: حلال ندين عبد الرحمن بن أبي بكر (ب ٩١ هـ) تاريخ الحنفية تحقيق محمد محيي الدين عبد محمد ط ٢، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧٨ هـ.

بو هامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن عديسي (ب ٦٦٥ هـ) كتاب الروصتين في أخبار الدولتين امورية والصلاحية، جزء ١، تحقيق محمد حمدي محمد أحمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و نشر، القاهرة ١٩٥٦ م.

لوودروري: أبو شجاع محمد بن الحسين (ب ٤٨٨ هـ) ديل تجارت الأمم، تحقيق أمبروز، شركة التمدن، مصر ١٩١٦ م.

بن شاهين لقاوري: عرس ندين حيدر (ب ٨٧٣ هـ) ريد كشف مصالبي وبيان الطرق والصلوات، صححه يوسف راوس، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩١ م.

بن الصحنه: أبو سويد محمد (ب ٨٨٣ هـ) روضة مصطر في أخبار الأول و لأواخر، مشور حاشه الكمال لاس لأثر في الأخرء ٨٠٧، ٩، دار الطبعة، القاهرة ١٢٩٠ هـ.

- بين هدايا: الفاضل بهاء الدين (ت ٦٣٢ هـ) النوادر السلطانية و بمحاسن انبوسه القاهرة ١٩٦٢ م
- بين هدايا: عمر الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨١ هـ) لأعلاق الحفتره في ذكر أبرء الشام و جريرة، قسم جريرة مخطوطة (أكسورد - م. Bodl Marsh 33) قسم حسب تحقيق دومينيك سوردين، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥٣ قسم بيان و لأردن وفلسطين تحقيق سامي الدخان، المعهد الفرنسي، دمشق - ١٩٦٢ م
- ضمائم لدين ابن لاثير (ت ٦٣٦ هـ) رسائل ابن الأثير، تحقيق أبيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٥٩ م
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ البرسل و لملوك، ٢ أجزاء، طبع دي عوه، لبنان - ١٨٧٩ م
- بين المخطوطات: محمد بن علي بن طيب الطبري (ت ٧٠٩ هـ) المصري في الأدب السلطانية و جدول الإملائية، مطبعة محمد علي صبيح، الأزهر - ١٩٦٢ م
- بين العبري: غريغوريوس المنطي (ت ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م) تاريخ مختصر لدول، تحقيق أسطول صاحباني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - ١٩٥٨ م
- بين القديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن عبد الله (ت ٦٦ هـ) رتبة الحجب من تاريخ حسب، أجزاء، تحقيق سامي الدخان، المعهد الفرنسي، دمشق - ١٩٥٤ م
- تفصيلي: محمد بن علي (ت ٥٥٦ هـ) تاريخ عظيمي، مخطوطة بشرها كلود كاهين في مجلة (A. u)، باريس - ١٩٣٨ م، و نشر سامي الدخان بعض أقسامها المهمة في حاشية رتبة الحجب
- بين العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد يحيى (ت ١٠٨٩ هـ) شرواب الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، مكتبة النفدي، القاهرة - ١٣٥٠ هـ

- نعمري: شهاب الدين أحمد بن فضل له (ب ٧٤٩ هـ) بحريف بالمصطلح
الشريف، القاهرة. ١٣١٢ هـ. مكتب لأبصار في ممالك لأمصرا،
الجزء الأول. تحقيق أحمد كح، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة. -
١٩٢٤ م
- الغاري، أحمد يوسف بن علي بن لاري (ت ٥٧٢ هـ) تاريخ أمد وحيه فارس،
مستورده من (Oxford 6 310) نشر القسم الأول منها بدوي عبد
المنعم عوض، نهاية العامة مشور، المطابع الأميرية، القاهرة. -
١٣٧٩ هـ
- أبو الفداء: ابنك بمزيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ب ٧٣٢ هـ) تقويم
السلطان، تحقيق مالك كوكس ديسلان، دار الطباعة السلطانية باريس
١٨٤٠ م. المنحصر في أخيه اليشر، مجلدان، دار الكتاب العربي
بيروت
- نعماني: أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ب ١٩ ١ هـ) أخبار الدول وأثار
الأول مشور في حاشية الكامل لاس الأثير الأخر. ٦١ دار الطباعة
القاهرة. - ١٢٩٠ هـ
- بن القلاسي: أبو يعنى حمزة (ب ٥٥٥ هـ) دبل ن ربح دمشق، تحقيق أمرو، مطبعة
الآباء اليسوعيين، بيروت. - ١٩٠٨ م
- نقلقندي: أحمد بن علي بن أبي ليس نقاهري شافعي (ت ٨٢١ هـ) صبح
الأعشى في صناعة الإث، ٤ جزءاً، المطبعة الأميرية ودار الكتب
المصرية، القاهرة. - ١٩١٣ - ١٩٢٢ م
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ب ٧٧٤ هـ) بده والنهاية في التاريخ، ١٤
جزءاً، مطبعة السعادة، القاهرة. - ١٩٣٢ م
- نعمودي: أبو الحسن علي بن الحسن (ب ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن
الجزهر، ٩ أجزاء، تحقيق باويه دي عيار، باريس ١٨٧٤ م
- مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (ب ٤٢١ هـ) نجا ب لأعم وندوب بهم
جزءان، تحقيق أمرو، وهرليوث، لندن ١٩١٣ م

- المعروف باليشاري (ت ٣٧٥ هـ) أحسن لتفاسم في معرفة الأقاليم
تحقيق دي عوي، مطبعة بريل ليدن - ١٩٠٦ م
- نصير ندين أحمد بر عني (ت ٨٠٥ هـ) مسندك معرفة دول محمود، ٦
أجزاء، تحقيق محمد مصطفى ريده، دار مكتب المصرية، القاهرة
١٩٣٦ م المواعظ والأعصار بذكر بخطط والآثار، أجزاء، مطبعة
برلاني، القاهرة - ١٢٧٠ هـ
- أسامة بن مرشد كتابي الشيرازي (ت ٥٨٤ هـ) كتاب الأعيان، تحقيق
عبدلحفيظ، مطبعة جامعة برنستون - انولاياب المتحدة - ١٩٣٠ م
- جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ) معراج مكرروب في أخبار بني
أيوب، ٣ أجزاء، تحقيق جمال ندين الشبان، جامعة فؤاد الأول، القاهرة
- ١٩٥٣ م
- بن التوردي، ريس ندين عمر (ت ٧٥ هـ) نسبه مختصر في تاريخ بني، أجزاء،
المطبعة لوهية، القاهرة - ١٢٨٥ هـ
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله لحموي الرومي بغدادي (ت ٦٢٦ هـ)
معجم ليدان، ٦ أجزاء، تحقيق مستمند، ليبك - ١٨٦٦
- ٢- المراجع الحديثة
- بيومي علي قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر الحديث، القاهرة - ٩٥٢
م
- يوتيانك، أنس الإفطاحه في مصر وسورية وفلسطين وسائر، ترجمة عطف كرم
مشورت وزارة التربية الوطنية، بيروت - ١٩٤٨ م
- حبشي، حسن نور الدين وانصليبيو، دار الفكر العربي، القاهرة - ١٩٤٨ م
- إبراهيم حسن، عني دراسات في تاريخ المماليك البحرية (وفي عصر ناصر محمد بوجه
خاص)، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨ م
- حسنين، عبد المنعم سلاخقه إيران و العراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة
١٩٥٩ م

- وعصفان، سيمر محاضرات في سديب البيرونية - الحروب الصليبية، ترجمه صاحب أحمد العلي، مطبعة وراره معارف، بغداد - ١٩٥٦ م
- زامياور، إدوارد جون معجم لأسباب و الأسباب انعكاسه في تاريخ الإسلام، جزء ١، ترجمه وإخراج ركي محمد حس ورافقه، مطبعة جامعة مؤ، الأول، القاهرة - ١٩٥١ م
- ركي، محمد أمين خلاصة تاريخ بكر وكرديسان، مسجده الأول، ترجمه محمد علي عوي مطبعة السعادة، القاهرة - ١٩٣٦ م تاريخ لدون و لإمارات الكرديه في معهد لإسلامي، وهو المجلد الثاني) من (خلاصة تاريخ بكر)، ترجمه محمد علي عوي، مطبعة السعادة، القاهرة - ١٩٤٨ م
- سعداوي، نظير حسن -تاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، مكتب انهاء المصريه لقاهره - ١٩٥٧ م نظام البريد في دولة لإسلامية، دار مصر للطباعة، القاهرة - ١٩٥٣ م
- شاعور، سعيد عبد صاح الحركة نصيبية، جزء ١، مطبعة نجده البيان العربي، القاهرة - ١٩٦٣ م
- نعميس، السيد انبر، مشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار نهضة عربية القاهرة - ١٩٦٣ م
- نسترانج، كي، بندان الخلافة الشرقية، ترجمة وتحقيق بشير فرسيش وكوركيس عود، مطبوعات للمجمع العلمي، بغداد - ١٩٥٤ م
- ساجد و البنا، عبد المصم واحد، علي ابن، لأطلس ابن يحيي بقدم الإسلام في المعصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة - ١٩٦٠ م

٢. المراجع الأجنبية:

- Cahen: Claude, La Syrie de Nord à L'époque des Croisades, (Paris - 1940),
Mouvements POPULAIRES ET Anomie Urbaine dans l'Asie Musulmane du
Moyen Age, (Leiden -1995).
- Dozy: R. Supplement aux Dictionnaires Arabes, (Leiden. 1927).
- Gibb: H.H.R. The damascua Chronical of the Crusades, (London -1932) Zengi and
the Fall of Edessa, (Setton, Vol.I, PP. 449-462.
- Grousset: Rene, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3
vols. (paris1934-1936.
- Lambton: Ann K.s. Landlord and peasant in persia, (London -1953.
- Lane- Pool: S. A History of Egypt in the Middle Ages, (London1926. Saladin and the
fall of the Kingdom of Jerusalem, (London 1898. The Mohammedan Dynasties, (Paris
-1925.
- Nicholson: R.L. The Growth of the latin States, 1118-1144 (Setton, Vol. I, 410-447.
- Runciman: Stevn. A History of Crusades, 3 Vol. Cambridge 1957.
- Setton: K.M. A History of the crusades, 2 vols. (Pennsylvania 1955,1958).
- Stevenson: W.B. The Crusaders in the east, (Cambridge - 1907.
- The encyclopedia of Islam, I, 2, Edition, (Leiden - London).

فهرس الموضوعات

٥	المقدمة
٥	١. ملاحظات
١٢	٢. تحليل المصدر
٢٣	الفصل الأول: نسب عماد الدين زنكي ونشأته السياسية
٢٣	نبه ودور أبيه
٢٧	نشأته السياسية
	الفصل الثاني: علاقات عماد الدين زنكي بالخلافة العباسية والسلطنة
٣٩	السلجوقية
٥٧	الفصل الثالث: عماد الدين زنكي وإمارات المدن
٥٨	جزيرة ابن عمر ٥٢١ هـ
٥٩	حلب ٥٢٢ هـ
٦١	سنجار والخابور - ٥٢٣ هـ
٦٢	حراة ٥٢٣ هـ
٦٣	كربل ٥٢٦ هـ
٦٤	بنو أيوب حكام تكريت ٥٢٦ - ٥٤١ هـ
٦٦	الرقعة ٥٢٩ هـ
٦٧	دقوقا ٥٣١ هـ وشهر زور ٥٣٤ هـ

٦٨	الحديثة وعانة ٥٣٦ - ٥٣٨ هـ
٦٩	قلعة جعبر ٥٤١ - ٥٤١ هـ
٧١	الفصل الرابع: عماد الدين زنكي والإمارات المحلية في ديار بكر
٨٥	الفصل الخامس: عماد الدين زنكي والأكراد
٨٧	الأكراد الحميدية
٨٩	الهكارية
٩٣	المهرانية
٩٦	البشنوية
١٠١	الفصل السادس: عماد الدين زنكي وحكام دمشق
١١٥	الفصل السابع: عماد الدين زنكي والصلبيون
١٤٧	الفصل الثامن: حياة عماد الدين زنكي وشخصيته
١٤٧	علاقاته العائلية
١٥١	صفاته
١٥٨	مروياته
١٦٠	مقتله ٥٤١ هـ
١٦٥	الفصل التاسع: النظم العسكرية
١٦٥	أ. الجيش
١٦٦	ديوان الجيش
١٦٨	أمير حاجب زنكي
١٦٩	تنظيم الجيش وعناصره
١٧٦	استدعاء الجيوش وأساليب الحرب
١٨٢	علاقة زنكي بجنده
١٨٣	الاستخبارات
١٨٥	٢. الإنقطاع
١٩٨	٣. الأتابكية

٢٠٣	الفصل العاشر: النظم الإدارية
٢٠٤	نيابة الموصل أو محافظة القلعة
٢٠٨	نواب زنكي في الموصل
٢١٦	ولاية (نواب زنكي) على المدن والقلع
٢٢٣	قلع الأمراء الهكارية
٢٢٣	قلع الأكراد المهرانية
٢٢٣	في ديار بكر
٢٢٤	قلع الأكراد الشنوية
٢٢٥	الوزارة
٢٣٠	وزراء زنكي
٢٣١	أبو الرضا بن صدقة ٥٣٦ - ٥٣٨ هـ
٢٣٢	أبو القنائم جشي ٥٣٨ - ٥٤١ هـ
٢٣٢	أبو المحاسن العجمي
٢٣٣	جمال الدين الأصفهاني
٢٣٤	الموظفون ونظام التوظيف والدواوين
٢٣٩	الأمن الداخلي والإعمار
٢٤٥	موارد البحث
٢٤٥	١. المصادر القديمة
٢٥٢	٢. المراجع الأجنبية
٢٥٣	فهرس الموضوعات

